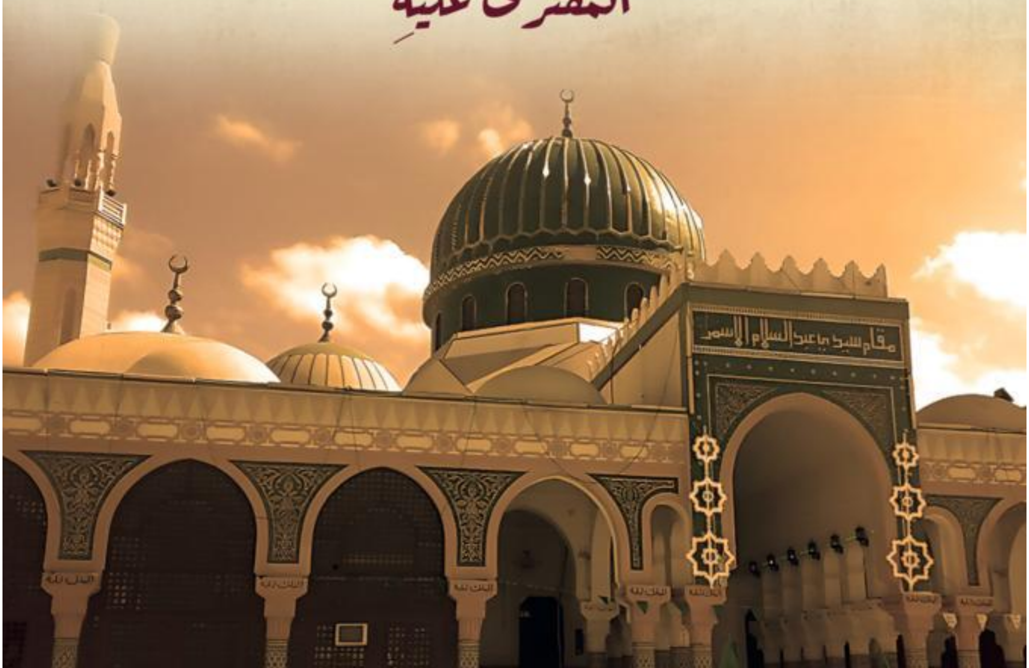
المؤلف
محمد أحمد خالد

قراءة في كتب التصوف

عَبْدُ السَّلَامْ بنْ سَلِيمْ الأَسْمَرِ

المُفْتَرَى عَلَيْهِ



قراءة في كتب التصوف

عبد السلام بن سليم الأسمر

المُفترى عليه

تأليف

محمد أحمد خالد

2026م

قراءة في كتب التصوف

عبد السلام بن سليم الأسمر

المُفترى عليه

تأليف: محمد أحمد خالد

drmohamedahmed2024@yahoo.com

ردمك: ISBN 979-8-89496-729-5

الطبعة الثالثة

2026م

إهداء

إلى الذي افترى عليه محبوه أكثر من المعادين له،

إلى الشيخ عبد السلام الأسمر رحمه الله وعفا عنه

أهدي هذا الكتاب

المؤلف

الفهرس

إهداء.......... 4

مقدمة الطبعة الثالثة 7

مقدمة 9

السياق التاريخي والبيئة الثقافية 30

عصر الشيخ عبد السلام الأسمر 31

القبيلة المرابطية 37

زاوية الشيخ الأسمر 45

سيرة الشيخ الأسمر – دراسة تاريخية نقدية.......... 53

مولد الشيخ عبد السلام الأسمر ونشأته 54

نسب الشيخ عبد السلام الأسمر 69

لماذا لقب بالأسمر.......... 75

دراسة وتحقيق وظيفة عبد السلام الأسمر.......... 80

انقطاع سلسلة الطريقة العروسية.......... 84

إنكار العلماء على الشيخ عبد السلام الأسمر.......... 86

الشيخ الأسمر وطرده من زليتن 87

ثورة يحيى السويدي ومقتل عمران بن عبد السلام 95

تحقيق المصادر ونقد الشخصيات التاريخية 98

الشيخ كريم الدين البرموني.......... 99

التعريف بكتاب روضة الأزهار 107

دراسة ونقد كتاب روضة الأزهار 111

لقاء ومناظرة البرموني بالشيخ الأسمر: تحقيق في صحة النسبة 122

التاجوري وكتابه فتح العليم.......... 125

مقارنة بين "فتح العليم " و"روضة الأزهار" 125

عبد السلام بن عثمان التاجوري.......... 127

كتاب الأنوار السنية والمنن البهية 137

دراسة كتاب الزهر في الأكمام لعمر بن جحا 142

لقاء الأسمر بسالم السنهوري: دراسة نقدية في الرواية والتاريخ.......... 143

تحقيق نسبة مخطوط النور النائر لسالم السنهوري 146

الوصية والرسائل – التحقيق والنسبة 155

الوصية الكبرى: كيف صنع النص ونسب زورا إلى الشيخ الأسمر 156
حقيقة نسبة الرسائل إلى الشيخ الأسمر 170
مراسلة الأسمر لوالد أبي عبد الله الخروبي: تحقيق في صحة النسبة 175
مخطوط روضة الأزهار "مخطوط 1250هـ" 195
ملاحظات على رسائل الأسمر إلى مريديه 195
الافتراءات والمناظرات الموضوعة 202
لقاء العوسجي بالشيخ الأسمر: قراءة نقدية في مصادره 202
تنبؤ الأسمر بوفاة اليربوعي: تحقيق في مصدر الرواية وتاريخها 203
لقاء ومناظرة الحطاب للأسمر: مساءلة تاريخية للنص 204
مناظرة الأسمر لهمام والحامدي ومبارك: تحقيق في وقوعها التاريخي 208
لقاء الأسمر بالدوكالي: مساءلة زمنية للرواية 211
مناظرة الأسمر للشيخ سالم الطاهري: قراءة نقدية 214
لقاء مراد آغا والشيخ الأسمر: تحقيق في التسلسل الزمني للرواية 215
كيف يضلل القارئ باسم الكرامات والروايات الملفقة 221
نقد ما ورد في كتاب "قفة الصلاح" لأسامة بن هامل" 222
وقفات مع الشيخ أحمد القطعاني 240
وقفات مع النفحات الفيتورية في القصائد الأسمرية 246
وقفات مع مجلة الجامعة الأسمرية 252
وقفات تفصيلية مع أوراق نشرت حديثا عن الشيخ الأسمر 257
وقفة مع ورقة "الدلالات العقدية عند الشيخ عبد السالم الأسمر" 258
نموذج لورقة بحثية نشرت مستندةً على رواية تأسيسية خاطئة 265
نموذج نقدي: رسالة جامعية لم تتحرَّ الدقة المنهجية والموضوعية 271
خلاصة الكتاب ونتائجه 278
كلمة أخيرة 284
مسرد المصادر والمراجع 285
نماذج من صور الوثائق 291

مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب عام 2024م، وكانت في حدودها الأولى محاولةً أوليةً لنقد جزء من المصادر المتعلقة بسيرة الشيخ عبد السلام الأسمر رحمه الله، والكشف عمّا شابها من انتحال وتحريف. وقد لقي الكتاب – على ما فيه من قصور لا يُنكره مؤلفه – اهتماماً لم يكن في الحسبان، وتواصل مع المؤلف عددٌ من الباحثين والقراء المهتمين بتاريخ التصوف الليبي من داخل ليبيا وخارجها، وكان في تقديرهم ومتابعتهم ما يُشجّع على مواصلة البحث وتعميقه. ونشكر لهم لطفهم وحسن ظنهم، ونسأل الله أن يكون العمل خالصاً لوجهه.

لقي الكتاب اهتمامًا تجاوز حدود توقعات مؤلفه، كما أثار عند بعضهم اعتراضات لم تخرج غالبًا عن نطاق الانفعال العاطفي دون مناقشة علمية للأدلة المطروحة، مع أنّه كُتب بروح البحث الموضوعي والتجرد العلمي. وإن اختلاف الرأي لا يبرر مصادرة الحق في الدراسة والنقد، ولا تحويل الحوار العلمي إلى تجريح واتهام. وسيبقى هذا الكتاب ملتزماً بالإنصاف وطلب الحقيقة، غير عابئ بما يثار حوله من انفعالات لا تخدم العلم ولا الحقيقة، وقد كان الأولى بمن خالف ما ورد في هذا الكتاب أن يناقش بالحجة والبرهان، لا أن يلجأ إلى الاتهام والتشنيع، لأن الحقيقة لا يضرها النقد المنهجي، وإنما يضرها التعصب الذي يعمي عن النظر المنصف. وإن المؤلف إذ يثبت هذه المواقف المؤسفة، فإنه لا يفعل ذلك شكوىً أو تبرماً، بل تأكيداً على أن البحث الجاد كثيراً ما يواجه مقاومة ممن اعتادوا التسليم بالموروث دون تمحيص. ومن ثم فإن هذه الطبعة الجديدة تصدر كما صدرت سابقتها، وفيةً لميزان العدل، ملتزمةً أدب البحث، ومؤمنةً أن الكلمة الموثقة أبقى من الضجيج، وأن البرهان أصدق من الاتهام. وقد أتاحت هذه الفترة الفاصلة بين الطبعتين مراجعةً معمّقةً للمادة العلمية، أفضت إلى إضافات جوهرية طالت هيكل الكتاب ومحتواه على حدٍّ سواء؛ فعلى صعيد الهيكل أُعيد ترتيب الكتاب في أبواب تنتظم المادة العلمية وفق تسلسل منطقي يتدرج من السياق التاريخي إلى نقد المصادر إلى الافتراءات التطبيقية، بعد أن كانت الطبعة الأولى تسير على نظام الفصول المتتابعة دون تبويب جامع. وعلى صعيد المحتوى، تضمّنت هذه الطبعة جملةً من الإضافات الجوهرية أبرزها:

أولاً: دراسة مستقلة لشخصية عبد السلام بن عثمان التاجوري ومقارنة منهجية بين كتابيه "فتح العليم" و"روضة الأزهار"، تكشف عن حجم التطابق الحرفي بينهما وما يترتب عليه من نتائج في مسألة النسبة والانتحال.

ثانياً: إضافة فصل في دراسة وتحقيق وظيفة الطريقة العروسية والسلامية المنسوبة للأسمر، تُثبت بالمقارنة النصية نقلها شبه الحرفي من الطريقة القادرية وأنها ليست من تأليف الشيخ الأسمر وإنما صنعت بعد وفاته رحمه الله.

ثالثاً: توسيع فصل الوصية الكبرى بنماذج وأمثلة إضافية تُثبت انتحالها من مصادر سابقة، وتحديد مصادرها الأصلية بدقة أكبر مما كان في الطبعة الأولى.

رابعاً: استحداث عنوان "مخطوط روضة الأزهار – مخطوط 1250هـ" مع تحليل خصائصه وما يُثيره من تساؤلات حول نسبته.

خامسا: استُكمل فصل "حقيقة نسبة الرسائل إلى الشيخ الأسمر" بنماذج تحليلية إضافية تُعمّق النقد الذي أُسّس له في الطبعة الأولى تحت عنوان "بطلان نسبة الرسائل"؛ إذ جرى تفصيل الإشكاليات المخطوطية والنسخية التي تحوم حول هذه الرسائل، وإثبات غيابها من النسخ الأقدم من "روضة الأزهار" ومن كتاب "فتح العليم" للتاجوري معاً، فضلاً عن تحليل أسلوبي يُظهر التنافر الواضح بين لغة هذه الرسائل الفصيحة المتقنة وبين الأسلوب العامي الذي عُرف به أو نسب للشيخ الأسمر في شعره الموثق. وقد أُرفقت هذه الدراسة بملاحظات تفصيلية تتناول متن الرسائل نصاً نصاً، وتكشف ما فيها من قرائن داخلية تُرجّح أنها أُلحقت بالمخطوطات في مراحل لاحقة تمتد حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري.

سادسا: أضفنا نقدا لبعض الأوراق العلمية ورسالة ماجستير والتي نشرت من جامعات ليبية وتناولت سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر وطبقنا عليها ما توصلنا إليه من نتائج.

وتبقى هذه الطبعة – شأن سابقتها – خطوةً في مسار بحثي لم يكتمل، ولن يكتمل إلا بجهود الباحثين القادمين الذين نأمل أن يتناولوا ما أشرنا إليه من موضوعات تحتاج إلى دراسات مستقلة معمّقة. وما توفيقنا إلا بالله.

مقدمة

تتسم دراسة سيرة حياة الشيخ عبد السلام بن سليم "المشهور بالأسمر" بحساسية خاصة، فإن أي نقد للحوادث التاريخية المتعلقة بحياته، أو محاولة تصحيحها، قد يصنف صاحبها عدوا، من طرف المتعصبين له من بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين يعتقدون بالأساطير والخرافات أو المنتسبين له. فالحساسيات التي تكونت عبر تاريخ هذه الطريقة الصوفية بسبب منافستها للطرق الأخرى، وبسبب إضفاء هالة من القدسية على هذه الشخصية من بعض اتباع الطريقة، جعل البعض يعدّ البحث في تاريخها بالنقد والتمحيص مساسا بهذه الهالة المقدسة.

لذلك ابتعد كثير من البحاثين والمتخصصين في تاريخ ليبيا عن البحث الموضوعي ونقد صحة المخطوطات والوثائق والكتب والرسائل التي نسبت له، إلا من بعض الكتب والدراسات التي لا ترقى إلى مستوى البحوث الأكاديمية العلمية المحكمة، وإنما اقتصرت البحوث والدراسات على سرد وتكرار لما جاء في كتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في البعض من مناقب صاحب الطار"[1] لكريم الدين البرموني، أو بعض الكتب، أو المقالات الأخرى التي تنشر من حين لآخر لكسب الجموع الصوفية التي تعشق الخرافات والأساطير، وما تدره عليها من مكاسب مادية ومعنوية داخل تجمعات هذه الطرق والزوايا. ولعل رسالة الدكتور مصطفى عمران رابعة – رحمه الله – والتي تحمل عنوان "رسائل الأسمر إلى مريديه"[2] لا تختلف كثيرا عن الدراسات التي قبلها، والتي لم تقدم بحثا جديدا لما سبق، وإنما هي تكرار وإعادة لصياغة ما ورد في المصادر التاريخية، دون أي تمحيص أو تدقيق في صحة نسبة هذه الرسائل للشيخ عبد السلام الأسمر – رحمه الله – وقد فاته قبل أن يدرس رسائل الأسمر إلى مريديه أن يدقق في صحة نسبتها إليه عبر التحريفات أو الاضافات التي تعرضت لها المخطوطات التي وردت فيها هذه الرسائل، ولم تستطع الأطروحة أن تبحث عن التاريخ الصحيح للشيخ عبد السلام الأسمر، أو أن تتناول بعمق شخصيته التي تعرضت

1) روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في البعض من مناقب صاحب الطار، كريم الدين البرموني، تحقيق عبد الحميد الهرامة، 2009 م.

2) رسائل الأسمر عبد السلام بن سليم الإدريسي الحسني إلى مريديه، جمع وتحقيق ودراسة مصطفى عمران رابعة،2003م.

للتحريف والزيادات في فترات مختلفة عبر التاريخ، وإنما اقتصرت على إعادة جمع هذه الرسائل وتحقيقها فجاءت دون المستوى الذي يرقى إلى مستوى التحقيق العلمي الموضوعي، مع شعوره في بعض صفحات أطروحته بوجود افتراءات وأقوال ونسبتها للشيخ الأسمر من نفس المصادر التي صدق بصحتها واعتمادها كمصادر موثوقة في رسالته. لكن الرسالة فشلت في الفصل بين ما له وما نسب إليه، وسيتناول هذا الكتاب وقفة مع هذه الرسائل في الفصول القادمة.

كما أن بعض الأوراق العلمية التي قدمت في الجامعات الليبية وغيرها لم تقم بنقد صحة نسبة هذه المخطوطات للشيخ الأسمر، واكتفت بانتقاء بعض النصوص من هذه المخطوطات والمراجع لما يناسب موضوع البحث، مع الإعراض عن نصوص أخرى متناقضة معها في نفس هذه المصادر، مع أن البحث الموضوعي يقتضي البحث أولا في صحة نسبة هذه المصادر للشيخ الأسمر قبل استخدامها بصفتها مراجع يمكن من خلالها قراءة شخصيته وسيرته الذاتية الصحيحة[1].

وبنظرة عامة فإن تكرار نقل النصوص واعتماد روايات كتب ومؤلفات لم يتم تحقيقها بالنقد الموضوعي، والفكر النقدي هو في الحقيقة تشخيص لظاهرة أعمق يمكن تسميتها "**ثقل الرواية التأسيسية**": فحين تترسّخ رواية بعينها في الوعي الجمعي لأجيال وتغدو جزءاً من هوية مجتمعية، يجد الباحث نفسه أمام خيار صعب حين يكتشف ما يُخالفها في المخطوطات والوثائق المتناقضة معها. وكثيراً ما ينزلق بعض البحاث إلى الإبقاء على الرواية مع تعديل طفيف غير صريح، بدلاً من المواجهة النقدية المباشرة إيثارا للسلامة ومجانبة لمواجهة تيار الروايات التأسيسية. وهذا بالضبط ما حدث مع معظم الذين كتبوا عن سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر. أما كتابات الشيخ أحمد القطعاني – رحمه الله – عن الشيخ الأسمر فقد اتسمت بالخرافات وتصديق كل ما ورد فيها، واعتبار هذه المخطوطات والمراجع حقيقة لا يجوز المراء أو الشك فيها. ولعل هذا هو المنهج الذي سار عليه الشيخ أحمد القطعاني في كل ما كتبه عن الشيخ عبد السلام الأسمر وغيره من الشخصيات الصوفية في كتابيه "القطب الأنور عبد السلام

1) مع استثناء قليل جدا في بعض المقالات، ومعظم الأبحاث والأوراق العلمية التي قدمت في مؤتمرات أو مجلات متخصصة تتبنى منهج انتقاء بعض النصوص وتجاهل نصوص أخرى، خوفا من مواجهة السردية العامة والتأسيسية في سيرة الأسمر.

الأسمر"[1] و"موسوعة القطعاني"[2]. ومع كل أسف فإن الأوراق العلمية والبحوث التي نشرت في مجلات محكمة كما أسلفنا أو مؤتمرات علمية، وتحت اشراف أساتذة جامعيين نقلت كل ما يتعلق بحياة الشيخ عبد السلام الأسمر الواردة في هذه المصادر دون البحث في صحة المصادر وتحليلها، مع عدّها نصوصًا حقيقية تنقل سيرة الشيخ الأسمر، ويجب فقط دراستها واستنباط العبر منها ودراسة أساليبها اللغوية والدعوية وإشاراتها الصوفية، دون نقد صحة نسبتها للشيخ الأسمر أو صحة نسبة مؤلفي الكتب لبعض الشخصيات التاريخية، كالشيخ كريم الدين البرموني، وسالم السنهوري، وعبدالرحمن المكي، وعمر بن جحا وغيرهم. وخير مثال على ذلك مؤتمر الجامعة الأسمرية[3] الذي نشرت فيه أوراق يتخللها الكثير من الخرافات والتحريفات التي نسبت للشيخ الأسمر.

تجذر الإشارة أن بعض المستشرقين المهتمين بالتصوف ابان الحقبة الاستعمارية قد اهتموا بنشر بعض هذه الكتب وطباعتها، ولاسيما فيما يتعلق بكتب الخوارق والخرافات، فكتاب "الوصية الكبرى" المنحولة إلى الشيخ عبد السلام الأسمر قد نشر أول مرة في تونس بإشراف أحد الفرنسيين، وليست الطبعة المتداولة الآن باسم مكتبة النجاح والتي يعاد تصويرها من حين لآخر إلا صورة عن الطبعة التونسية. وكذلك فإن كتاب "الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات" لمؤلفه عبد السلام بن عثمان التاجوري هو من منشورات مكتبة النجاح ويتضمن الكثير من الخوارق والكرامات، قد نقله من مخطوطه الأصلي واعتنى بمقابلته ونشره الدكتور روفائيل رابكس وتم طبعه عام 1921م.

يعدّ كتاب روضة الأزهار المنحول لكريم الدين البرموني وكتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم"[4] لعبد السلام بن عثمان التاجوري، ومخطوط

---

1) القطب الأنور عبد السلام الأسمر، تأليف أحمد القطعاني، الطبعة الثانية 1993م

2) موسوعة القطعاني، أحمد القطعاني، الناشر الواثقون للمقاولات، طرابلس، 2011م.

3) مجلة الجامعة الأسمرية، أعمال مؤتمر المنارة الأسمرية من الزاوية إلى الجامعة، 2009م.

4) فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم، عبد السلام بن عثمان التاجوري، مخطوط، دار العلوم تونس، رقم التسلسل 550، نسخ سنة 1278 هـ-1861 م.

"النور الناير"[1] المنتحل[2] لسالم السنهوري، من المصادر التي اعتمد عليها معظم الذين كتبوا عن تاريخ الشيخ عبد السلام الأسمر، لأنها المصادر التي اشتملت على تاريخ حياته من قبل ولادته إلى ما بعد وفاته.

وقد قام الدكتور عبد الحميد الهرامة بتحقيق كتاب روضة الأزهار من ثلاث نسخ، وتعدّ النسخة المغربية النسخة الكاملة التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب، ولكن لم يذكر سنة الفراغ من تاريخ نسخها، أما نسخة مركز جهاد الليبيين فقد ذكر أن كاتبها عبد السلام الراجي الأزدوي نسبا، البرهمي دارا وسكنا، وكان الفراغ من نسخها سنة 1185 هـ، أي ما يقرب من قرنين بعد وفاة الشيخ عبد السلام الأسمر. ومما يدعو إلى الشك في تاريخ نسخها وجود إحدى رسائل الشيخ الأسمر لمريديه ضمن هذه النسخة لاحتمال إضافتها إليها فيما بعد لمخطوط سنة 1185هـ، لأننا سنكتشف فيما بعد أن هذه الرسائل كتبت وأضيفت لها في مدة لاحقة عن تاريخ المخطوطة المتقدمة عنها.

وأما نسخة آل أبو زبيدة – رحمه الله – فقد كان الفراغ من كتابتها سنة 1321هـ، وفي هذا المخطوط تظهر رسائل الأسمر إلى مريديه كاملة، وهنا نطرح سؤالا عن أصل النسخة التي نقلت منها النسخة التي احتفظ بها الشيخ أبي زبيدة، وخاصة أنه عاش في العصر الحديث[3]، ولا توجد نسخة احتوت على كل الرسائل مجتمعة إلا في نسخته، فكيف اجتمعت هذه الرسائل في هذه النسخة وغابت عن النسخ الأقدم منها، وأين هو الأصل الذي نُسخ منه مخطوط أبي زبيدة. إن كل نسخ روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار تُنسب إلى المؤلف الشيخ كريم الدين البرموني، كما تشير النسخة المغربية أن الفراغ من تأليفها كان سنة 1005هـ، أي ما يقرب من 25 سنة بعد وفاة الشيخ الأسمر، أما تاريخ نسخها فيرجع إلى 1185 هـ أي ما يقارب من 200سنة بعد وفاة الشيخ عبد السلام

1) النور النابر في مناقب عبد السلام الفيتوري، مخطوط، المكتبة الوطنية، تونس.

2) أنظر إلى العنوان الخاص بالشيخ سالم السنهوري في فهرس الكتاب وكيف بيّنا بالأدلة القاطعة على انتحال الكتاب ونسبته زورا إلى سالم السنهوري.

3) توفي الشيخ منصور رحمه الله بتاريخ 15-10-1967م.

الأسمر، و180 سنة بعد وفاة البرموني ولم يذكر الدكتور عبد الحميد الهرامة تفاصيل محتوى هذه النسخة وهل تحتوي على رسائل الأسمر إلى مريديه أم لا.

لم تظهر إلى يومنا هذا أي نسخة قريبة من تاريخ تأليف الكتاب، وهي سنة 1005 هـ، فالنسخة المغربية، وجميع النسخ المتوفرة بأيدي الباحثين بعيدة بقرنين عن تاريخ وفاة الشيخ الأسمر مما يجعلها محل شك في تناول السيرة الحقيقية للشيخ الأسمر، مع ورود قصص خرافية فيها يستحيل على العقل الحصيف تصديقها، وتصديق صحة نسبتها إلى الشيخ كريم البرموني كما سنبينه لاحقا في ثنايا هذا الكتاب، كما سيتجلى لنا بوضوح مع نهاية فصوله.

ومما يثير الشك في نسبة وصحة ما جاء في كتاب "روضة الأزهار" المنحول لكريم الدين البرموني أن كتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم"[1] لمؤلفه الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري، والذي ألفه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، لم يذكر شيئا في كتابه عن شخصية البرموني، ولم يذكر شيئا عن روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار، والذي سبقه بالتأليف عن شيخه الأسمر، مما يبعث المزيد من الريبة والشك في نسبة كتاب روضة الأزهار للشيخ لكريم الدين البرموني، والشك كذلك في وجود الكتاب في ذلك الوقت، وإلا فكيف تخفى شخصية مشهورة ككريم الدين البرموني كونه مريدا للشيخ الأسمر، ويعرف الكثير من دقائق حياته كما جاء في تفاصيل الكتاب المنحول له، كما أنه كيف يغيب كتاب بهذا الحجم على الشيخ عبد السلام التاجوري وهو من مشايخ الطريقة العروسية. لكننا بالبحث عن الحقيقة سنكتشف لاحقا أن معظم ما يحتويه كتاب روضة الأزهار من قصص عن كرامات الأسمر وسيرته، متطابق تماما مع ما جاء في كتاب فتح العليم للتاجوري حرفا بحرف وكلمة بكلمة فما هو سر هذا التطابق العجيب؟.

وفضلاً عن ذلك نجد أن المؤرخ الليبي الشهير ابن غلبون في كتابه "التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار"[2] لم يذكر البرموني، ولا أشار لكتابه روضة الأزهار مما يثير الاستغراب والعجب كيف يخفى كتاب بمثل حجم كتاب

---

1) سبق التعريف بالكتاب

2) التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، محمد بن غلبون، تحقيق الطاهر الزاوي، المدار الاسلامي،2002م.

روضة الأزهار للبرموني عن المؤرخ ابن غلبون؟ وهذا يدعو إلى الشك في وجود كتاب روضة الأزهار في ذلك الوقت، وربما كان قد ظهر إلى الوجود في نهاية القرن الثاني عشر الهجري، أي بعد وفاة ابن غلبون والتاجوري. وهذا الاحتمال يحتاج إلى بحث لمعرفة سبب عدم ذكره لكتاب أهم شخصيتين أرخا لهذه المدة، ولأن عدم وجوده يضع أسئلة أخرى تحتاج إلى إجابات، وإلى مراجعة كاملة لأحداث وتاريخ القرنين: الحادي عشر، والثاني عشر الهجريين.

توجد نسخة لكتاب روضة الأزهار بالمكتبة السليمانية بإسطنبول تحت عنوان مختلف قليلا عن العنوان الشائع، وهو "روضة الأزهار وربيع السادة الأبرار في جمع البعض من مناقب صاحب الطار"[1]، وناسخها مجهول. ويظهر اسم عبد الله على الصفحة الأولى إلا أن الخط الموجود على الغلاف يختلف عن الخط الذي نسخ به الكتاب، ولا يظهر كذلك في المخطوط سنة الفراغ من نسخها، ويظهر على الصفحة الأولى بعض الكتابات ولكنها تختلف عن الخط الذي كتب به المخطوط، كما أن المخطوط لا يحتوي على رسائل الأسمر إلى مريديه، والتي تبدو مجتمعة فقط في مخطوط أبي زبيدة. وهنا تزداد الحيرة في اختلاف هذه النسخ وتدعو الباحث لمعرفة متى ظهرت رسائل الأسمر إلى مريديه، وهل تصح نسبتها إليه.

تدعو هذه النسخ وما بها من مادة تاريخية متباينة إلى طرح العديد من الأسئلة، خاصة بعد دراسة ما جاء فيها عن سيرة الشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر من طفولته إلى وفاته، وما صاحبها من أحداث، وخاصة التي تتحدث عن طفولته والتي لم يشهدها البرموني نفسه، ولا من كتب عنه فيما بعد. بل ويتضمن الكتاب أحداثًا عن الشيخ الأسمر قيل إنها حدثت قبل ولادته، وكذلك بعض القصص التي تحكي عن تنبؤات للشيخ الأسمر حدثت بعد وفاته. ومن عجائب وغرائب ما ورد في كتاب روضة الأزهار قصيدة قالها الشيخ الأسمر بعد وفاته وخروجه من قبره حسب زعم الراوي؛ مما يدل على أن الكثير من هذه القصص قد نسجت ونسبت للشيخ عبد السلام الأسمر بعد وفاته، وبما يتناسب مع المعتقدات والثقافة التي كانت سائدة في ذلك الوقت. كما يلفت الانتباه ويثير الارتياب

1) روضة الأزهار وربيع السادة الأبرار في سيرة صاحب الطار، كريم الدين البرموني، مخطوط، الناسخ مجهول، المكتبة السليمانية، إسطنبول - تركيا.

أسلوب الكتاب وسبكه اللغوي، ووجود كلمات وافدة من اللهجة المغربية، وتغير الأسلوب وتداخله مع أسلوب مختلف في مواضع عديدة من الكتاب، وخاصة عندما يتعلق السياق بالحديث عن الشيخ الأسمر يزيد من الشك في إدخال هذه النصوص في كتاب من كتب التصوف، لا علاقة له بسيرة الشيخ الأسمر. كل هذه الملاحظات تكشف بوضوح ما أشرت له سابقا. ولذلك كتب محقق الكتاب الدكتور عبد الحميد الهرامة على هامش تحقيق كتاب روضة الأزهار: "وهنا ينحدر الأسلوب للعامية".

لكن لم يتبادر لمحقق الكتاب أن الكتاب برمته مشكوك في صحة نسبته للبرموني، وأن اختلاف الأسلوب فيه شبهة لدس كلام خارج سياق الكتاب الأصلي، وعدم صحة ما نسب للشيخ الأسمر من الإضافات، والتحريفات، والتي مازالت بعض شواهدها تدل على إضافتها، ويتضح من الاختلاف في أسلوب الكتاب من اللغة العربية الفصيحة عندما يتعلق الموضوع بالتراث الصوفي والفقه، ثم يهبط الأسلوب إلى العامية، واللغة غير الفصيحة عندما يكون الحديث عن الشيخ عبد السلام الأسمر في كثير من مواضع الكتاب كما سنبين لاحقا، وكأن سيرة الشيخ الأسمر قد زج بها في طيات الكتاب في مواضع متفرقة منه. وهذا يدعو للبحث عن الكتاب الأصلي الذي تم تحريفه بإدخال سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر في ثنايا موضوعاته. ولعل كتاب روضة الأزهار يحتاج إلى دراسة أسلوبية ولغوية للتحقق من الدس الذي أدخل على الكتاب أو الكتب التي جمع منها، كما أنه من الواضح أنه حدثت عدة اضافات وتحريفات للكتاب، لاختلاف الإضافات وخاصة رسائل الأسمر إلى مريديه، وبعض القصص الأخرى، فهي بلا شك تمت إضافتها مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري بحسب ما توصل إليه هذا الكتاب في تحقيق هذه الرسائل.

أما كتاب "الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام"[1] لعمر بن جحا (902 هـ – 999هـ) فلا يختلف كثيرا في مادته عن كتاب روضة الأزهار، إلا أنه لم يدخل في ثنايا التراث الصوفي والفقهي بعمق وتفصيل، فالكتاب صفحاته قليلة مقارنة بروضة الأزهار، وفتح العليم، وقد اقتصر على الاهتمام بسيرة الشيخ عبد السلام الأسمر، وبعض أقواله وما حدث له في رحلاته، وبعض

1) الزهر في الأكمام في طريقة مولاي عبد السلام، عمر بن جحا، تحقيق د. عبد الحميد الهرامة، دار الفسيفساء.

قصائده، وقصائد غيره في رثائه. والنسخة التي بين أيدينا هي من تحقيق الدكتور عبد الحميد الهرامة، ويعدّ مؤلفها عمر بن حمودة بن جحا، من مريدي الشيخ الأسمر وخليفته فيما بعد. والنسخة التي حققها الدكتور عبد الحميد الهرامة كان الفراغ من نسخها سنة 1320هـ، فهي أيضا تبعد بأكثر من ثلاثة قرون عن وفاة الشيخ الأسمر من حيث النسخ، ولم نجد إلى يومنا هذا نسخة قريبة العهد بحياة المؤلف خليفة الشيخ الأسمر عمر بن جحا، مما يطرح كذلك العديد من الأسئلة حول مصداقيتها التاريخية، ونسبتها إلى الشيخ عمر بن جحا. كما يحسن في هذا الموضع أن نبين للقارئ أن بعض الكرامات التي ذكرت في الكتاب هي نفس الكرامات التي وجدت في كتاب فتح العليم، لعبد السلام التاجوري.

ومن المفارقات أن تجد في كتاب روضة الأزهار للبرموني قصيدة رثاء لعمر بن جحا في شيخه عبد السلام الأسمر، وغياب هذه القصيدة في الكتاب الذي ألفه عمر بن جحا نفسه. هل ستكشف الدراسات القادمة أن كتاب "الزهر في الاكمام" هو أيضا منحول للشيخ عمر بن جحا؟.

إن كتاب روضة الأزهار وغيره من المخطوطات والكتب المتعلقة بسيرة الشيخ الأسمر، تحتاج إلى تحقيق دقيق لصحة نسبة الأقوال والقصائد للشخصيات الواردة في هذه الكتب. فمثلا: في كتاب "الزهر في الأكمام في طريقة مولاي عبد السلام" لعمر بن جحا بتحقيق الدكتور الهرامة نجد مثلا في الصفحة 35 قصيدة تنسب لعبد الحميد بن عبد الله ضي الهلال، في رثاء الشيخ الأسمر، وتتكرر نفس القصيدة في كتاب "روضة الأزهار" في صفحة 738، والنص كما جاء في الكتابين:

وقال سيدي عبد الحميد بن عبد الله ضي الهلال:

فؤادي لا يقر له قرار وأجفاني مدامعها غزار
وليل طال بالإنكار حتى ظننت الليل ليس له نهار
ولم لا والتقى حلت عراه وبان على نبيه الانكسار
بفقد شيخ الاجتماع سليل سليم ما عنه اصطبار
ليبك معي على الدين البواكي فقد أضحت مواطنه قفار

وقد هدمت قواعد ما أعد   وزال بفقده عنه الوقار
وأصبح لا يقام له حدود   وأمسى لا يبين له شعار
وعاد كما بدا فينا غريبا   هنالك ما له في الخلق جار

ثم نكتشف أن الأبيات السابقة وردت في الجزء الأول من "الطبقات الكبرى للشعراني"[1] وهي أبيات للشيخ عبد الغفار القوصي المتوفى سنة نيف وسبعين وستمائة، وقد نسبت هذه الأبيات بعد إضافة أبيات أخرى وتعديل إلى عبد الحميد بن عبد الله ضي الهلال.

كما يُنسب إلى عبد الحميد بن عبد الله ضي الهلال بيتان في كتاب روضة الأزهار: " ... فلما وصلت إليه وسلمت عليه، بكيت وقلت هذين البيتين[2]:

أيظلمني الزمان وأنت فيه   وتأكلني الذئاب وأنت ليثي
ويروى من جنابك كل ظامئ   وأظمأ في حماك وأنت غيثي

وتجدر الاشارة هنا إلى حداثة الإضافات التي أضيفت لروضة الأزهار، فالبيتان السابقان لأبي الهدى الصيادي واسمه محمد بن حسن وادي بن علي بن خزام الصيادي الرفاعي الحسيني كان مستشاراً للسلطان عبد الحميد وتوفي سنة 1328هـ. مع ملاحظة استبدال كلمة بنانك بكلمة جنابك.

إن هذا الانتحال وغيره من مئات النصوص التي نسخت حرفيا من كتب صوفية سابقة ثم نسبت للشيخ الأسمر، أو أحد مريديه، والنسخ الحرفي في بعض صفحات الكتب المتعلقة بسيرته، سيكون لنا معها ومع غيرها من التحريفات والافتراءات وقفات في هذا الكتاب.

عندما تطرح أسئلة عن الكتب التي نسبت للشيخ الأسمر، مثل وصيته الكبرى، والصغرى وغيرهما من المؤلفات، وعن غياب نسخ قريبة مثلا لكتاب "روضة الأزهار" أو وصيته الكبرى، وغيرها مما نسب إليه من قصص في عصره أو بعده بقليل، لا تجد إلا إجابة واحدة، وهي أن مكتبة الشيخ التي كانت تحوي أكثر من 500 مجلد، قد أحرقت في فتنة مقتل ابنه عمران على يد يحى السويدي سنة

1) الطبقات الكبرى للشعراني، لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، عبد الوهاب الشعراني، المكتبة الوقفية: ص 139.

2) ديوان أبي الهدى الصيادي، روضة العرفان، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، 1298 هـ.

995 هـ، وهي رواية عبد الرحمن المكي الشخصية الخرافية التي ليس لها وجود والمخطوط المنتحل لهذه الشخصية[1].

بالرغم من المبالغة في هذا التبرير لفقدان هذه الكتب، فإن هذا العدد من الكتب مبالغ فيه بكثير، خاصة في ذلك الوقت الذي لا يخفى على الباحثين في الفقه الإسلامي، واللغة العربية والمتخصصين بمعرفة عناوين الكتب المنتشرة في ليبيا، وما كان يدرس في الزوايا، والتي تمثل الموضوعات الفقهية والعقدية والصوفية واللغة العربية وعلومها، ومن الواضح عدم وجود أي دلائل قوية تدعم الزعم بأن الزاوية كانت في ذلك الوقت مهتمة بتدريس العلوم الشرعية، ولا حجم الزاوية بها يستوعب هذا الكم من الكتب بحسب طبيعة الزوايا القديمة جدًا، ولم يرد أو يترجم لعلماء تخرجوا منها في ذلك الوقت إلا ما ورد في البرموني من مناظرات استعرضت فيها كرامات وخضع الجميع في نهاية المطاف للشيخ الأسمر. وسوف نبين عدم صحة هذه المناظرات تاريخيا في الفصول القادمة. كما أن التحقيق التاريخي يبين أن الزاوية بنيت قبل وفاة الشيخ الأسمر بعشر سنين تقريبا. فقد أسست سنة 971 هـ بحسب الرواية الصحيحة كما ذكر التاجوري والأقرب للتحقيق التاريخي كما جاء في مخطوط كتاب فتح العليم، وبعد أن شارف الشيخ الأسمر على التسعين من عمره.

في الفصول القادمة من هذا الكتاب لنا وقفات مع هذه الخرافات تحت عنوان "وقفات مع قفة الصلاح" وهذا العنوان مستوحًى من كتيب صدر حديثا لكاتب يلقب نفسه "بقفة الصّلاح" أساء بهذا الكتيب أكبر إساءة للشيخ الأسمر وهو يعتقد أنه يحسن صنعًا. وقد أصدر بعده كتاب[2] حشر فيه من الخرافات والتأويلات ما فاق الافتراءات السابقة، وجاء فيه بالعجائب. فمثلا يقول: (وانتصر بنذير سيدي عبدالسلام وقصائده وموسيقاه على ترانيم الكنيسة يشير شيخنا العلامة القطعاني الى أساليب تصدي الإمام للطريق التنصيرية التي مارسها فرسان القديس يوحنا التنصيرية بنشر الترانيم التنصيرية عبر الكنائس وموسيقى نواقيسها، قائلا فيرد بالأسلوب عينه ويصوغ قيم الإسلام وعقائده

1) ذكر الرواية كذلك التاجوري في فتح العليم

2) قراءات جديدة في سيرة مجدد القرن العاشر الهجري، الإمام سيدي عبدالسلام الأسمر وشخصيات أخرى، أسامة علي بن هامل، منشورات مركز العلامة الليبي أحمد القطعاني، ليبيا، طرابلس، 2023م. ص: 198- 199.

وشريعته وأخلاقه وأعلامه في قوالب شعرية بعضها بالفصحى ليخاطب الأقلية المثقفة وغالبها باللسان العامي ليخاطب المجتمع كله في مقطوعات موسيقية من تأليفه يصحبها إيقاع البندير بالوزن المعروف في موسيقى المغرب العربي باسم (بطايحي) وهو إيقاع رائع خلاب أندلسي المنشأ، والنتيجة كما يؤكد الشيخ القطعاني: انتصر بندير الشيخ على ترانيم المستعمرين الغزاة فخرسوا واندثروا ونطق هو وانتشر لتشدوا بإبداعاته إلى اليوم القلوب النقية في ليبيا وتونس ومصر والنيجر وتركيا والهند والشام والحرمين الشريفين وغيرها).

ما نقله أسامة بن هامل، صاحب كتاب "قفة الصلاح"، عن شيخه القطعاني، لا يستند إلى مصدر تاريخي موثوق، وفيما يلي بيان ذلك: فالقصائد الشعرية التي نسبت فيما بعد للشيخ الأسمر ليس فيها إلا خرفات واستغاثة بأولياء أو الدعاء على الذين وقفوا ضد الشيخ الأسمر كهمام وعلام والفقيه الحامدي وأولاد غيث وغيرهم، أو ذكر للمشايخ الذين زعموا أن الشيخ الأسمر تفوق عليهم في مناظرات وهمية لا وجود لها. وتجدون نماذج من هذه الترانيم التي يدعي "قفة الصلاح" أن فيها صوغ لعقائد الإسلام وشريعته وأخلاقه في كتاب "النفحات الفيتورية في القصائد الأسمرية" أو ما صدر حديثا في كتاب "سفينة جمع البحور"[1] وهو تحقيق لم يُخضِع نصوص الكتاب لأي مساءلة نقدية في صحة نسبتها، وستكتشفون حقيقة الانحرافات العقدية والخرافات ونشر للشحناء والبغضاء بين قبائل، أو ادعاء للغيب وغيره مما هو مناف لما هو معلوم للدين بالضرورة. ولا شك أن معظمها وضعت بعده بقرون ونسبت له.

لعل السياق التاريخي يدل على أن تدريس العلوم الشرعية بزاوية الأسمر راج بها بعد تعهد علماء آل بن طاهر وآل عبد المحسن بالتدريس في الزاوية، إذ يبدو

---

1) سفينة جمع البحور، للشيخ القطب عبد السلام الأسمر الفيتوري، تحقيق د. محمد البسكري و د. محمد أنيس الحمادي، اصدار مركز الموسيقى العربية والمتوسطية، تونس، 2023م.

من دراسة وظيفتها في بداية أمرها أنها كانت مقتصرة على ترديد أوراد الطريقة العروسية والحضرة، والتي وردت حتى بعد الأسمر كما يحكي العياشي في رحلته[1].

ومازالت الكثير من الزوايا الصوفية إلى عهد قريب تقتصر على ترديد أذكار مخصوصة، ووظائف وأحزاب، ولا يوجد بها تدريس للقرآن أو علومه. ولم نجد أثرا تاريخيا موثوقا به يدل على أن أحدا كان يدرس بها في ذلك الوقت بحسب ما جاء في هذه المصادر التاريخية، وإن كانت بداية تدريس العلوم الدينية بزاوية الأسمر تحتاج إلى دراسة مستقلة بالبحث والتنقيب في تاريخ فقهاء القرن العاشر، والحادي عشر الهجري بزليتن، وكيف تطورت هذه الزوايا من الاكتفاء بأوراد الطرق الصوفية وترديدها إلى زوايا علمية تقوم بتدريس العلوم الشرعية واللغة العربية.

والسؤال الذي يطرح نفسه أمام هذا الكم التاريخي المحشو بالمتناقضات والخرافات: كيف استطاع من كتب عن الشيخ الأسمر أن يرسم لنا شخصية عالم عامل صوفي؟ أو مبتدع دجال ساحر –كما يقول عنه خصومه– الذين أخذوا من نفس هذه المصادر؟ مع أن القصص والنصوص متناقضة، وتدل في كثير من المواضع المختلفة من نفس الكتب والمخطوطات التي اعتمدوا عليها في رسم شخصيته أن الشيخ الأسمر كان متهما بالسحر والشعوذة ومدعيا للكرامة والغوثية والقطبية، وفيما صح منسوبا له من الزجل، وفوق ذلك المجاهرة بأنه يغيث وينفع في حياته وبعد مماته. وهنا مفارقة كبيرة وتناقض في رسم ملامح هذه الشخصية، فبعض النصوص تتعارض مع التصوف الصافي الذي يدعو للانشغال بعيوب النفس وتزكيتها. فهل كان الشيخ الأسمر يدّعي كل هذه الالقاب، ويبحث عن مجد شخصي في ذلك الوقت كما ينسب له كل هؤلاء؟، أم أن من أراد أن يروج له من مريدي الطرق الصوفية أساء له من حيث لم يدر بنسبة كل هذه الادعاءات والافتراءات إليه؟

1) قال العياشي في رحلته: ثم ارتحنا من هناك وارتحل معنا سيد عبد الله بن عبد السلام متولي الزاوية، من حفدة الشيخ سيد عبد السلام قاصدا للحج مع ثلاثة من أولاده وأتباعه، وكان من عادتهم السماع بالطار المزنج، قل ما يتركون ذلك في كل ليلة، لا يكادون يتركوننا من صوت الدفوف نحو الأربعة مقتفين في ذلك آثار جدهم فإنه كان يسمع بالدف . ص:186

أم أن الذين نشروا هذه الخرافات من بعده كانوا يبتغون من وراء ذلك مكاسب مادية في ذلك الوقت وترويجا لطريقته العروسية.؟

إذا كان الذين كتبوا عنه حديثا قد انتقوا من نفس المصادر ما يؤيد أنه كان عالما ومربيًا، تجد نصوصا أخرى تدل على أنه كان مجذوبا، وبعض النصوص الأخرى تشير إلى أنه كان ساحرا ومدعيًا للكرامة والولاية بسبب الخرافات التي نسبت له، وهو ما يتنافى مع أسس العقيدة الإسلامية والتصوف الإسلامي المعتدل البعيد عن الخرافة والدجل.

ذكر الدكتور خالد المحجوبي هذه المتناقضات الموجودة في المصادر التي رسمت شخصية الأسمر، وانتقد الانتقائية التي انتهجها بعض من كتبوا عن الشيخ الأسمر فعلق قائلا: "لقد أسدلتْ مجمل كتابات الشيخ عبد السلام الأسمر أمام الباحثين ستارًا أعاق دقة فهم شخصيته، ومعالم منهجه. كما جعل من المتعذر تحديد قيمته العلمية، ذلك كله عائد إلى الازدواجية التي تظهر في مجمل كتابات الشيخ، حيث نجد في بعضها شخصية سلفية منتهجة سبيل النصوص المؤسسة للشريعة – أي القرآن، والحديث النبوي – بمنهج ظاهري غير مناقض لمنهج الفقهاء. في الوقت نفسه نجد كتابات للشيخ تكشف عن شخصية مغرقة في الخيالات، غائصة في الخرافات، مترعة بالغنوصيات، التي لم يستطع قبولها كثير من أتباع الطريقة العروسية السلامية نفسها، فضلا عن غيرهم". [1]

من الواضح من خلال قراءة هذه المصادر أن معظم هذه القصص والروايات عن الشيخ الأسمر قد اختُلقت بعد وفاته على مدى عقود وقرون مختلفة. وقد أساء الذين كتبوا عن الشيخ الأسمر ونسبوا له كل هذه القصص والأقوال أبلغ إساءة إلى أحد أشهر مؤسسي أشهر الطرق الصوفية بليبيا والمغرب العربي، من حيث كانوا يعتقدون أنهم يحسنون صنعًا.

إن هذا الاعتقاد مبني على دراسة متكاملة لمعظم ما ورد في المخطوطات والكتب التي تحدثت عن سيرة الشيخ الأسمر وما فيها من تناقضات وتحريفات، كما سنرى في هذا الكتاب.

---

1) الشيخ الأسمر وكتاباته: بين الدس والاختلاق، بحث للدكتور خالد إبراهيم المحجوبي، مجلة ثقافة، العدد الأول، خريف 2013م، تصدر عن وزارة الثقافة والمجتمع المدني، ص:34.

إن هذا التناقض في هذه المصادر في سردها لسيرة الشيخ الأسمر من مربٍ وصوفي، ثم إلى مجذوب ومدّعٍ للكرامة قد يكون مقبولا في القرون الماضية، بحكم التساهل في قبول هذه الخرافات، وغياب النقد العلمي الموضوعي، والوعي الديني الصحيح، ولكننا اليوم، وبعد انتشار العلم والمعرفة في عالمنا العربي والإسلامي، وفي ليبيا خصوصا، نجد جنوحا من اتباع الطرق الصوفية إلى الانتقاء من سيرة الشيخ الأسمر الواردة في هذه المصادر بما يتلاءم مع التطور في مفاهيم وثقافة الناس ومسايرة روح العصر.

ولذلك أُهملت القصص المتعلقة بالخرافات واكتفى الباحثون بما يناسب طبيعة العصر من انتقاء لبعض النصوص من الكتب التي تناولت سيرة الشيخ الأسمر، واجراء دراسات أدبية أو لغوية أو فقهية وغيرها.

وحتى لا نبتعد كثيرا عما نسب للشيخ الأسمر من أقوال وأفعال تخالف أصول العقيدة الإسلامية فإننا نكتفي بذكر بعض النصوص التي نسبت إليه في كتاب "الوصية الكبرى"[1] حيث يقول: " إخواني والله ثم والله من عنت على الفقراء المنتسبين إلى الله تعالى وإلينا فينسلب من عقله ودينه لأنه عرض نفسه إلى الهلاك بسبب رده علينا تعنيتا، .... لابد من التسليم لكل معارض لكم سواء كان فقيها عالما أو ظالما أو جاهلا أو عاصيًا مجاهرا بالمعاصي الكبائر أو كيف كان فسلموا له واتركوه وأعلموني بما فعل بكم إن كنتُ حيا أو ميتا فتوجهوا لناحيتي ونادوني وخلوا بيني وبين المعارض لكم؛ فإن الحق يظهر لكم...". فهل يمكن نسبة هذا الكلام لمربٍ صوفي يدّعي النفع والضّر بعد مماته؟ أم أن من نسب هذا إلى الشيخ الأسمر كان مروجا لهذه الخرافات لتحقيق مكاسب مادية واجتماعية وتحشيدا لطريقته الصوفية.

ويقول فيما نسب إليه في كتاب "الوصية الكبرى"[2]:" إخواني فاتبعوا مشايخكم واشكروا فضلهم لأنهم هم أقطاب الدنيا وعمادها وأوتادها، فمن استغاث بهم أغاثه الله ومن توسل بهم عصمه الله، ومن تحصن بهم حفظه الله، ومن زارهم أعطاه ما اشتهاه، لأنهم العروة الوثقى التي لا انفصام لها ".

---

1) الوصية الكبرى، عبد السلام الأسمر، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، ص:41.

2) الوصية الكبرى ص: 71.

فهل يصح نسبة هذا الكلام لعالم مسلم؟، لأن هذا الكلام لا يصدر إلا عن جاهل بالعقيدة الإسلامية وأصولها. وحاشا الشيخ الأسمر من ذلك.

ويقول في الوصية الكبرى المنحولة إليه : "إخواني والله ثم والله من أنكر طريقتنا وحاد عنها لم يرد على الحوض، والله ثم والله من انكر علينا بالغرض والنكر النفساني يموت على غير الهدى وربما يموت كافرا إن شاء ويموت يهوديا أو نصرانيا والعياذ بالله منه، والله ثم والله من رجع عن طريقتنا فهو عند الله وعندنا كالمرتد عن دينه، والله ثم والله من انتسب إلى طريقتنا وفر منها فرار حتى لا يعود إليها فإنه يموت مشركا ويحبط عمله، والله ثم والله ومن تعجرف علينا وأستهزأ بنا وتكبر علينا بغيرنا فلا تظهر له نتائج ولا بركة ولا يرفع الله له درجة ولا تفلح له شجرة. والله ثم والله لم يربح من عاندنا ...، والله ثم والله من زاحم علينا بجواده وتكبر علينا بأضداده وأجناده وبأهل بلده أرجو الله أن يفقد ماله وسعيه وأولاده"[1].

وكل العجب من كل هذا التهديد والترهيب من الإعراض أو الهجر للطريقة العروسية، والتي في الحقيقة ما هي إلا ترك بعض الأوراد والأحزاب والتي ليست من الفروض في ديننا الإسلامي.

ولا يحتاج هذا النص إلى نقد ولا إلى تعليق فلا يتوقع أن يصدر عمن له أدنى فهم بدين الإسلام. ويبدو من خلال كل هذا الترهيب من ترك الطريقة العروسية شدة الصراع بين الطرق الصوفية في استقطاب المريدين والتحشيد لها والاحتفاظ بهم وزيادة عددهم.

والسؤال ما هي طريقته التي إذا حاد عنها الحائد صار كالمرتد عن دينه؟ أليست عبارة عن أذكار منتقاة كغيرها، وكالتي يرددها أصحاب الطرق الأخرى؟ وهب أن مسلما لم يسمع بها طيلة حياته فهل ستغير من قربه أو بعده عن الله شيئا؟ إنه التعصب الطرقي الذي كان سائدا في تلك الأيام، إنه سبب كل هذه الافتراءات، المنحولة للشيخ الأسمر.

جاء في الوصية الكبرى: "وفي هذه العشرة يظهر رجل طويل القامة أسود ساحر، ويزعم أنه ولي صالح، وفي جبهته الجدري أقطع من أحد رجليه، وقد يتبعه

1) الوصية الكبرى ص: 67.

الناس فمن حضره منكم فلينزع شاشيته من رأسه فيجد في جبهته سطرا مكتوبا على جبهته بالسواد، وفيه يا مموه يا كذاب يا مخصوصًا باللعنة والغضب والخزي، وهو رجل رقيق موشم في زنديه الاثنين، ويركب فرسا رقطاء وفي يده سباطه"[1]. ويواصل صاحب الوصية حديثه بالقول: " إخواني: لا تتبعوه فهو شيطان من شياطين الأنس وساحر وكذاب وهو اسمه خلف الله، ويقتله رجل من الأشراف من مدينة طرابلس".

وهذا يكشف بوضوح ادعاءً لعلم الغيب وقصة نسجت على منوال ما جاء في بعض أحاديث الدجال.

فالشيخ أحمد الباز مثلا، لم يرد أي دليل تاريخي على أنه كان عالما أو فقيها له مؤلفات في عصره، أو درس أي علم من العلوم، ولا أن له تلاميذ أخذوا عنه. وقد كانت الزاوية من أشهر الزوايا في تدريس القرآن الكريم والفقه بل وعلم الفلك واللغة العربية. ولكننا لم نسمع بتلك الهالة التي نسبت للشيخ أحمد الباز إلا من بعض الكرامات اختفت فيما بعد بالرغم من وجود الشيخ الباز في مدينة زليتن قبل الشيخ الأسمر. ولو كانت له طريقة صوفية وأتباع لربما تحولت شخصيته بعد عقود من الزمن إلى أحد علماء العصر، ولربما نسبت له كتب، ومؤلفات، أو وصايا، ورسائل مع مرور العقود، أو القرون.

إن بناء المساجد والتكايا والزوايا على قبور الصالحين والدراويش والمجاذيب كان سائدا في مدة الانحطاط التي مرت بها الأمة الإسلامية في عصورها المتأخرة نسبيا. وهناك العديد من الشواهد في مدينة زليتن على مساجد، وزوايا بنيت على أضرحة لعلماء أو مجاذيب، بل وعلى بقايا أثار وأضرحة رومانية قديمة كما يذكر باولودي لاشيلا في كتابه أثناء مروره بزليتن مرافقا للحملة "أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة سنة 1817 م"[2]، حيث يقول: "وتحولت الكثير من الآثار القديمة إلى مقابر وأضرحة للمرابطية"[3].

---

1) الوصية الكبرى ص 126- 127.

2) الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة سنة 1817 م، الدكتور باولو دي لا شيلا، ترجمة الدكتور الهادي أبو لقمة، منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس ليبيا، 1968م.

3) المصدر السابق ص: 40.

ولم يقتصر الأمر إلى هذا الحد فقد تحولت بعض الحصون الرومانية إلى أماكن مقدسة تحاك وتنسج حولها الخرافات، وتقدم فيها القرابين مثل ما يسمى في مدينة زليتن بمنطقة السبعة في عقود سابقة، والتي تعرف عند عامة الناس "بالفوقه"، وهي منطقة مرتفعة نسبيا كانت حصنا رومانيا مازالت بقايا الآثار والأحجار الكبيرة وبقايا رانات[1] القبور الرومانية شاهدا على هذه الآثار[2]. كما اكتشف نفق يصل بقايا الحص بالطريق عندما قام بحفر خزان للمياه فوجدوا النفق الذي استفادوا من وجوده في سرعة إتمام الحفر وقفل جانبيه واستغلاله كخزان للمياه.

ولعل سبب عدم وجود طريقة صوفية واتباع للشيخ الباز، تولي علماء بني قنون "آل قنونو" التدريس والأشراف على هذه الزاوية وخدمتها سبب آخر. وآل قنونو أسرة أندلسية هاجرت إلى زليتن واستقرت بها وتوارثت العلم من قديم، ويرجح تاريخ دخولهم إلى زليتن بعد سقوط غرناطة سنة 1492 هـ، وإن كان هناك روايات شفهية تفتقر إلى التوثيق أن الزاوية تأسست سنة 621 هجرية. ومنذ قرون كانت زليتن حافلة بالأضرحة والمزارات التي يزورها الناس للتبرك، وقضاء الحوائج وخاصة في وقت انتشار الطرق الصوفية، حيث لجأ الناس إليها نظرا لقلة الأطباء والتخلف الحضاري في ذلك الوقت.

وقد انتشرت هذه المزارات والأضرحة وشُدتْ إليها الرحال ليستغاث بها، وتُقدم لهم الهدايا والقرابين، وقد اشتهر في زليتن مجموعة من أصحاب الأضرحة، كل منهم قد تخصص –في نظر العوام – بعلاج مرض من الأمراض، أو حل مشاكل اجتماعية محددة، كما يروج البسطاء من الناس.

---

1) الران عبارة عن حفرة في الصخر يوضع فيها رفات الميت ومعه بعض النقود والاغراض الخاصة بحسب حالته المادية وعادة توجد علامات خاصة لوجود هذه المدافن، وتغلق بما يعرف بطينة الحكمة. معظم الرانات -تجويف في الصخر يوضع فيه رفات الموتى مع بعض النقود - فتحت منذ العهد العثماني والإيطالي وتبدو على هيئة حفر بحجم الجرار الصغيرة في الصخر الذي كان غرب موقع الزاوية القديمة، كم كانت أساسات الحصن باقية إلى فترة الثمانينات. وهي من المواقع الأثرية القديمة بزليتن.

2) أسس الشيخ عثمان بن محمد بن بركة رحمه الله حوالي سنة 1270 هـ، زاوية لتحفيظ القرآن والتدريس، وأوقف عليها هو وأخوه الشيخ محمد بن بركة رحمهما الله أوقافا كثيرة. معجم البلدان الليبية، الطاهر الزاوي، ص: 162.

وقد ذكر عبد السلام بن عثمان التاجوري في كتابه "الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات"[1] الكثير من المزارات التي كانت قائمة في عصره، وبقي منهم اليوم ضريح الشيخ أحمد الباز، وعبد السلام الأسمر، وأبو رقية، وزلي، ومفتاح، ومخلوف، وحامد، ولكنها أزيلت في أعقاب ثورة السابع عشر من فبراير، بهدم وإتلاف أكثرها عن طريق أتباع الجماعات السلفية.

في ذلك الجو المليء بالخرافة قبل قرنين، كان من السهل الترويج لهذه الشخصيات بدافع المكاسب المادية، والمركز الاجتماعي، والتحشيد للطرق الصوفية. والذين روجوا في الماضي للشيخ الأسمر هم أنفسهم الذين يروجون له اليوم، نظرا للمكاسب المادية والمعنوية التي يجنيها بعض المنتسبين للطريقة.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل نكتشف من دراسة كتاب "روضة الأزهار" أن النصوص المتعلقة بالشيخ الأسمر قد نسخت حرفيًا من كتب أخرى دون الإشارة إلى ذلك، ونسبت للشيخ أو أحد مريديه، وأمثلة ذلك النقل الحرفي من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني، والمفاخر العلية في المآثر الشاذلية، وسيرة الشيخ أحمد البدوي، والدسوقي، وغيرها من كتب التصوف، وما فيها من روايات الكرامات، وتحريفها ونسبة هذه الكرامات للشيخ الأسمر بتغيير الأسماء الواردة فيها. أي أن كتاب روضة الأزهار كان محاولة لإعادة صناعة كرامات للشيخ، وتضخيمًا لسيرته مثل ما سبقه من الأولياء وبما يتوافق مع ثقافة ذلك العصر الذي سادت فيه ثقافة الخرافة والمجاذيب. وما يصنعونه من كرامات وخوارق جعلت من هذه الشخصية محط نظر وتقديس بحسب ثقافة ذلك العصر، وقد امتدت أثارها إلى يومنا هذا. وكانت هذه الكتابات قد أساءت قديما وحديثا أبلغ إساءة لسيرة الشيخ عبد السلام الأسمر.

ومما هو جدير بالتأمل أن التاريخ قد حفظ في نفس المصادر قصصًا تدل على وقوف نخبة من العلماء في وجه الشيخ عبد السلام الأسمر متهمين إياه بالبدعة والسحر والشعوذة، كما حفظ لنا ذلك أيضا في نفس الكتب المنحولة لكريم

---

1) الاشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، عبد السلام بن عثمان، طبع بمطبعة الولاية علة نفقة الحكومة الإيطالية 1921م.

الدين البرموني وغيره مثل عمر بن جحا أو شخصيات لا وجود لها مثل الشيخ عبد الرحمن المكي.

ولهذا فإن هذه المتناقضات تحتاج إلى إعادة البحث في سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر واستخلاص سيرته الحقيقية من خلال هذا الكم المحشو بالمتناقضات وهذا ما حاول أن يصل إليه الباحث في هذا الكتاب.

قد يبدو الحديث مبكراً في هذه المقدمة عن النتائج التي وصلت إليها هذه الدراسة من البحث في سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر، ولكن ما سنبينه في هذا الكتاب بالنصوص، والمصادر، والتحليل الموضوعي، سيكشف عن تزوير وتحريف امتد لعدة قرون لشخصية صوفية ليبية ملأت شهرتها البلاد الليبية، وبعض الدول العربية الأخرى.

ولم ينتبه الذين كتبوا عن سيرته لهذا التحريف، ولا إلى ما نسب له من الافتراءات، لأن معظم الذين عُنوا بسيرة الشيخ الأسمر ينقسمون إلى قسمين: فبعضهم سلّم بكل ما وصل إليهم دون تمحيص وتحقيق، والفريق الآخر دفعتهم نزعتهم الصوفية إلى الابتعاد عن الدراسة العلمية الموضوعية، وإعادة صياغة لما كُتب في روضة الأزهار وغيرها من المصادر، وبعض المخطوطات التي لم تحقق بعد. ولعل أبرز هذه الدراسات الحديثة كما ذكرت أطروحة الدكتور مصطفى بن رابعة، وكتاب الشيخ أحمد القطعاني "القطب الأنور عبد السلام الأسمر"[1] وبعض الحلقات الوثائقية المرئية. إن القارئ لهذا الكتاب سيكتشف حقيقة بقيت خفية وغائبة لعدة قرون، وساهم في إخفائها التيار الصوفي المنحرف الذي ساد في القرون الماضية، وبقي محاطًا بسياج من القدسية، وبحماية سلطة الدولة التي كانت تتبنى أقطاب هذا التيار.

وفي عصرنا هذا لم يحاول أحد من الباحثين –بشكل واضح وجريء– اقتحام أسوار الخرافة ونقدها، وبيان التزوير والتحريف الذي حدث في تاريخ ليبيا الصوفي ورجاله، ولكن آن الأوان لهذه الافتراءات أن تُبيّن وتظهر الحقيقة بعدما طويت تحت غبار هذه العقود المظلمة.

---

1) القطب الأنور عبد السلام الأسمر، أحمد القطعاني، الطبعة الثانية، 1993م.

تجدر الإشارة، في ختام هذه المقدمة، إلى إشكالية منهجية جوهرية تتعلق بالموقف من النصوص الصوفية التاريخية، إذ يتردد الباحث أحياناً بين التشكيك في مصداقيتها والاستناد إليها في آنٍ واحد. وهذا التوتر المنهجي ليس طارئاً، بل هو في صميم علم النقد الحديث. فمن المُسلَّم به في الدراسات الأكاديمية أن هذه النصوص قد طالها التحريف وخضعت لمراحل تطور تاريخية متعاقبة تخللتها عمليات الحذف والإضافة وإدراج نصوص دخيلة عليها. فإذا كانت النصوص قد خضعت لتحرير مكثف، فإن محدودية الاعتماد على نسخها الراهنة تغدو ظاهرة، إذ تتداخل فيها نصوص من قرون مختلفة، حيث تتجاور التحريرات اللاحقة مع النصوص الأقدم، ومن دون التمييز بين هذه الطبقات وفهم سياقاتها الأصلية، يتعذّر توظيف هذه الكتب كمصادر تاريخية موثوقة لأي حقبة.

وتُعدّ إعادة قراءة هذه النصوص نقدياً وكشف تناقضاتها الداخلية مدخلاً علمياً راسخاً، إذ إن التناقضات في النصوص هي النتيجة المباشرة لدمج مصادر متعارضة، وحين يُعنى الباحث بهذه المقاطع المتناقضة فهو في الواقع يمارس تحليلاً أولياً في سياق النقد التحريري. وقد أفرز هذا الوعي مناهج نقدية متخصصة، إذ يفحص النقد النصي المخطوطات لتحديد ما قاله النص الأصلي على الأرجح، فيما يبحث نقد المصادر في النص عن أدلة تكشف المصادر الأصلية التي استُقي منها، أما نقد الصياغة فيُحدد الوحدات النصية القصيرة ساعياً إلى استجلاء السياق الذي نشأت فيه، وقد تطور لاحقاً نقد التحرير بوصفه امتداداً لنقد المصادر والصياغة معاً. وفي هذا الإطار، يُعنى نقد التحرير تحديداً بما يهم منهجنا في هذا الكتاب؛ فهو يتعامل مع مؤلف النص باعتباره محرراً لمواد مصدرية سابقة، وبدلاً من الاكتفاء بدراسة أجزاء النص منفردة، يُركز على الكيفية التي شكّل بها المحرر السرديةَ وصاغها لخدمة أغراض خاصة وأيديولوجية بعينها. وقد رصد الباحثون جملةً من التقنيات التحريرية الموثقة في هذا الإطار، من بينها إضافة مقدمات تمهيدية، والتوفيق بين الروايات، والدمج بين المصادر، وإلحاق ملاحق، والتكرار الاسترجاعي.

أما المنهج الذي يتبناه هذا الكتاب فيستلهم آليته من المنطق التحقيقي التاريخي النقدي ذاته؛ إذ يقوم النقد التاريخي على مبدأ إرجاء الحكم على صحة النص

وملاءمته حتى يُستكمل التفسير، وهو ما يعني ضرورة فهم النص في ضوء سياقه الزمني والمكاني قبل إصدار أي حكم نهائي عليه. ويُشبه ذلك عمل المحقق القضائي الذي يستخلص من أقوال المتهم – صادقةً كانت أم كاذبة – خيوطَ الحقيقة، عبر تفكيك النصوص المتناقضة ومساءلتها، ومقارنتها بالشواهد التاريخية المتاحة. ففي نقد الصياغة يُرصد التكرار والتشعبات التي يتعذر التوفيق بينها للتحقق من التماسك الداخلي للنصوص ثم تُجزأ إلى وحدات أولية مستقاة من مصادر شتى، أما نقد التحرير فيسعى إلى تحديد التعديلات التي أجراها محرر النسخة الأخيرة. وهكذا يقوم هذا الكتاب بترميم النصوص وإعادة تركيب معطياتها في صورة تقترب من الحقيقة التاريخية التي طمستها يد التحريف.

الباب الأول

السياق التاريخي والبيئة الثقافية

عصر الشيخ عبد السلام الأسمر

تمكن التيار الصوفي المتمثل في المرابطين من الوصول إلى السلطة في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر، حتى احتل الإسبان طرابلس سنة 1510م وبقوا فيها إلى سنة 1530م بعد أن منحوها لفرسان القديس يوحنا، فقاد التيار الصوفي المقاومة من تاجوراء ولم يتمكنوا من هزيمة فرسان القديس يوحنا إلا بمساعدة العثمانيين سنة 1551 م، وبعد تحرير طرابلس من فرسان القديس يوحنا بقيادة درغوت باشا وتبعية طرابلس للسلطنة العثمانية لم يعد للمرابطين شيء إلا التمتع ببعض المزايا الضرائبية، وأصبحت السلطة في يد العثمانيين الأتراك، وهي القوة التي وطدت حكم العثمانيين في طرابلس وغيرها من المدن الليبية.

حدثت أول ثورة كبيرة على العثمانيين بقيادة يحي بن يحيى السويدي الزرهوني[1] في نهاية القرن العاشر الهجري، وكادت هذه الثورة أن تنزع سلطة العثمانيين في العديد من المناطق الداخلية، واستطاعت هزيمة الأتراك العثمانيين في معركة مسلاته التي كسر فيها جيش جعفر باشا، وقتل فيها نحو الألف وأكثرهم من زليتن وما حولها[2]، والتي أدت عواقبها فيما بعد إلى مقتل عمران بن الشيخ عبد السلام الأسمر (996 هـ) لوقوفه إلى طرف جعفر باشا الوالي التركي في ذلك الوقت في مواجهة ثورة السويدي، وفي هذه الاثناء استطاع العثمانيون تشجيع الحركات الصوفية والمجاذيب بإعفائهم من الضرائب ومنحهم بعض المميزات إذ رأت في مثل هذه الحركات الصوفية فرض سلطة الدولة عبر مشايخ هذه الطرق واستمالت ولاءهم، فشجعت الزوايا والتكايا والمجاذيب.

استطاع هذا التيار السيطرة على عقلية المجتمع، فظهر تيار مضاد له ليحد من سطوته تمثل في التيار الإصلاحي من علماء الدين، ولاسيما القادمين من الأزهر، فحاربوا هذا النوع من التصوف، وتمثل هذا التيار في: علي عبد الصادق، وابن غلبون المصراتي، وسالم بن قنونو الزليتني، وقد وجد هذا التيار دعمًا من الدولة (الباشا) في بداية الأمر المتمثلة في خليل باشا ثم أحمد باشا القره مانلي.

1) الأرجح كتابتها الزهروني وترجع إلى معتمدية الزهروني وهي تابعة لمنطقة السيجومي غرب تونس العاصمة

2) التذكار ص: 177.

وجد هذا التيار الصوفي نفسه في موقف حرج أمام التيار الإصلاحي، فظهرت كتب المناقب والكرامات التي تسند لبعض الأولياء بعض الخوارق والكرامات، وترفع من شأنهم بطريقة أسطورية، كما ظهرت حركات صوفية معتدلة تحاول أن تعيد التصوف إلى أصله الشاذلي مثل الطريقة المدنية، وبذلك انقسمت البلاد في التصوف بين تيارين، تيار التصوف الغيبي وتيار التصوف الشاذلي.

إن كتاب روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار المنحول لكريم الدين البرموني، وفتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم لعبد السلام التاجوري، عبر نصوصهما يشكلان التصور الصوفي لسيرة عبد السلام الأسمر، ولا شك أن هذا التصور يستمد مقوماته من المصلحة التي تهم أصحاب هذا التصور.

عاش الشيخ عبد السلام بن سليم، المشهور بالأسمر في القرن العاشر الهجري بزليتن، حيث اختلفت الروايات التاريخية حوله، وتباينت في شأنه، فعده بعضهم من المتصوفة المحققين ورجاله الصادقين، بينما جزم آخرون بجذبه في أول أمره وآخره، ومع ذلك نال من الشهرة ما لم ينله غيره وحظي من تقديس العوام وإجلالهم، ما لم يحظَ به أي صوفي في القرن العاشر الهجري، بل تجاوزت هذه الشهرة موطنه زليتن إلى القرى والمدن المجاورة، بل ووصل نفوذه خارج العالم العربي، لكننا نعتقد أنه كون تيارًا صوفيًا له قبل هجرته إلى ليبيا، فقد كان معروفا بالجذب بالمغرب بمدينة فاس، ومعاصرًا للشيخ عبدالرحمن المجذوب بمدينة فاس قبل رحلته إلى تونس ومنها إلى طرابلس، وهذا ما سنبينه بتفصيل في العناوين القادمة. وهكذا بقي الشيخ الأسمر مسيطرا على الحياة الصوفية في البلاد الليبية.

لم يكن عبد السلام الأسمر الممثل الوحيد للحياة الصوفية في ليبيا في القرن العاشر الهجري، ولا كان أول مجذوب عرفته ليبيا خلال تلك الحقبة من الزمن، فأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني المشهور بالحطاب الكبير، كان يحظى باحترام الخاصة والعامة في طرابلس الغرب، وكان أستاذ الكثيرين من متصوفة طرابلس وما حولها، وتجاوز تأثير تلميذه محمد بن علي الخروبي طرابلس إلى إقليم المغرب العربي، ولاسيما الأوسط.

كذلك كانت تنتاب المجذوب خليفة أبوغرارة نوبات من الغيبوبة والصرع أثناء حضور السماع في مجلس الحطاب السالف الذكر، وكان إذا أخذه الحال يجعل

حبلا في رقبته ويدفعه لبعض الفقراء فيأخذه ويطوف به في الأسواق بأمره، ولعل ما يقوم به مشهور في التراث الصوفي في المشرق.

من دراسة الواقع الاجتماعي قبل أربعة قرون مضت نلاحظ أن الشيخ الأسمر لم يكن شخصية صوفية عاشت ردحًا من الزمن ثم انقضت، بل كان –رحمه الله–ظاهرة اجتماعية مازالت تستحوذ على عقول فئة غزيرة من المجتمع، وذلك من خلال انتشار طريقته العروسية و زواياها داخل هذه البلاد وخارجها، وترديد بعض الأقوال والقصائد باللغة العامية ، على ألسنة أتباعه ومريديه مع ضربات الدف، بل سيطر نفوذه على أفكار كثير من العوام فرفعته في بعض تصرفاته إلى درجة الرسل والملائكة، وصارت تعتقد في نفعه وضره، وهو راقد في قبره منذ أكثر من أربعة قرون، ولم يدرك هؤلاء أنهم ضحايا تراث خرافي انهزامي ونصوص غيبية، أعطت البعد الأسطوري لحياة الرجل وصورته – حيا وميتا – بالتصرف في حياة الناس وأحوالهم.

إن تسليط الضوء على الجوانب السلبية في تصوفه التي وصلت حد المعجزات لا يعني الانتقاص منه أو من اتباعه، ولكن محاولة للبحث عن الحقيقة التاريخية لرسم الصورة الحقيقية للشيخ عبد السلام الأسمر، والتي يحمل تبعاتها من جاء بعده في تشويه تاريخه وصورته الحقيقية، وإتهام هؤلاء بإغراق تاريخنا الفكري وتراثنا الصوفي في غياهب الأساطير والمعتقدات الغيبية التي مازالت أثارها سارية المفعول إلى يومنا هذا، وهو ما تؤكده بعض المحاولات المكتوبة لإقناعنا بأن ما كتب عنه يمثل تاريخًا حقيقيًا للشيخ الأسمر، و أن ما نسب له من كتب ورسائل كانت من تأليفه وما قيل من قصائد من كلامه، وأن خوارق هذا الرجل وكراماته كانت ومازالت نافذة، إنما الأمر فقط متوقف على إخلاص نياتنا في تصديقها من عدمه، كما اشتهر ذلك حديثا في كتابات الشيخ أحمد القطعاني، وبعض مريديه ذوي العقول المعطلة عن التفكير.

هذا الكتاب مساهمة في إعادة مراجعة النصوص التي كتبت عن الشيخ الأسمر، ودراستها ونقدها، ومحاولة لرسم صورة حقيقية من خلال غربلة كل هذه الخرافات والأساطير، والتحريف المتعمد والمستمر لتاريخه، ومحاولة لتحليل النصوص التي تم تحريفها وإعادة قراءتها من جديد، وللاستفادة من

نتائج هذه الدراسة لتصحيح تاريخ شخصيات أخرى ونصوص تاريخية أخرى في تاريخ بلادنا خدمة لأجيالنا في العصر الحاضر والمستقبل.

وعلى قدر أهمية دراسة تاريخ التصوف في ليبيا، فإنه يزخر بكم هائل من الكرامات والغيبيات والمعتقدات الخرافية، ومما يلفت النظر أن يأتي بعض الفقهاء ويعيدوا صياغة الخوارق والغيبيات المنحولة إلى الشيخ الأسمر بأسلوب حديث يتناسب مع ثقافة العصر وتحديثها مع حذف بعض هذه الخوارق، وانتقاء بعض النصوص دون التحقق من صحة نسبة هذه الأقوال والأفعال له.

لم يصل إلى أيدينا من الكتب التي ألفها الشيخ عبد السلام الأسمر إلا كتاب "الوصية الكبرى"، والوصية الصغرى، أو بعض القصائد والأحزاب التي وردت نصوصها في كتاب "فتح العليم لعبد السلام التاجوري" و"روضة الأزهار للبرموني"، مع ما طرأ عليها من تعديل وإضافات متلاحقة، على افتراض أنها حقيقة من تأليف الشيخ الأسمر.

كما أن بعض الكتب الأخرى هي صناعة حديثة وسنفردها بعنوان خاص لبيان عدم صحة نسبتها إليه.

هذه الوصية التي يُزعم أن الأسمر مؤلفها تحتوي على بعض النصائح والمواعظ موجهة لاتباعه، وهي تتميز بأسلوب عادي بسيط في معظمه وليس هناك ترابط واضح بين الوصايا الموجودة في هذه الوصية، وكذلك تحتوي على ذكر لأسانيد الطريقة العروسية وبعض الأحزاب والأوراد كما أسلفنا، وقد اعتنت بالجانب السلوكي والأخلاقي، وبعض الكتب الأخرى مثل "التحدث بالنعمة"[1] وهذه الكتب على الأرجح كتبت في القرن الثالث عشر الهجري أو بعده، ونسبت له مع ما نسب له من قصائد، ولا يوجد مخطوطة واحدة إلى الآن قريبة من القرن العاشر أو الحادي عشر الهجري.

لعل ما ضاعف من مكانة الشيخ الأسمر بين العامة والخاصة، وزاد من اتباع بسطاء الناس له ولاسيما بعد وفاته انتسابه إلى "الأشراف"، وهو على ما يبدو من التحقيق التاريخي لسيرته لم يدعِه عندما كان بفاس مسقط رأسه ومولده، لكنه

1) التحدث بالنعمة، كتاب نسب زورا للشيخ عبد السلام الأسمر. يذكر الدكتور الهرامة في عدة تعليقات أن نسبة بعض القصائد مشكوك في صحة نسبتها للأسمر، أنظر مثلا هامش ص: 408 من كتاب روضة الأزهار.

ظهر في المؤلفات التي نسبت له أو عنه فيما بعد، فظاهرة الأشراف قد اكتسبت طابعها الروحي والدنيوي لدى المتصوفة على مر العصور الإسلامية، وقد شجعت الدولة العثمانية انتشار هذه الظاهرة بين أهل التصوف بطريق غير مباشر، فأعفت الأشراف من دفع الضرائب والالتزامات المالية؛ فحافظت بذلك على مسلك احترام الأشراف وتقديسهم، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك بأن الخلاص لا يتم إلا على أيديهم عن طريق الشفاعة يوم القيامة، والخلاص من الفساد الاجتماعي والخلاص من الكفار الذين يحاولون احتلال الشواطئ، ويجوبون البحار لأسر أمراء المسلمين.

ثم إن هذه السلطة العثمانية دعمت هذه الفرق الصوفية؛ لعدم اللحاق بالعصاة والفارين من السلطة الذين يتحصنون بهذه الزوايا، كل هذا التشجيع والدعم أدى في كثير من الحالات إلى زيادة الانضمام لهذه الطرق الصوفية، وأحيانا الادعاء بالنسب الشريف لمؤسسيها.

وحتى نتعرف على جوانب شخصية الشيخ عبد السلام الأسمر من خلال دراسة عصره ينبغي أن نبدأ من تاريخ ميلاده سنة 881هـ وهي بداية العصر الحديث، إذ عرف المجتمع الليبي في هذا العصر ظاهرة الطرق الصوفية التي جاءت إليه من المغرب الأقصى، وانتشرت في الشمال الأفريقي المتمثلة في الطريقة الشاذلية التي لقيت تطورا ملحوظا على يد الشيخ أحمد زروق الذي انتشرت طريقته في المغرب العربي كله، وعرف المجتمع الليبي أيضا الطريقة الدهمانية التي يمثلها الشيخ محمد الحطاب الكبير. هذان الشيخان يحظيان باحترام الخاصة والعامة وكانا أستاذين لكثير من متصوفة بلادنا وما حولها، ومن أشهر تلاميذهما محمد بن علي الخروبي، الذي تجاوز تأثيره منطقة طرابلس إلى إقليم المغرب العربي، ولاسيما المغرب الأوسط "الجزائر".

وعرفت بلادنا كذلك في بداية العصر الحديث نموذجًا آخر من العناصر الصوفية وهم المجاذيب أو الدراويش، وكان كثير من الفقهاء يعتقدون في هؤلاء الدراويش ويذكرونهم بوصفهم شيوخًا لهم، وهو ما نلاحظه في مخطوط الخروبي[1] الذي يذكر بعضا منهم ويعدّهم شيوخًا له رغم أميتهم وجذبهم، فيقول

1) شيوخ محمد بن علي الخروبي، محمد الخروبي، مخطوط، مركز الدراسات التاريخية، طرابلس- ليبيا

عن المجذوب خليفة أبوغرارة: "وممن عرفناه وخدمناه وله مشيخة وفينا تربية الشيخ القطب الغوث العارف بالله تعالى ذو المجاهدات العظيمة والأحوال الزكية شيخ زمانه ووحيد أقرانه. وكانت تنتاب هذا المجذوب نوبات من الصرع والغيبوبة أثناء حضوره السماع، وكان إذا أخذه الحال يجعل في رقبته حبلا ويدفعه لبعض الفقراء يأخذه ويطوف به في الأسواق بأمره. ويفسر مؤرخو التصوف الجذب بأنه يهبط من الله ويستقر في قلوب هؤلاء، ويقسمونه إلى قسمين "المأخوذين في ابتداء أمرهم في طريق المحبين "الذين يحبون الله" والمأخوذين في طريق المحبوبين "الذين يحبهم الله".

وبتحليل النصوص التي بين أيدينا ومن خلال الوثائق الليبية التي ترسم الصورة الموروثة عن شخصية الشيخ عبد السلام الأسمر، نلاحظ أن زعامته لم تتكون في القرن العاشر بل انطلقت في القرون التالية أي بعد وفاته، وظلت متواصلة، وسنرى في بقية فصول الكتاب تأليف كتب ورسائل حديثه وأقوال ونسبتُها إليه، وقبل الخوض في تحليل هذه النصوص ودراسة العوامل التي ساعدت على شهرته، وهي عوامل متداخلة يمكن تسجيل الملاحظات التالية:

يعدّ العامل السياسي والاقتصادي من أهم العوامل نظرا لانتساب معظم المتصوفة إلى طبقة الأشراف، وبغض النظر عن صحة هذا الانتساب من عدمه، نستطيع أن نؤكد أن هذه الطبقة قد حازت على احترام الولاة العثمانيين بطرابلس، وعلى تقديس الناس، حيث لم تكن توجد لدينا فكرة عن هذه الطبقة قبل قدوم العثمانيين؛ نظرا للغموض الذي يلف تلك الحقبة في تاريخنا الثقافي والاجتماعي، وندرة أي وثائق محلية تصف هذه المدة، لكنه يبدو أن هذه الطبقة لم تنتشر إلا بعد قدوم العثمانيين، فمن المعروف أن المجتمع الليبي في أواخر العصور الوسطى الإسلامية كان يتكون من عنصرين رئيسيين من السكان هما: البربر الأمازيغ، والعرب، وإذا كان البربر وهم سكان البلاد الأصليين كانوا قد اعتنقوا الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية يمثلون أغلب السكان إلا أن العنصر العربي بعد الهجرات الكبرى لبني سليم، وبني هلال التي حدثت في القرن الخامس الهجري، قد تمكنوا في مدة زمنية قصيرة أن يسيطروا على جميع المناطق الليبية ما عدا جبل نفوسة، وأن يقوموا بتعريب بعض القبائل الأمازيغية كمعظم قبيلة هوارة.

قبل العصر العثماني وفد بعض المهاجرين مع سقوط غرناطة سنة 1492م، واستقروا ببعض المناطق الليبية، ولعل أشهر هذه الأسر في زليتن أسرة بني قنون "قنونو" وأسرة الفطيسي "بني فطيس"، وكان العديد من أفرادها من العلماء والفقهاء، حيث أسست أشهر الزوايا في زليتن قبل تأسيس زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر. مثل زاوية أحمد الباز، وزاوية المشايخ الستة لأنه دفن بها ستة من أجداد علماء آل الفطيسي، ومع بداية العصر العثماني قدمت إلى البلاد عناصر سكانية جديدة عرفوا بالكراغلة، الذين كانوا يشكلون عساكر وموظفي الدولة العثمانية، وقد استقروا في مدن مثل: طرابلس، والزاوية، وزليتن والخمس، ومسلاته، ومصراته.

وتزاوج هؤلاء القادمون من النساء الطرابلسيات، وكانت لهم امتيازات خاصة في العهد العثماني الأول، والقره مانلي، ويبدو أنه خلال هذه الحقبة قد بدأت تبرز على السطح الاجتماعي قبائل المرابطين والتي عرفت فيما بعد بالأشراف والتي تزعم انتسابها إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم– وتعرض عادة وثائق مشجرات نسب، لا تصمد أمام الفحص والنقد التاريخي، حتى في نطاقه السطحي.

إن هذه القبائل حازت الاحترام والتبجيل من الناس، ومن السلطة الحاكمة على مدار الحكم العثماني، وكان لهذه القبائل أولياء وصالحون لهم تقديس وتبجيل من المجتمع، سواء كانوا أحياء، أو أمواتًا. وقد وراجت لهم في المجتمع كرامات وخوارق، وكانت تبعث الرهبة في نفوس العوام، وتستجلب اهتمام السلطة التي كانت تكرم الزوايا والأولياء كعادة ولاة الدولة العثمانية، وبسبب ذلك تحصلت على إعفاءات ضريبية.

في ظل هذه الأوضاع وجد الشيخ عبد السلام الأسمر مناخًا مناسبا لنشر طريقته العروسية، بعد محاولات، وجد ومثابرة وتنقلات من مدينة إلى أخرى.

القبيلة المرابطية

من طبيعة الحركة الصوفية في عصر الشيخ عبد السلام الأسمر التطور إلى ظاهرة اجتماعية، شيخ ومريدون، ورئيس واتباع، أي أن الطريقة الصوفية ارتبطت بشيخ واحد وسلوك واحد وهدف واحد، بل وأصبح الخروج حتى عن أذكار الطريقة خروجا عن الدين، كما تجد ذلك في بعض الكتب والمخطوطات

التي نسبت للشيخ الأسمر، ولذلك يذكر الشيخ عمر بن جحا في كتابه "الزهر في الأكمام في طريقة مولاي عبد السلام" قائلا: "كان رجل من أولاد غيث، قد أخذ الورد عن الشيخ سيدي عبد السلام – رضي الله عنه – ثم ارتد وترك ذلك ونبذه، وأخذ وردا آخر، فلما أردا الله حضور أجله لقنوه لا إله إلا الله فقال: " نو ابردي" بكلام النصارى"[1]. وقال في الزهر في الأكمام: "إن فقيرا من فقراء الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر، فارتد عن ذلك الورد وعن الشيخ، فلما أراد الله بحضور أجله لقنوه: لا إله إلا الله، فقال: حال بيني وبينها بركة سيدي عبد السلام"[2].

كل هذا الحرص من شيوخ الطرق الصوفية على التحشيد جعل من أتباع الطريقة كيانًا واحدا تنسجه علاقات خاصة، وأطلقوا عليه في التصوف مصطلح "أدب الصحبة" أي أنهم رفاق طريق، ومن أجل ذلك كان مشايخ الصوفية بغرب ليبيا يطلبون أولا أدب الصحبة من أحدهم لآخر، ويأمرون المريدين بذلك، إلى حد أن صارت فرضا عليهم، وما يتطلب ذلك من الاحترام مع الشيوخ والانبساط مع الأقران، ويجعلون الشيوخ في درجة الآباء، والأقران في درجة الاخوان والصغار في درجة الأبناء، وهذا التنظيم العائلي سرعان ما تحول إلى قبائل تحمل نفس مواصفات القبيلة العرقية الطبيعية، بل إنها أكثر تماسكا لبنائها وأصبحت لها قوتها السياسية مع مرور الوقت وقوتها الاقتصادية وخاصة بما يوقف على الطريقة وشيخها من الأوقاف والهدايا والعطايا والهبات.

ولذلك مازال متداولا في التراث الشعبي بزليتن قول أولاد الشيخ عن الشيخ الأسمر: "أولادي اللّي واخذين ورادي"، فأصبح كل منتسب للطريقة والمداومة على أورادها مع مرور الوقت يعدّ ابنًا للشيخ، وهذا ما يفسر الانتشار الكبير لأولاد الشيخ في زليتن، ومصراته، والزاوية وبن وليد والبيضاء وحتى خارج ليبيا كمصر وفلسطين وتونس، بل وصل الأمر إلى ادعاء وجود أبناء له في الهند كما جاء في خرافات مخطوط عبد الرحمن المكي، والقطعاني، وقفة الصلاح.

1) الزهر في الأكمام، عمر بن جحا، ص: 96.

2) المصدر السابق ص 96.

إذا كان ما توصلنا إليه صحيحا كما سنبين في النصوص القادمة بخصوص ولادة الشيخ الأسمر بالمغرب بمدينة فاس كما ذكرت العديد من المصادر، فإن السؤال الذي يطرح نفسه من هم أولاد الشيخ عبد السلام الأسمر؟

لعل عمران هو أشهر أبناء الشيخ عبد السلام الأسمر كما يذكر البرموني في "روضة الأزهار" وعمر بن جحا في كتابه "الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام"، قد أوصى الشيخ عبد السلام الأسمر أن يكون عمر بن جحا خليفة للشيخ الأسمر، وابنه عمران وصيا على زاويته كما هو مشهور عنه.

لكن عبد السلام بن عثمان التاجوري في كتابه "الإشارات في من كان بطرابلس من المزارات" والبرموني في "روضة الأزهار" يذكر كل منهما عددا من أسماء أولاد الشيخ الأسمر، ولكن عبد السلام بن عثمان التاجوري يخرج لنا بمصطلح جديد يفرق فيه بين أولاد الشيخ عبد السلام الأسمر وبين أولاده من صلبه، فيقول مثلا في كتابه الإشارات[1] "يا فلان إياك إذا رأيت شيئا من أولاد الشيخ تظن أن الشيخ مثلهم بل الشيخ كان من أجل المتصوفة المتورعين. وعلى ذلك كان كثير من أولاد صلبه.."[2]، ويكرر التاجوري في كتابه الاشارات "ومع الشيخ من أولاد صلبه سيدي عبد الرحمن أكبر ابنائه وسيدي عبد المؤمن وسيدي خليفة وسيدي سليم وسيدي عبد الله المصري وسيدي أبوراوي"[3]، ويقول: وفي المساورة سيدي إبراهيم أبو جريدة وعدة من أولاد صلب الشيخ سيدي عبد السلام منهم سيدي حمودة اكبر أولاده[4]. ويشير البرموني في كتابه روضة الأزهار "فقال له بعضنا: حتى أولاد صلبك من تحت خلافتك؟ فقال نعم"[5]. ويستمر عبد السلام بن عثمان التاجوري في التأكيد على التفريق بين أولاد الشيخ من صلبه ومن غير أولاد صلبه. فمثلا يذكر في نصوص عديدة في كتابه "فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم" من مخطوط فتح العليم قوله: "أما أولاده صلب الشيخ الذين

---

1) كتاب الاشارات عبد السلام التاجوري ص 63

2) كتاب الاشارات عبد السلام التاجوري ص 63.

3) المصدر السابق ص 67.

4) الإشارات، ص: 99. عند الحديث عن ذكر من بمسراته

5) روضة الازهار، ص 722.

مات عنهم فهم خمسة عشر ..."[1]، ويقول: "ومن المشتهرين بالصلاح من أولاد صلب الشيخ سيدي أحمد بن عروس ويقال له البكر المقبور بقزير في بلد مسراته[2]".

ويقول عبد السلام التاجوري: "قال جاء أطفال من أولاد الشيخ سيدي عبد السلام يلعبون على قبر الشيخ فوق التابوت ومعهم طفل مؤدب الزاوية ليس من هو من ذرية الشيخ فأما أولاده من صلبه فلم يصبهم شيء... الخ"[3].

ويذكر عبد السلام التاجوري في فتح العليم ما نصه: "وسمعنا أنه بلغه أن أحد أولاد صلبه ضربه لذلك فدعى عليه وعلى ذريته بالفقر فهم على ذلك إلى الآن ..".

ويذكر في فتح العليم أيضا: "أما أولاد صلب الشيخ الذين مات عنهم فهم خمسة عشر بلغوا درجة الولاية على ما سمعته من كثير من أهل البصائر ولكن أحوالهم مختلفة من مجذوب وسالك وأكثرهم شهرة بالصلاح سيدي عبد الوهاب وسيدي ألو فارس وهما أصغر أولاده ..".

إذن فالانضمام إلى أولاد الشيخ كان مبكرا بحسب ما جاء في هذه المصادر، ولعله يفسر الزيادة الكبيرة في أعداد القبيلة مقارنة بالقبائل الأخرى القديمة في زليتن.

كتب الدكتور امحمد غميض مقالة عن الحركة الصوفية بأفق لبدة خلال القرن العاشر الهجري. تسائل فيها عن المسكوت عنه في كلام التاجوري، ويقصد به أبناء الشيخ الذين ليسوا من صلبه - أي المريدين - الذين يأخذون صفة الأبناء عند الصوفية. وقد أجاد وأفاد وفصل في مقالته التي نشرت في مجلة كلية الآداب[4].

يقول أسامة وريث: "توجد مجموعات أخرى تقول بانتسابها إلى بيت النبيء، وهي تعرض في العادة شجرة تؤكد انتسابها إلى هذا البيت، غير أنها وثائق يقول إنريكو دي أوغستيني لا تصمد في الغالب أمام الفحص التقليدي حتى في نطاقه

1) مخطوط فتح العليم، 218.

2) المصدر السابق 219.

3) المصدر السابق 207.

4) الحركة الصوفية بأفق لبدة خال القرن العاشر الهجري، د. محمد إنويجي غميض، العدد التاسع عشر، ص: 37 – 54.

السطحي، وذلك ما ينطبق على أولاد جربوع بالزاوية الغرب الذين ينحدرون من أولاد سنان من بطون دباب، وكذلك الامر بالنسبة لقماطه وجفاره والفواتير وأولاد الشيخ بزليتن؛ الذين ينحدرون من بني سعيد من بطون رياح – كما يقترح أوغستيني – غير أن علوم الجينوم أتثبت اليوم أن عدد واضح من المرابطين هم أمازيغ أو مغاربة مرابطين مختلطين نسبيا بعري، جمعت أجدادهم فكرة الالتفاف حول وليّ /مرابط/شيخ؛ معين، وأحيانا الانتساب له، بغية الصول على البركة والمغفرة والقداسة والتبجيل. بعضهم من المغرب، والبعض الاخر من الساقية الحمراء. وتبدو بشكل واضح الأهمية التي كانت للمرابطين وخاصة في الميدان الاجتماعي، كأداة سوسيوليجية لتجميع وحدات مشتتة من أسر وبطون وقبائل مختلفة، خاصة القبائل البربرية التي تشتت بسبب الإضرابات الاجتماعية التي أحدثتها غزوات بني هلال في القرون الوسطى"[1].

إن النظام الضريبي الذي وضعه الأتراك أجبر القادمين لمدينة زليتن بالانضمام تحت قبيلة من القبائل، وقد انضم الكثير من المهاجرين إلى مدينة زليتن إلى القبائل الموجودة بها، ولا تستثنى قبيلة أولاد الشيخ من ذلك الانضمام، ولذلك يذكر فرج نجم في كتابه "القبيلة والإسلام والدولة" ما نصه "ويردد بعض من أهلنا في مدينة زليتن حيث موطن السادة الفواتير، وأولاد الشيخ الأشراف، أنه جاءهم رجل من بلاد بعيدة زعم أنه من الأشراف وطلب منهم أن يثبتوا له ذلك، فمهروا له تلك الوثيقة بقولهم " ... بكرة أمنا فاطمة تعرف ضناها ..."[2] وتعني في اللهجة الطرابلسية إن أمنا السيدة فاطمة الزهراء ستتعرف على أبنائها، مما يشير إلى أن هذه الشجيرة مشكوك فيها.

وهذا النص نقله فرج نجم من كتاب الأستاذ علي المصراتي – التعابير الشعبية الليبية "دلالات نفسية واجتماعية "[3]، وهذه الجملة مازالت تتردد على ألسنة أولاد الشيخ في بعض المناسبات: "فاطمة تعرف ضناها".

---

1) جدلية العرق والجين والهوية، أسامة عبد الحميد وريث، ص: 101.

2) القبيلة والاسلام والدولة، فرج نجم عبد العزيز نجم، مكتبة 17 فبراير، 2011م. ص169.

3) التعابير الشعبية الليبية، علي مصطفى المصراتي، ص 233.

وفي مرسوم[1] ليوسف باشا بخصوص عبدالحفيظ بن محسن يخاطب يوسف باشا القرمانلي أولاد الشيخ ومن انضم إليهم، فالمرسوم كتب سنة 1227 هـ وفيه إشارة إلى المنضمين إلى أولاد الشيخ الأسمر، ومن الملاحظ أن هذا الانضمام لم يتوقف حتى في نهاية العهد الإيطالي وبداية العهد الملكي بسبب التنظيم الإداري للقبائل.

وقد بقيت بعض النصوص التي لم يعترِها التحريف كغيرها من النصوص الأخرى، تشير صراحة إلى أن ذرية الشيخ الأسمر اختلطت بغيرها من الأعراق الأخرى كغيرها من القبائل الأخرى، ويذكر عبد السلام التاجوري في "فتح العليم"، ما نصه: "ثم حدث بعد انقراض أصحاب الشيخ وذرية صلبه أناس تلبسوا بأمور شنيعة ما أنزل الله بها من سلطان وربما نسبوها للشيخ رضي الله عنه ... إلى قوله: ومن واقع في جميع ذرية الشيخ والمنتسبين إليه من غير تفريق، وهذا كالأول في الهلاك"[2].

ويذكر جون ريمون في كتابه من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا "أنه يوجد في مدينة زليتن أبناء وأحفاد بعض الأسر الجزائرية الأصل التي هاجرت من الجزائر بعيد احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م حيث استقرت بها"[3]

والعديد من هؤلاء انضموا لقبيلة أولاد الشيخ ولقبائل زليتن الأخرى. ومازالت وثائق العقارات القديمة تشير إلى أصول أسر من مدن أخرى كترهونة، ومسلاته، وبني وليد انضمت إلى قبائل زليتن، وأصبحت جزء من النسيج الاجتماعي بزليتن. وقد كانت ومازالت مدينة زليتن مستقرا لكثير من المهاجرين من المغرب العربي[4]، ومن المدن المجاورة وخاصة من ترهونة وبني وليد وسرت ومصراته، وبقيت واستقرت بزليتن ومعظم هؤلاء المهاجرين قد انضموا تحت قبائل زليتن وانتموا إليها، ونجد أن جزء من هؤلاء انضموا لقبيلة أولاد الشيخ وازداد عددها زيادة

1) مرسوم يوسف باشا بخصوص عبدالحفيظ بن محسن، وثائق أسرة بن عبد المحسن، زليتن

2) مخطوط فتح العليم ص 78.

3) من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، ص 199.

4) تشير بعض وثائق الأرشيف العثماني والفرنسي إلى انضمام عائلات من الجزائر إلى نسيج القبائل بزليتن وخاصة بعد احتلل فرنسا للجزائر.

فاقت أعداد بعض القبائل الأخرى التي كانت سابقة لها في زليتن. وقبل الشيخ الأسمر بقرون مثل أولاد غيث والبراهمة والفواتير، بل إن عدد أولاد الشيخ فاق عددهم فرع المجدة من المريقات، والتي يروى انتماء الشيخ الأسمر لها، وهي فرع من قبيلة الفواتير.

هل من الممكن أن يكون الشيخ عبد السلام الأسمر نفسه قد انضم إلى قبيلة الفواتير في مدة دخوله إلى زليتن كعادة انضمام قبائل المرابطين المغاربة لبعضها البعض؟.

ربما لأن أحد نسخ مخطوط فتح العليم الموجودة بتونس والتي حققتها الدكتورة نادية مفتاح[1] تذكر أن أحد النسخ لا يوجد فيها ذكر عبد السلام بن سليم "الفيتوري"، والنسخة فقط تذكر أن اسمه "عبد السلام بن سليم" دون إضافة الفيتوري مما قد يشير كذلك إلى تعرض مخطوط فتح العليم للتحريف، فلم يكن عبد السلام الأسمر معروفا في بداية أمره من الفواتير على ما يبدو، ويبدو أن هناك تحريف حدث فيما بعد بإلحاق نسبه بالفواتير وإن كان هذا يحتاج إلى مزيد من البحث، للبحث عن صحته من عدمها.

إن الأصول العرقية مهما كان أصلها لا تطعن في كرامة الإنسان، ولا تنقص من قدره، ولكن التعصب القبلي مازال له تأثير في حياة الناس الاجتماعية. كما أن المصالح الاقتصادية، والتحالفات الاجتماعية قد تكون سببا في تفسير أسباب الانتساب.

ومهما يكن فالكثير من الأنبياء، وهم خير خلق الله كانوا من بني إسرائيل، وغيرهم من الأمم " وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ " والعبرة بالتقوى والإيمان وليس بالنسب، والله يقول: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[2]. ولعل العقود القادمة تكشف عن أسباب التغيرات في ديموغرافيا السكان.

وجملة القول أن زليتن مدينة مدنية متعددة الأعراق بكل معنى الكلمة لولا التعصب للقبيلة وهي في حقيقتها بنيت على نظام ضريبي، أو تحالفات اجتماعية،

1) فتح العليم، دراسة وتحقيق نادية مفتاح، كلية العلوم الأنسانية والاجتماعية، جامعة تونس الأولى، 2001-2002.

2) الحجرات، الآية: 13.

أو تنظيم إداري، أو قبيلة مرابطية جمعتها طريقة صوفية، لا أكثر. فقد اختلطت أنساب السكان وامتزجت بشكل قد لا تجده في الكثير من المدن الأخرى. ولكن أجج الوضع السياسي من هذا التعصب لكيانات في حقيقتها لا تمثل قبيلة، بقدر ما تمثل عصبة تكونت في ظروف فرضتها ظروف سياسية واقتصادية.

إن إظهار الحقيقة وما حدث من تحريف قد يكون له جانب إيجابي في هدم الخرافة أولا، وتصحيح التاريخ في مجتمع مازال يتعصب لأوهام العصبية القبلية التي لا تمتُّ حقيقة تكوينها بأي صلة لأي أصول عرقية، وظهور الحقيقة قد يكون له أثر مفيد في تخفيف حدة العصبيات القبلية، والوصول إلى حقيقة عقدية أننا أبناء آدم وتربطنا أخوة الدين، وأخوة الإسلام.

ومن غرائب ما نسب للشيخ عبد السلام الأسمر ما ذكره عبد السلام التاجوري في مخطوط فتح العليم وكرر مثله عبد الرحمن المكي في تقييده: " ومن هذا ما كنت أسمعه وأنا صغير من أن الشيخ له ذرية وزاوية نحو بلاد الهنود، ... فاجتمع ببعض ذرية الهنديين بمكة شرفها الله في الموسم وذكر له أن ضريح الشيخ عندهم، وفقراؤه وذريته يقولون إن الشيخ أيام مكثه بالخلوة الشهرين والثلاثة يكون عندهم .... [إلى قوله] وذكر أيضا عن السيدة نفيسة الطاهرة إنها ظهرت بعد موتها بمدة في الموضع غير الموضع الذي قبرت فيه، وهذا كله جائز عقلا غير غريب فيمن جعل الله كراماتهم معجزة لنبيهم صلى الله عليه وسلم ".

وتعقيبا على هذا النص الخرافي الذي يعدّ مادة تاريخية مهمة يمكن لصاحب "قفة الصلاح" أن يستنتج منه أن للشيخ زاوية بالهند وأنها كانت اشعاعا علميا دينيا، وهي التي جددت الدين في بلاد الهنادكة، وله أن يحدثنا عن التواصل الحضاري في مؤتمر مكة الذي جمع بين مريدي الطريقة وتواصلهم لنشر المشروع الإصلاحي ببلاد الهند.

زاوية الشيخ الأسمر

يقول الشيخ عبد السلام التاجوري في كتابه (فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم): "وكان بناء الشيخ للزاوية سنة إحدى وسبعين وتسعمائة وكانت وفاته يوم الأحد سنة 981 هـ إحدى وثمانين وتسعمائة"[1].

أي أن الشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر بنى الزاوية قبل وفاته بعشر سنوات وكان عمره في ذلك الوقت تسعين سنة، فأين جلس الشيخ قبل ذلك وهل كان هناك بناء استقر فيه قبل بناء الزاوية؟

ويبدو أن هذا هو الأرجح في تاريخ تأسيس الزاوية، وقد ذكرت الأمريكيتان د. لونيس سميث، و لويد بريستون عند زيارتهما لمرقد الشيخ عبد السلام سنة 1929 م أن البناء مشيد عام 1562م دون ذكر المصدر[2]. كما أنه لا يوجد مصدر قديم موثوق به، عارض ما ذكره عبد السلام التاجوري، إلا ما جاء بعده من تواريخ تعرضت للتحريف والإضافات.

يذكر الشيخ علي جوان في كتابه "صفحات عن حياة الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر"[3] أن تاريخ تأسيس الزاوية كان سنة 912 هـ، وهو لا يستند في ذلك إلى أي وثيقة أو مصدر تاريخي سابق، ولم يذكر الدكتور مصطفى رابعة تاريخ تأسيس زاوية الشيخ الأسمر مع أنه وضع في كتابه عنواناً عن تأسيس الزاوية في رسالة الدكتوراه[4].

حاول الدكتور مصطفى رابعة تفسير العداء الذي حدث بين علماء زليتن والشيخ الأسمر بعد بناء زاويته في رسالته فقال: "أحدثت هذه الزاوية التي كونها الأسمر ردة فعل قاسية، لدى كثير من العلماء الذين كانت لهم حلقات علمية بمساجد زليتن، فقد هجرهم طلابهم ملتحقين بحلقات الأسمر العلمية، وأبى عليهم كبرياؤهم الانضمام إلى أسرة التدريس بزاوية الأسمر، فكان من الطبيعي والحالة

---

1) مخطوط فتح العليم، ص 75.

2) مدينة طرابلس بمدخلها الغربي والشرقي في رسائل الأهل، ترجمة الهادي بولقمة، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي، 1980م. ص 72.

3) صفحات عن حياة الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر، الشيخ علي جوان، ص: 13

4) رسائل الاسمر، ص: 11

هذه أن يناصبوا الأسمر العداء[1] باحثين عن أي ثغرة ينفذون منها إلى ضرب الأسمر وزاويته، ووجدوا في استعمال الأسمر السماع لبعض مريديه، وذكره الله بالاسم المفرد المنفذ الذي من خلاله يسددون سهامهم إليه، فاتهموه بخرق الشريعة المحمدية واتباع الهوى والشيطان، واستعْدوا عليه السلطة الحاكمة التي لم يرقها ما يقوله الأسمر ويدعو إليه، وفي ظل هذه الظروف وهذا الجو المشحون بالتوتر عرض أحد فضلاء المواجر على الأسمر أن يبتعد قليلا عن زليتن، وأن يقيم بينهم بالساحل حتى تهدأ الأمور، ويقضي الله بعدها ما يشاء. واستجاب الأسمر لهذا العرض، وانتقل معه إلى ساحل الأحامد، وبدأ تلاميذه وأتباعه والمعجبون به يتواردون عليه، ولم يرق بطبيعة الحال لشيخ قبيلة الأحامد "همام"، ولا مفتيها "مبارك" لأنهما رأَيا في وجود الأسمر القضاء على نفوذهما في القبيلة، فأخذا جاهدين في الكيد له، وألَّبا عليه الرّعاع، والسفهاء، وانتهى الأمر بمقتل أحد أبنائه بكل قسوة ووحشية"[2].

والتعليل السابق كما يذكر دكتور رابعة منقول من كتاب إسحاق المليجي "على هامش حياة عبد السلام الأسمر"[3]، وهو في الحقيقة صناعة حديثة لم يذكره أي من المصادر التاريخية الأولى كروضة الأزهار وفتح العليم التي ألفت عن الشيخ الأسمر بما فيها المنتحلة للأسمر، وهذه القصة صناعة تاريخ جديد لم ينتبه صاحبه للحوادث التاريخية في ذلك الوقت، فأين وجد أن حكم الشيوخ قد اهتز، ومن هم هؤلاء الشيوخ الذين يزعمون اهتزاز وضعهم العلمي؟ وهل يمكن أن تمر هذه الكلمات بسهولة، وأن هناك ردة فعل قاسية بسبب هجر طلابهم لهم، وما هي المساجد التي هجرها طلابها؟

ولم ينتبه دكتور رابعة إلى هذا النص وما فيه من تناقض، ودعاوى دون برهان، فقد نقله بحذافيره دون أي تعليق. وكما هو معلوم فإن إسحاق المليجي لم يعاصر

---

1) لكن العداء كان قبل بناء الزاوية حسب ما ذكر البرموني فكيف استنتج د. مصطفى رابعة أن العداء كان بسبب بناء الزاوية؟. ففي ترجمة الأسمر نجد انه طرد امن طرابلس ومصراته وزليتن عدة مرات، بل وطرد أو غادر تونس كما غادر قبله أبو راس وابوتليس.

2) رسائل الأسمر إلى مريديه، مصطفى رابعة، ص: 32.

3) على هامش حياة عبد السلام الأسمر، إسحاق المليجي ص: 104.

ذلك الوقت وليس له مصادر ينقل لنا منها سوى المصادر الثلاثة المعروفة وهي روضة الأزهار، وفتح العليم، والزهر في الاكمام، أو مخطوط عبد الرحمن المكي. ولا يوجد في هذه المصادر ما حاول دكتور مصطفى رابعة تفسيره لسبب عداوة علماء زليتن والشيخ الأسمر، فبحسب ما جاء في البرموني فإن الشيخ الأسمر قد وقف في وجه طريقته علماء طرابلس وساحل الأحامد و زليتن، وحتى قصة مجيئه من تونس كانت ربما للأسباب نفسها، والتي سنتعرض لها في تنقلاته في طرابلس الغرب، إذن فتأسيس الزاوية ليس سببًا لهذا العداء، والمؤكد أن الزاوية تأسست بعد أن استقر الأسمر بزليتن وازداد اتباعه بها، لكن المرجح أن سبب العداء قبل استقراره هو الطريقة الجديدة التي صاحبها الدفّ، والتي حاولت منافسة طرق صوفية قديمة بليبيا، كالطريقة الشاذلية، أو الزروقية. كما أن أمرا مهما ننبه له هنا أن عمر الشيخ كان تقريبا تسعين سنة عند بناء الزاوية وقد انتهت في هذا العمر مرحلة العداء له من عقود عندما دخل زليتن وخرج منها عدة مرات.

إننا نجد في نفس هذه المصادر أن حادثة العداوة للشيخ الأسمر قد تكررت عدة مرات، وأولها خلافه مع شيخه الدوكالي كما يروى، مع وجود الشك في أنه درس عليه، فقدومه إلى زليتن كان بعد وفاة الدوكالي[1]، ومع علماء طرابلس ومصراته وساحل الأحامد، وعلماء مشهورين مثل الحطاب، مع أننا نشك في لقاء الشيخ الأسمر بالحطاب، والشيخ زروق كما سنبينه لاحقا.

إن هذا النص يطرح العديد من الأسئلة، ويلقي بظلاله على كثير من المتناقضات منها: كيف يتلقى الشيخ الأسمر دعوة من أحد أفراد قبيلة المواجر بساحل الأحامد دون الرجوع إلى مشايخ وعلماء القبيلة، وخاصة في مجتمع يتميز بالترابط الاجتماعي والقبلي في ذلك الوقت؟ والفقيه الحامدي، وهمام كانت لهما كلمة مسموعة في قبيلتهما.

ولم تكن هذه الحادثة الأولى للشيخ الأسمر فقد تعرض للعداوة والطرد من العديد من المناطق التي ذهب إليها، فهل يا ترى كل هؤلاء الذين عادوه بسبب

1) ذكر مختار بن يونس ان الشيخ محمد بن علي بن عبد الرحمن التاجوري كان من احد تلاميذ الدوكالي وهو خطأ دون شك في عدم لقاء حفيد التاجوري مع الدوكالي لبعد السنوات بينهما فالتاجوري نفسه ربما أدرك الدوكالي في آخر آيامه فكيف بحفيده الذي لم يولد بعد. من تاريخ الثقافة ص: 155.

تفوقه العلمي، أم أن هناك أسبابًا أخرى تدعونا للمزيد من البحث عن أسباب هذه العداوة.؟

وهل من المتصور أن يقوم شيخ في التسعين من عمره بتأسيس زاوية والجلوس للتدريس بها بعد مضي كل هذا العمر؟ وخاصة أن المصدر الموثوق به والأقرب إلى الحقيقة وهو ما ذكره عبد السلام التاجوري في كتابه "فتح العليم" أن بناء الزاوية كان سنة 971 هـ أي قبل وفاة الأسمر بعشر سنوات.

هل أغفل الدكتور مصطفى رابعة الأسباب الأخرى التي ذكرها البرموني في كتابه، وهي اتهامه بالسحر والشعوذة، أم أن الأمر متعلق فقط ببدعة استخدام الدف مع الذكر والذي أول من أنكره عليه شيخه الدوكالي –الذي لم يلتق به كما وضحنا في عنوان خاص بعدم صحة لقاء الدوكالي والأسمر– بحسب زعم البرموني، كما يروي لنا البرموني في كتابه روضة الأزهار، وعبد السلام التاجوري في كتابه فتح العليم.

ويبدو أنه لم ينبُغ من هؤلاء التلاميذ في ذلك الوقت، أي تلميذ واحد؛ فقيها بعد وفاة الشيخ الأسمر، مع أن التاريخ ذكر بعضهم ونقل عنهم في الوثائق مثل علماء آل الفطيسي، أو آل قنون، والطواهر، فمن هم تلاميذ الشيخ الأسمر.؟ ولماذا كل هذه العداوة فقط للشيخ الأسمر مع أن معاصيره ومن قبله لم ترَ أي عداوة لهم مع شهرتهم، ومؤلفاتهم تدل على نبوغهم وانتشرت في العالم الإسلامي كله مثل الشيخ أحمد زروق، والشيخ حلولو، والشيخ الحطاب، والشيخ الخروبي في ذلك الوقت.

ولكي تتضح لنا الصورة لابد من أن ندرس النصوص التي تعلقت بحوادث طرد الشيخ الأسمر، والعلماء الذين عادوه، وما أسباب العداوة له؟ وهل كانت توجد هناك مناظرات حقيقة علمية بينه وبين هؤلاء العلماء أم أنها محض مفتريات؟.

يبدو أن المعارضة التي واجهت الشيخ الأسمر لها أساس آخر من الحقيقة وإن وردت في روايات وقصص تخلوا من الواقعية، وتكتنفها الخرافة والاسطورة، ونحتاج لقراءة ما بين السطور للوصول للحقيقة.

تبدأ هذه المعارضة بتونس حيث يذكر عمر بن جحا في كتابه "الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام"[1]، في قصة اتهام والد الشيخ الأسمر "سليم" بالسرقة، تم تمضي القصة لتذكر أن الشيخ أبا العباس أحمد بن عروس جاء راكبا على فرس بيضاء، وأنقذه بتزكية منه أمام الأمير، ختمت بنصيحة من أحمد بن عروس في ذلك الموقف الذي كان محوطا بهالة أسطورية قال: يا سليم عليك بالشرق.

ربما لهذه القصة أساس صحيح لكنها تعرضت للتحريف والتغيير. إنها تحكي قصة الشيخ الأسمر، وما تعرض له من مضايقة، وكيف وصل أمره إلى الأمير في ذلك الوقت، وكيف همّوا بالقبض عليه فتوجه، إلى الشرق أي إلى طرابلس ليواجه نفس المعارضة، تجعلنا نبحث عن سبب العداوة التي واجهت الشيخ الأسمر في تونس، وطرابلس، وزليتن، وساحل الأحامد.

وردت هذه القصة بصورة أخرى ذكرها البرموني في روضة الأزهار رواية عن أحمد بن علي اللواتي: "قال توجه سيدي سليم والد الشيخ في ابتداء حاله لتونس بقصد زيارة الصالحين الذين بها، وكان قد أنطق بشيء من جهة الباطن، فأنكر عليه أهل الظاهر، وعقدوا عليه مجلسًا، قال: فبينما يقربونه للقتل إذ جاءهم قطب الزمان يركض فرسه، إلى أن وقف عليهم، إذ هو سيدي علي أبو تربة فقال لهم على عجل أطلقوا هذا الولي المظلوم الذي تريدون قتله؛ فإن في ظهره وليا كاملا"[2]. انتهى كلام البرموني. وبحسب ما ذكره البرموني شخصية أخرى تقوم بإنقاذ سليم في حادثة تحكي نفس القصة.

إنه من خلال ما ورد إلينا من مصادر، فإن الشيخ الأسمر، خلال رحلته من فاس إلى تونس، استقر بها، ويبدو أنه تعرض لهذه العداوة، إما بسبب الدف أو لأسباب أخرى اضطرته لمغادرة تونس والانتقال لطرابلس، ومنها وبعد رحلات استقر به المقام في زليتن.

ولو كان الشيخ الأسمر ينتمي إلى قبيلة الفواتير لكان استقر بن أهله، وليس متنقلا هنا وهناك متعرضًا لكل هذه العداوات. المهم في هذا السياق قصة

---

1) الزهر في الأكمام، ص: 58-59.

2) روضة الأزهار، ص: 203.

"الدف" الذي يبدو أنه السبب الرئيسي لهذه العداوة جاء به معه من المغرب، كما ذكر الدكتور الخالدي، والصادق الرزقي.

في كتاب عمر بن جحا "الزهر في الأكمام"[1] نجد تناقضا صارخا حيث يذكر أن الشيخ الأسمر حسده همام، ومبارك لفصاحته، وحسن صوته وحفظه.

مع أن الشيخ الأسمر –كما يذكر البرموني–قد درس على عمه وحفظ عليه القرآن، وهمام، ومبارك، كانا في ساحل الأحامد، واختلاق القصة واضح لأن همام، ومبارك كانا قد أعلنا له العداوة عندما حاول الاستقرار، وحشد الاتباع لطريقته بساحل الأحامد. ويستمر عمر بن جحا في تسجيل قصة للنهاية السيئة لهمام، ومبارك في قصص كرامات للأسمر في نفس الكتاب[2].

ويمضي عمر بن جحا للحديث عن قصة أخرى، وهي عن شكوى لهمام، ومبارك، لركب مغربي عن الشيخ الأسمر أنه سحار، وكهّان، ويضرب الخط، وينقر وينقط، ويخبره الجنون والشياطين، ويضرب الدفوف، ويجمع التلاميذ، ويفعل البدع المحرمة. إلى أن تنتهي القصة بأن الركب انتهى به الأمر يهتز، ويتمايل، كالأبل، والبغال، والخيل، والحمير[3].

وتعليقنا على القصة أنه لا توجد أي محاورة، ولا نقاش ولا مناظرة تحكي حقيقة ما حدث، ولكن ينتصر عليهم الشيخ الأسمر بإنشاده على الدف ليجعلهم يتراقصون كالبغال والحمير.

ويتكرر الأمر مع الشيخ الحطاب، والسنهوري، والبرموني، وسالم بن طاهر، وكل القصص تنتهي بالانتصار عليهم بإحدى الخوارق، مع ملاحظة أن الشيخ الحطاب لم يلتق بالشيخ الأسمر، وكان في مكة، والقصة مختلقة كما سنبين لاحقًا في هذا الكتاب.

---

1) الزهر في الاكمام ص: 62.

2) الزهر في الأكمام، ص: 63.

3) المصدر السابق 66.

نؤكد هنا من خلال وثائق زليتن المحلية أن آل بن محسن وآل بن طاهر هم من وضع أساس تحفيظ القرآن وتدريس علومه في زاوية الأسمر من خلال عدة وثائق، ونذكر على سبيل المثال الوثيقة التالية ونعلق عليها:

"الشيخ العالم سيدي محمد بالضم مُحمد وشقيقه الشيخ العالم سيدي سالم ابني الشيخ العالم سيدي عبد الحفيظ بن الشيخ العالم سيدي علي بن الشيخ سيدي احمد بن الشيخ سيدي عبد المحسن الانصاري اليزليتني. والشيخ سيدي الحاج أحمد شقيق الشيخ سيدي الحاج عبد الحفيظ بن الشيخ سيدي علي المذكور ومع تلك المعرفة أن الشيخ سيدي مُحمد والشيخ سيدي سالم و الشيخ سيدي الحاج أحمد هم المتولون لزاوية الشيخ الاكبر والقمر الازهر ....سيدي الشيخ عبد السلام الاسمر الحازمي الفيتوري طيب الله ثراءه بشآبيب رحمته وانس الله وحشته في قبره ....آمين ، أي متولين بتعاليم اولاد المسلمين القرآن العظيم فيها المهاجرين العرب واولاد البلد ولتدريس العلم الشريف فيها وللإمامة في الاوقات الخمسة ولخطبة الجمعة والعيدين فيها ، وقائمون بهاذه الوظائف غاية القيام في الزاوية ولم يزالوا على الوصف الى ان توفوا رحمة الله عليهم وعلي جميع المؤمنين وتولي القيام بذلك اولادهم من بعدهم ،أما سيدي الحاج أحمد فولده سيدي عبد الله وسيدي الحاج علي، اما الشيخ سيدي سالم فولده الشيخ سيدي أحمد والشيخ سيدي حسن وصار الاولاد المذكرون هم المتولين لأمر الزاوية المذكورة من تدريس علم وتعليم القرءان وامامة في الاوقات الخمسة وخطب الجمعة والعيدين ولم يزالوا على هاذا الوصف الى أن توفي سيدي عبد الله والشيخ سيدي احمد والشيخ سيدي حسن وخلفوا اولادهم من بعدهم ،اما سيدي احمد فولده سيدي مُحمد وأما سيدي حسن فولده سيدي يونس وسيدي سليم وأما سيدي عبد الله فولده سيدي طاهر واما الشيخ سيدي العالم الحاج عبد الحفيظ بن الشيخ مُحمد المذكور اولا اعلاه بوقت وفاة والده رضيعا وقد صار عالما من علماء المسلمين ومدرسا للعلم الشريف في الزواية المذكورة كسيدي يونس المذكور واما سيدي الحاج علي المذكور في بعض الاوقات ينوب في تعليم القرءان سيدي احمد وان سيدي الحاج علي بوفليقة من القبيل المذكور وان جميع الاحياء المذكورين قائمون بالوظائف المذكورات بالزاوية المذكورة من تعليم قرءان وتدريس علم وامامة في الاوقات الخمسة وخطبة الجمعة والعيدين وهم مستمرون على ذلك إلى الان ونعرف ان جميع المشايخ المذكورين اولا اعلاه

ومن بعدهم الى الان محررون من جميع المطالب الميرية والأوامر السلطانية ومعبد عنهم من جميع المطالب الخزينية ولا يدخلون في قبيلة اولاد غيث في شي من الاشياء لا في السراء ولا في الضراء بل هم منفردون عنهم ومستقلون بأنفسهم وأنهم محترمون وموظفون لأجل العلم والقرآن الشريف ولأجل السلطان سيدي عبد السلام المذكور المعمرين للزاوية المذكورة بقيامهم بالوظائف المذكورة ونسمع سماعا فاشيا منتشرا على اللسنة العدول وغيرهم حتى افادنا العلم وحصل لنا به اليقين ان اسلافهم السابقين وهم الشيخ سيدي الحاج عبد الحفيظ والشيخ سيدي علي والشيخ سيدي احمد القائمين بالوظائف المذكورة ومعظمهم معظمون ومحترمون لأجل العلم الشريف و القرءان ولأجل الشيخ المذكور ومحمدون من جميع المطالب السلطانية وخارجون عن قبيلة أولاد غيث ومستقلون بأنفسهم وان مدة تولية جميع المذكورين للزاوية المذكورة تزيد علي مائتين وخمسين سنة وجميع ما ذكر بعد الطلب منه في أوائل صفر الخير عام ثمانين ومائتين والف. من كاتبه محمد بن محمد بن محمد بن بركة الفيتوري تيب عليهم امين امين امين ".

نلاحظ أن الرسالة مؤرخة في 1280 هـ، ويذكر الكاتب أنهم يقومون بالتدريس فيها قبل ذلك بمئتين وخمسين سنة (250 سنة) أي منذ سنة 1030 هجري، أي بعد انتهاء ثورة السويدي بثلاثين سنة كما يذكر المؤرخون أنها انتهت سنة 1000 هـ. وقبلها كانت هرج ومرج منذ سنة 994 هـ، أي بعد وفاة الشيخ الأسمر بأربعة عشر سنة، وزاويته قد أسست سنة 973 هـ. هذه الوثيقة تؤكد أن العلوم الشرعية وتحفيظ القرآن لم يبدأ إلا مع تولي آل بن طاهر وآل عبد المحسن التدريس بزاوية الأسمر.

الباب الثاني

سيرة الشيخ الأسمر – دراسة تاريخية نقدية

مولد الشيخ عبد السلام الأسمر ونشأته

تتصف المرحلة الاولى من حياة معظم الشخصيات التاريخية بالغموض مما يجعلها عرضة للاجتهاد وتضارب الآراء، بعكس المرحلة الاخيرة التي غالبا ما تكون واضحة المعالم وموضع اتفاق بين الكتاب، ويرجع ذلك إلى أن هذه الشخصية تولد وتنشأ كغيرها من الشخصيات المعاصرة لها دون أن يهتم أحد بها في بداية نشأتها، ومع مرور الوقت تتضح اتجاهاتها، وتتميز عن غيرها بالشهرة في ميادين السياسة، أو الحرب أو العلم أو التصوف وغير ذلك.

ومن هنا تلفت الانتباه إليها وتتسلط الأضواء عليها، فتنال اهتمام الكتاب والمؤرخين الذين يبدؤون في استقصاء المراحل المختلفة من حياة هذه الشخصية، وهكذا تتضارب آراؤهم حول المرحلة الأولى ابتداء من تاريخ الميلاد، وتتفق في المرحلة الأخيرة انتهاء بتاريخ الوفاة، وهذا ما يفسر تركيز كتب التراجم والطبقات في تاريخنا الإسلامي على تاريخ الوفاة أساسا للترجمة، وشخصية وسيرة الشيخ عبد السلام الأسمر لا تشذّ عن هذه القاعدة.

وكعادة المتعصبين للطرق الصوفية، ونزعة إضفاء شيء من القدسية على سيرتهم، تحاك القصص حولهم مثل أن هناك بشارات توالت قبل مولدهم، فلا عجب إذا قرأت فيما ورد عن البشائر قبل مولد الأسمر منسوبا إلى صوفية وفقهاء ولدوا قبله، فقد ذكر الشيخ أحمد القطعاني في كتابه "القطب الأنور عبد السلام الأسمر"[1]: إن أول من بشر به هو سيدي أحمد بن عروس بقوله: "سيظهر بطرابلس الغرب ولي عظيم اسمه عبد السلام وسيكون فاتحا لهذه الطريقة".

وقد جرى تداول هذا النص من قبل بعض الكتّاب دون إخضاعه لأي مساءلة نقدية في صحة نسبته أو منطقية مضمونه كما سترى في النصوص المدرجة في هذا الكتاب.

وبشر به في قصة خرافية ملخصها أن سيدي أحمد زروق دخل ذات يوم للمكتب الذي يقرأ فيه سيدي عبد السلام، فوجد المؤدب ينال سيدي عبد السلام بالضرب، فنزعه من يده وقال له: يا مؤدب آخر الزمان الزم الأدب مع هذا

1) القطب الانور عبد السلام الأسمر ص 34.

الصبي الذي هو مولاك عبد السلام، وإياك ثم إياك أن تضربه لأجل الدنيا الدنية، التي هي جيفة حبها رأس كل خطيئة فهو والله من أكابر الصالحين"[1]

والقصة نفسها تحكى في كتاب "الزهر في الأكمام في طريقة مولاي عبد السلام"[2] المنحول لعمر بن جحا. قال: ثم دخل عليه الشيخ أحمد زروق – رحمه الله – فوجده مع الصبيان في زاوية الشيخ سيدي عبد الواحد الدوكالي رحمه الله، وهو عند ذلك طفل صغير لم يبلغ الحلم، فضربه على رأسه، وقال: عبد السلام هذا هو إمام القوم. يا مؤدب أخاف عليك منه، ثم قال المؤدب: يا سيدي لم أقربه ... الخ"[3]. وقد علق الدكتور عبد الحميد الهرامة محقق الكتاب في الهامش فقال: "من قرأ آثار زروق يستغرب هذا الأسلوب وهذه الأفكار"[4]. وقال الهرامة قبلها تعليقا على العنوان "تعليمه وأشهر شيوخه"[5] يؤكد هذا النص أن أحمد زروق كان من أوائل شيوخ الأسمر.

تعجب الدكتور الهرامة لكنه لو بحث قليلا في فارق العمر بين سنة وفاة الشيخ أحمد زروق، وميلاد الشيخ الأسمر؛ لوجد أنه عندما توفي زروق سنة 899 هـ كان عمر الشيخ عبد السلام الأسمر 18 سنة، ولم يبق في ليبيا إلا سنوات قليلة، ثم أين درس عليه؟ وهو لم يجلس للتدريس بزاوية الدوكالي[6]، ثم أي دوكالي يتحدث عنه؟ هل هو الشيخ أبو محمد عبد الله الدوكالي؟ إذا كان كذلك فهو لم يلتقِ معه دون شك؛ لأنه دخل القاهرة سنة 793 هـ أي قبل ولادة الأسمر وتوفي بمصر بالإسكندرية وحضر وفاته الحسن الجياني[7]. وعلى افتراض أن الذي التقى معه هو عبد الواحد الدوكالي، والذي جاء ذكره في الوصية أن ميلاده 800 هـ بحسب

1) روضة الازهار ص 208. وسنبين لا حقا عدم صحة لقاء الأسمر بالشيخ زروق

2) سيق التعريف بالكتاب

3) الزهر في الاكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام ص 81.

4) المصدر السابق ص 81. لان الحقيقة التاريخية أن الشيخ زروق لم يلتق بعبد السلام الأسمر

5) المصدر السابق ص 80.

6) يرى عبد العزيز عبد الله أن الشيخ زروق من معاصري الأسمر ولم يتتلمذ عليه. رسالة ماجستير، الجامعة الأسمرية، 2022م. إشراف الحسين عكاش.

7) مجلة الوثائق والمخطوطات، مركز دراسات جهاد الليبيين، العدد الثالث، السنة الثالثة، 1988م، ص 73.

ما استنتج مختار بن يونس[1] وهو الأقرب إلى حقيقة مولده، ومع المبالغة في عمره، فيكون قد جاء الأسمر وعمره لا يقل عن خمسة عشر سنة وهو مولود في 880 هـ أي كان عمر عبد الواحد 95 سنة وهو أمر مستبعد، ولعل من اختلق هذه القصة كغيرها من قصص تلمذة السنهوري على الأسمر ومحاولة إيجاد حل في كتاب الوصية[2] للجمع بين الدوكالي والأسمر بصناعة قصة في الوصية ان الدوكالي عاش 130 سنة! وفوق ذلك تؤكد كل الحوادث التاريخية أنه لم يلتق بالشيخ أحمد زروق. والقصة مختلقة كما أن الشيخ الأسمر لم يقابل الشيخ أحمد زروق من خلال سيرته ورحلاته ومدة بقائه في ليبيا[3].

بقي أن نشير إلى قصة كرامة تجمع بين الشيخ الأسمر والشيخ زروق ذكرها التاجوري في الإشارات، والتي لا نشك في افتراء القصة، ولكن لا بأس بالإشارة إليها لأن واضعها يحاول أن يحكي قصة تنافس في موضوع الكرامة بين الشيخ زروق والشيخ الأسمر بعد أن أصبح شيخا ينافس زروق في الكرامات. ففي الإشارات ص: 101–102 يقول التاجوري: "ومنها ما أخبرتنا به الفقيرة يزا المتقدمة الذكر. قالت كان لي ابن يسافر في السفن التي لقتال النصارى وكنت كارهة لذلك فأتاني بسيدي عبد السميع وطلب مني ان اسرّحه فسرّحته لأجله فسافر سفرتين ثم أسر. قالت: فلما سمعت سرت لسيدي عبد السميع قبل أن يصل اليه الخبر فعارضني في الطريق فسلم عليَّ وسألني: هل قدم إبراهيم –يعني ابنها المذكور– فعلمته أنه أُسر فقال: الله، ووضع يده على رأسه ساعة مطأطئًا ثم رفع رأسه وقال لي: والله يا مجذوبة ما هو في جهة شعاب مالطة. ولو كان في مالطة لأتيت به اليك في هذه الساعة. قالت: فقلت له: ايتني به حيث كان. فقال: لا ما هي طريقي

1) من تاريخ الثقافة في ليبيا، ص 153.

2) بعد أن اكتشفوا ما جاء في البرموني من استحالة لقاء الأسمر بعبد الواحد الدوكالي قاموا بإضافة تعديل في عمره وأنه عاش 130 سنة ولم تسقط أسنانه ولم ينحني ظهره، الوصية الكبرى: ص: 72. لاحظ أن بعض الطبعات تختلف فيها أرقام الصفحات.

3) كل ما كتب عن لقاء الشيخ زروق بالشيخ الأسمر لم يظهر إلا في الكتب المنتحلة للأسمر وغيره والتي كتبت لاحقا لتصنع فيها قصة لقاء الأسمر وزروق والدوكالي مثل البرموني أو الزهر في الاكمام أو حديثا فتح العلي الأكبر. كما لم نجد في كناش الزروق ولا في سيرة الخروبي ذكر للدوكالي ولا للأسمر، ولا يوجد أي إشارة انه التقى بالدوكالي الذي رتب لقاء الزروق والأسمر في زاويته كما تحكي القصص الموضوعة.

– بهذا اللفظ – فتبين الخبر انه في غير مالطة. ومنها ابراء ابنته من العمى والزحف. مكثت كذلك سنين ثم أتي بها اليه فباتت عنده فاول من أتاها من الصالحين بعد ابيها الشيخ سيدي عبد السلام والشيخ سيدي أحمد زرّوق. فقال والدها لسيدي زرّوق: ابدأ. فقال: "لا" يبدأ سيدي عبد السلام لأنه أقرب لها مني في الدم. فقال سيدي عبد السلام لأبيها: ابدأ انت ونتبعك. فوضع يده على رأسها وقال: " يا بركة الرجال الصلاح، فانفتح شيء من بصرها. ثم وضع سيدي عبد السلام يده وقال ذلك فانفتح بصرها كله كأنه لم يكن به بأس. ثم امسكها سيدي أحمد من جناحيها وقال كذلك فبرئت وقامت سليمة البصر والرجلين"[1].

كذلك ورد عندهم أنه بشّر به سيدي عبد الله العبادي مشيرا إلى محل الزاوية التي بناها الشيخ فيما بعد قائلا: "سوف تبنى في هذا المكان زاوية[2] للقرآن الكريم على يد ولي الله وقطب زمانه، الذي يشتهر اسمه ويعم نفعه". والعبادي ترجم له الخروبي[3] وقد توفي سنة 898 هـ وكان عمر الأسمر حينها تسع سنوات، ولا شك أن القصة مختلقة عقلا وشرعا، ولك أن تتصور إلى أين وصل العقل الخرافي في نسج خرافاته وقصصه.

ويستمر الهوس الصوفي في نشر هذه القصص التي يصدقها البسطاء من الذين قل حظهم من العلم والدين والمنطق في عصر اتسم بالخرافة والشطحات، وفاقت فيه قصص وكرامات الأولياء حتى معجزات الرسل والأنبياء.

عند دراسة شخصية الشيخ الأسمر من خلال المصادر التاريخية نجد الكثير من التناقض بين هذه المصادر، خاصة فيما يتعلق بمولده ونشأته وعلاقته بمدينة زليتن. ومع التحليل الدقيق للوقائع التاريخية، ومحاولة ربطها بعضها ببعض، وكذلك بعض الروايات الشفوية التي مازالت متداولة إلى وقت قريب نجد أن من الممكن إعادة قراءة مرحلة ميلاده وتاريخه قبل دخوله إلى مدينة زليتن واستقراره بها.

---

1) من غير المقبول الاعتماد على خرافة في توثيق لقاء بين الأسمر وزروق

2) يقبل العقل الخرافي هذه التنبؤات مع مخالفتها للقرآن الكريم، فالنبي صلى الله عليه وسلم نفسه لا يعلم الغيب بصريح القرآن "قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ".

3) شيوخ الخروبي، طبعة دار أصالة ص 50.

هناك رواية متداولة في زليتن، هي أن الشيخ عبد السلام الأسمر جاء من المغرب إلى زليتن، وهذه الرواية مازالت عالقة ببعض الأذهان إلى عهد قريب، ومتداولة عند بعض الناس. وللبحث في هذا الموضوع لابد لنا من أن نستعرض بعض المصادر التي تناولت مولده ونشأته في مراحله الأولى، والتعليق عليها ومحاولة استخلاص الحقيقة منها.

لخص الدكتور مصطفى عمران رابعة – رحمه الله – وهو أحد مشايخ الطريقة العروسية، وأستاذ بالجامعة الأسمرية بزليتن في كتابه "رسائل الأسمر إلى مريديه"[1] بعض المصادر التي ذكرت مكان وتاريخ ميلاد الشيخ عبد السلام الأسمر، وغابت عنه بعض المصادر الأخرى، ولم يبحث بعمق في هذه المسألة التاريخية المتعلقة بمكان ولادته. يذكر الدكتور مصطفى عمران في كتابه "رسائل الأسمر إلى مريديه"[2] أن الشيخ الأسمر ولد، في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول[3] سنة 880هـ – 1475م في مدينة زليتن. ولم يكد يبلغ الستة والعشرين شهرا من عمره حتى فاجأ الموت والده سليم، فتولت والدته السيدة سليمة بنت الشيخ عبد الرحمن الدرعي[4] تربيته وكفالته.. الخ.

من عجائب الصدف أن مولد الشيخ عبد السلام الأسمر يتوافق مع اليوم والشهر الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، كما يروي بعض أصحاب السير، وهذا التاريخ عادة مشتهر في تراجم تاريخ ولادة الكثير من الأولياء. وتحديد تاريخ الولادة لتتوافق مع يوم وشهر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم عادة سائدة

1) سبق التعريف بالكتاب

2) المصدر السابق ص: 20

3) معظم الأولياء في كتب طبقات التصوف ولدوا يوم الاثنين في 12 ربيع الأول.

4) طبيعة الخرافات عند بعض أهل التصوف الطرقي أنها تتطور فكرتها الخيالية دون حتى أصل من مصدر خرافي قبله، فقد ورد في كتيب صغير من مجموعة أوراق مقتبسة من روضة الأزهار والقصص المفتراة على الأسمر سماه "المسك الأذفر في ترجمة والد الشيخ الأسمر" حيث يبدع حاطبه في وضع سلسلة جديدة ص: 21 لنسب سليمة زوجة سليم والد الأسمر بخلاف ما جاء في روضة الأزهار ص: 160 -161. وقصة الزواج كما وردت خرافية لإيجاد علاقة بين سليم من زليتن مع فتاة مغربية رفض والدها تزويجها إلا لرجل في طرابلس حيث يزعمون انه نودي في سره – هذا النداء السري تسري عدواه عند أهل الخرافة فقط - ثم لما يصل إلى الزاوية تلقاه سليم ومعه القاضي والشهود كأنه هو الآخر نودي في سره أو في علم النوم .. فسبحان قاسم العقول؟

في التراث الصوفي. ولعل هذا ما دفع صاحب كتاب[1] (قفة الصلاح) أن يضيف من قفته دون أي مصدر قديم أن الشيخ سليمان الفيتوري ولد في 12 ربيع الأول سنة 488 هـ. يستمر في الافتراء بوضع تواريخ من (قفته) فيقول: "وهاجر إلى مدينة زليتن عام 504هـ"[2].

ولا يُستغرب من هذه الصدفة، فقد ورد في كتاب "روضة الأزهار" المنحول للبرموني قصص وحكايات نسجت وفاقت معجزات الانبياء والرسل من إحياء الموتى، والطيران، وخروج الماء من الحجر، وعلم الغيب. ففي "روضة الأزهار"[3] ينفلق البحر المتوسط إلى أن يصل الأسير إلى بن وليد بسبب أنه فقط نده الشيخ الأسمر أن ينجيه. والقصة تتشابه مع كرامة للشيخ أبي راس. وهكذا تتكرر الكرامات، وتنسخ من كتب الطرق الصوفية، وكل اتباع طريقة يحكونها عن شيخ طريقتهم في توارد للأفكار عجيب وغريب.

ذكر الدكتور مصطفى عمران في هامش كتابه "رسائل الأسمر إلى مريديه"[4] أن هذا ما أجمع عليه كافة المؤرخين الذين ألفوا في حياة الأسمر، أو تعرضوا لترجمته، وقد شذّ عن هذا الإجماع كل من: محمد البهلي النيال في كتابه "الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي"[5] والصادق الرزقي في كتابه "الأغاني التونسية"[6] حيث جعلا الأسمر من مواليد مدينة فاس بالمغرب الأقصى، ولم يشيرا إلى مصادرهما في ذلك.

ونلاحظ أن المصادر التي أعتمد عليها مصطفى رابعة هي كتاب "روضة الأزهار" للبرموني، وهو كتاب مشكوك في كثير من صحة الأخبار الواردة فيه، وتناقضها وما فيه من الكذب والخرافات، فهل اعتبر الدكتور مصطفى رابعة كتاب "روضة الأزهار" مرجعا علميا موثوقا بكل ما ورد فيه، وكتاب "روضة الأزهار" مرت عليه

---

1) قفة الصلاح، أسامة بن هامل، ص: 217.

2) المصدر السابق، ص: 218.

3) روضة الأزهار ص 570 – 571.

4) رسائل الأسمر إلى مريديه ص 20.

5) الحقيقة التاريخية للتصوف الاسلامي، محمد البهلي النيال، دار آفاق، ص 190.

6) الأغاني التونسية، الصادق الرزقي، الدار التونسية، 1967م، ص: 106.

وحرفته أيادٍ كثيرة حتى وصل إلينا بكل هذه الخرافات والمتناقضات كما سنبينه في الفصول القادمة في هذا الكتاب. وكنا نتمنى أن تعامل دكتور مصطفى رابعة برؤية معمقة مع بحثه وغربلة كل القصص الواردة في الكتاب وخاصة أنه أمضى عدة سنوات في كتابته. وهنا نتساءل أي المصادر يحمل في جعبته حقيقة مكان وتاريخ ميلاد الشيخ عبد السلام الأسمر؟

ولمعرفة حقيقة مكان ميلاده يدفعنا البحث إلى دراسة المادة التاريخية الموجودة بين أيدينا والوقوف على حقيقة هذا الموضوع، فالمصدر الذي اعتمد عليه الدكتور مصطفى رابعة هو مصدر وحيد وهو كتاب "روضة الأزهار" لأن جميع المصادر والكتب الأخرى نقلت عنه دون تمحيص، مع أن روضة الأزهار كما سيظهر لنا في هذا الكتاب مشكوك في نسبته لكريم الدين البرموني، والكثير من الوقائع محرفة وتتخللها العديد من الخرافات والقصص المختلقة.

وحسب المصادر المتوفرة لدينا، والبحوث التي كتبت، نجد في ثناياها ما يشير أن ولادته كانت بالمغرب بمدينة فاس. وهناك قصص وردت في كتاب "روضة الأزهار" وغيرها تشير في مضمونها إلى أن ولادته كانت بفاس بالمغرب، مع ما تعرضت له هذه النصوص من التحريف الذي سنحاول أن نكتشف منه حقيقة التزوير في الصفحات القادمة.

من المصادر التي لم يذكرها الدكتور مصطفى رابعة ما جاء في "مجلة دعوة الحق"[(1)] المغربية التي تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية في عددها التاسع والعاشر –السنة الحادية عشرة – جمادي الاولى 1388 هـ–1968م. وهي عبارة عن مقارنة بين الشيخ عبد السلام الأسمر والشيخ عبد الرحمن المجذوب للأستاذ عبد القادر الخلادي.

يقول المؤرخ المغربي عبد القادر الخلادي : "ولم يكن عبد الرحمن المجذوب أول من عبر عن خوالج نفسه بهذه الطريقة، غير أنه ليس لدينا ما يثبت أنه كان يصاحبها بالإيقاع على دف أو بندير أو بنغمات الناي، مثل ما يروى مثلا، عن الشيخ عبد السلام الأسمر (881–985 هجرية) 1475–1573 م. إن هذا الشيخ كان من مواليد مدينة فاس، وكانت أمه سليمة تنتسب إلى الشيخ عبد السلام ابن

---

1) مجلة دعوة الحق، ص 122-123.

مشيش، فإنه انتقل من بلاد المغرب إلى طرابلس، وكان يعتريه الجذب، فيحمل الدف، وينشد عليه الأناشيد الصوفية باللغة الدارجة، وطريقته بين الشاذلية وطريقة الشيخ أحمد بن عروس. ومن شعره الملحون.

أنا الغوث القطب السلطان ولي مشهور ظاهر

أولاني الإله الفرد الرحمن على كل باد وحاضر

شمسي تبدت وضوت الأركان والرب عاطي وقادر

انتهى كلام عبد القادر الخلادي.

إن أول ما نلاحظه أن هذه العبارات جاءت جزءً من مقالة تتحدث عن عبد الرحمن المجذوب (909 –976 م)، وهو شخصية صوفية مغربية كان معاصراً للشيخ عبد السلام الأسمر بفاس بالمغرب. وهذه المقالة كانت تحت باب دراسات مغربية. فالأستاذ الخلادي يتحدث عن شخصية مغربية وهو مؤرخ متخصص في الدراسات المغربية، والكاتب يقارن هنا بين عبد الرحمن المجذوب والأسمر، ويذكر شيئا من شعره الذي يعدّ جزء من الفولكلور المغربي، ولم يكتفِ الأستاذ الخلادي بذكر مكان ميلاده بفاس بل يذكر اسم والدته سليمة، وأنه انتقل من فاس إلى طرابلس، وهذه الإشارة هي ما يبعث على الشك في مكان ولادة الشيخ الأسمر.

ويشير بوضوح إلى أن الشيخ الأسمر لم يولد في زليتن، وإنما دخلها وهو شاب وقد ترك تراثا شعبيا شعريا خلفه في فاس بالمغرب. وهذا ما تشير إليه دلائل ومصادر تاريخية أخرى وإشارات مازالت تقرأُ خلال النصوص التي تم تحويرها، وخاصة أن الشيخ عبد الرحمن المجذوب كان من مواليد سنة 909 هـ والشيخ الأسمر من مواليد سنة 880 هـ أي أكبر منه بتسعة وعشرين سنة، ولنا أن نتخيل أن عمر الشيخ الأسمر سيكون تسعة وأربعين سنة عندما كان الشيخ عبد الرحمن المجذوب بعمر 20 سنة وظهر فيها نبوغه، وما ترجحه هذه الدراسة أن الشيخ الأسمر دخل مدينة زليتن وقد تجاوز عمره الخامسة والأربعين سنة على أقل تقدير.

وذكر الصادق الرزقي في كتابه الأغاني التونسية، وهو كتاب متخصص في الطرق الصوفية في معرض حديثه عن الطريقة السلامية في هامش الصفحة[1] ما نصه :"السلامية نسبة للشيخ عبد السلام بن سليم من مواليد فاس سنة 880 هـ 1475 م وانتقل لطرابلس مستقرا بزليتن إلى أن توفي سنة 981 هـ – 1573 م وطريقته بين الشاذلية والعروسية. وهنا يؤكد الصادق الرزقي مرة أخرى أن الشيخ ولد في مدينة فاس وانتقل إلى طرابلس واستقر بزليتن، فما هي حقيقة ولادته في المغرب وانتقاله إلى طرابلس واستقراره بزليتن؟ وكيف تحول من صوفي مغربي إلى ولي ينتمي إلى قبيلة الفواتير بزليتن؟.

بالرغم من اختلاف بعض المصادر حول مكان ولادته فهل من الممكن إعادة قراءة النصوص والحكايات للبحث حول هذه الحقيقة في هذا الكم من الافتراءات والتحريفات المستمرة؟

لمحاولة البحث أكثر عن هذه الحقيقة، وبنظرة معمقة في كتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار"، وكتاب خليفته عمر بن جحا "الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام"، وفي كتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم" للتاجوري نجد أنه طرد من زليتن أكثر من مرة، وطرد من طرابلس، ومصراته، وساحل الأحامد، ولم يستطع حتى أن يقيم بين أهله الفواتير كما يحكى عنه، واستقر به المقام بزليتن أخيرا في رحلة طويلة سنذكر تفاصيلها في عنوان قادم.

ذكر الشيخ عمر بن جحا في كتابه "الزهر في الأكمام"[2] ما نصه: " وكان سبب ذلك – أي سبب نزوحه إلى طرابلس الغرب– أن والده سيدي "سليم" قد اتهموه بالسرقة في مدينة تونس، ومسكوه مسكا شنيعا، وأرادوا أن يصلبوه أمام السلطان الحفصي، وهو يبكي ويتضرع، ويقول: يا ليت أمي لم تلدني. فما أتم كلامه وإذا بالشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن عروس راكبا على فرس بيضاء، وبيده زقاية[3]، إلى أن وصل إلى الأمير، وقد وجد الناس مجتمعين، وكلهم يقول:

1) الأغاني التونسية، الصادق الرزقي، ص: 106

2) الزهر في الاكمام، ص 58.

3) زقاية: عصا باللهجة العامية تستخدم في الدفاع عن النفس، مازالت اللفظة تستخدم أحيانا بلفظ زقية.

هذا جزاء من سرق، أن يصلب أو يرجم بالحجارة المعتدلة، والخيط في رقبة سيدي سليم بأيدي النصارى، وقد سلبوه أزرته، وأرادوا أن يصلبوه. فدعس الشيخ سيدي أحمد بن عروس إلى سيدي سليم المذكور، ونزع الخيط من رقبته، واغتار سيدي أحمد بن عروس، ووقف شعره، إلى أن خرج من قميصه، فقال: يا أمير بلدنا، لا يجوز لك هذا، إلا أن يثبت عليه بعدلين شاهدين أن سليما سرق من الحرز، فقال الأمير: يا سيدي أحمد بن عروس، أتزكيه؟ فقال: أزكيه يا أمير المؤمنين. هذا نور سليم من نور آدم، ونور آدم ومن آدم إلى أولاده من بعده، ومن نبي إلى نبي إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ومن شيخ إلى شيخ إلى سليم هذا يخرج من ظهره ولي يشاع خبره في المشرق والمغرب، ولولا ما سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشفاعة لكان هو. فمشى به سيدي أحمد بن عروس، أي مشى بسيدي سليم إلى داره، وصنع له ما شاء من الطعام، وقال له: يا سليم عليك بالشرق وهذا الخبر رواية سيدي الغرائري، عن سيدي سليم مخبرا عن نفسه".

فهذه القصة وإن كانت تتضمن شيئا من الخرافة والتقديس الذي لا حدود له، إلا إنه يبدو أن لهذا النص حقيقة تعرضت للتحريف إن كان هناك كتاب لخص سيرة الأسمر قبل أن تتعرض للتحريف وهي أن الشيخ الأسمر كان هو ووالده بتونس قادما من المغرب، وبقي بها مدة من الزمن ينشر طريقته إلى أن حدث شيء ما أدى إلى مغادرتهما إلى طرابلس، وإذا كان سليم قد جاء من الشرق فهل يحتاج إلى وصية وتوجيه من الشيخ أحمد بن عروس ليقترح عليه التوجه إلى الشرق ليفعل ذلك؟ أليس الشيخ عبد السلام ولد في زليتن كما يشاع؟، إذن فليس بحاجة إلى من يوجهه بالانتقال إلى الشرق.

يبدو من خلال العديد من القصص الأخرى ما يدل على أن الشيخ الأسمر جاء من المغرب بعد أن داع صيته بها وعرف بطريقته قبل أن ينتقل إلى تونس ومنها إلى طرابلس ثم إلى زليتن. وذكر البرموني في كتاب "روضة الأزهار" عن حكاية زيارة والد الشيخ عبد السلام الأسمر لتونس نوردها كما هي ثم نعلق على هذه القصة وسبب ذكرها وهل كان لها وجه من الحقيقة أو أصابها تحريف. قال: "توجه سيدي سليم – والد الشيخ – في ابتداء حاله لتونس بقصد زيارة الصالحين الذين بها، وكان قد أنطق بشيء من جهة الباطن، فأنكر عليه أهل الظاهر، وعقدوا عليه مجلسا، قال: فبينما هم يقربونه للقتل إذ جاءهم قطب الزمان

يركض فرسه، إلى أن وقف عليهم، إذ هو سيدي علي أبو تربة " علي بن أبي تربة أجتمع به الخروبي سنة 932 هـ " فقال لهم على عجل أطلقوا هذا الولي المظلوم الذي تريدون قتله، فإن في ظهره وليا كاملا يغاث به من قاف إلى قاف، يسمى بعبد السلام، ووصفه لهم بما سيقع فيه. قال: "طوبى لمن حضر هذا الولي ورآه، أو سمع به شيئا من كلامه، فقالوا: يا ليتنا نعاصره أو نسمع شيئا من كلامه، فقال لهم إنكم لن تروه ،يل تموتون قبل مولده، وإن أردتم أن تسمعوا كلامه لسمعتموه، فقالوا: أسمعنا كلامه، فنادي يا عبد السلام تكلم مما أنعم الله عليك به، فأجاب من صلب أبيه: لبيك لبيك. ثم نطق بقطعة في شكر النعمة، وفي الوعظ والتذكير، والنفر من الدنيا، فجاءت تلك الجماعة لسيدي سليم وجعلوا يقبلون يديه، ويقولون:" شيء لله، شيء لله". وأمن سيدي علي سليم القتل، ورجع إلى بلاده إلى أن جمع الله بينه وبين أم الشيخ، والله هو الجامع للشمل ومشتته، وهو على ما يشاء قدير، وسيدي علي هذا كان من أكابر الأولياء الناطقين بالغيب، وكان محل كشف اللوح المحفوظ، فكان إذا قال قولا يقع على الصفة التي قال. توفي عام 897 هـ عام سبع وتسعين وثمانمائة، نفعنا الله به"[1].
ما يهمنا من هذه القصة أنها قريبة من القصة التي ذكرها عمر بن جحا في إنقاذ "سليم" والد الشيخ عبد السلام من مشكلة حدثت له بتونس ثم نجا منها بقصة خرافية وتوجه إلى طرابلس. ونلاحظ من القصة أن علي أبو تربة توفي عام 897 هـ أي بعد ولادة الشيخ الأسمر بسبعة عشر سنة، كما يذكر البرموني في الروضة المنحولة له، ولكن يخبرنا محمد بن علي الخروبي أنه التقى به سنة 932 هـ أي أن عمر الشيخ عبد السلام الأسمر كان تقريبا 52 سنة.

ومهما كان عمر الشيخ، وهل التقى بالشيخ على أبو تربة أم لا، إلا أن هذه القصة التي أوردها البرموني تجعلنا نشك في أن الذي ترك تونس خوفا من مشكلة حدثت له هناك، لم يكن والده سليم، وخاصة أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ونحن نعتمد هنا منهج استخلاص النواة التاريخية من الروايات ذات الطابع الأسطوري، وهو منهج يقتضي تحديد معيار واضح لتمييز العنصر التاريخي المحتمل من العنصر المُختلَق، وذلك من خلال تحليلنا لهذه القصة وغيرها من القصص الأخرى التي تبين أن الشيخ الأسمر صادم علماء وفقهاء عصره أو تكلم

1) روضة الأزهار ص 203-204.

بشيء خالف علماء عصره أو بسبب استخدامه للدف، ولذلك نجد أنه له مواقف مشابهة له في ليبيا مع الشيخ الدوكالي، والحطاب، وسالم بن طاهر، وعلماء طرابلس، والفقيه المباركي، وهمام، وتجد أنه تعرض للطرد من مصراته، وطرابلس وزليتن، وساحل الأحامد، ولعل السبب الذي طرد من أجله من تونس هو نفس السبب الذي سبب له كل هذه العداوة في ليبيا، فهل كانت بدعة استخدام الدف فقط، أم أن له شطحات أخرى؟ أم هو التنافس بين الطرق الصوفية، وخاصة أن الشيخ الأسمر في كل تنقلاته كان يبحث له عن موطئ قدم لنشر طريقته؟

إذن ترجّح القرائن المتاحة، وإن لم تبلغ حد اليقين، أن الشيخ الأسمر جاء من المغرب، ومر بتونس وبقي بها، وتكون له أتباع، ثم انتقل إلى ليبيا وتعرض للطرد والأنكار عليه من الكثير من العلماء، ولكنه استطاع في النهاية أن يسكن الحلقة الأضعف في ذلك الوقت بعد أن تنقل بين طرابلس وقرى أخرى، فوجد بغيته في زليتن، وخاصة أنها قد تعرضت للوباء الكبير الذي أتى على معظم سكانها في منتصف القرن العاشر والذي ذكرته الوثائق المحلية بزليتن، واستقر الشيخ الأسمر وسط زليتن على جزء مرتفع، يرجح أنه كان به حجرة مثل "الفوقه"[1] بمنطقة السبعة بزليتن، وبقي في عداوة مع أولاد غيث[2] في بداية أمره بسبب إنكار بعض شيوخهم عليه. ولعل وجود أتباع له في تونس يدل على مكوثه مدة بها قبل مجيئه إلى طرابلس، ثم إلى زليتن، ولذلك نجد أن خليفة الشيخ الأسمر – عمر بن حمودة المعروف بابن جحا – فيما بعد، قد رجع إلى تونس بعد خلافه مع عمران ابن الشيخ الأسمر إبان ثورة السويدي، ومقتله على يد يحيى السويدي. دفن عمر بن جحا في تونس وقبره مشهور بها إلى يومنا هذا. ومن الإشارات التي تجعلنا نرجح أن ولادته كانت بفاس بالمغرب أن والدته – أي والدة الشيخ عبد

1) الفوقة: منطقة مرتفعا نسبيا بزليتن تعرف بالفوقة بمنطقة السبعة بالقرب من زاوية الفواتير، كانت حصنا رومانيا هدم وبقيت بعض الأثار الدالة عليه

2) هناك وقائع تاريخية تذكر أن أحمد بن مجيب الغيثي كان جالسا بزاوية الأسمر عندما مر العياشي بزليتن. ومن المفارقات أن نسبة كبيرة من أوقاف زاوية الأسمر كانت قد أوقفت من أولاد غيث والكورغلية ومازالت وثائق الوقف شاهدة على ذلك. فلماذا يستمر نشر هذه الافتراءات!، ومن المستفيد من هذه العداوات والتي قد تكون نشأت لأسباب أخرى سياسية أيام الدولة العثمانية!.

السلام الأسمر زوجة سليم –كانت من المغرب من مدينة فاس واسمها سليمة بنت الشيخ عبد الرحمن الدرعي. فلا ندري متى تعرف سليم والد الشيخ الأسمر على سليمة وأين التقى بها، وهذا ما يؤكد لنا أن الشيخ عبد السلام الأسمر ولد في المغرب بمدينة فاس. ولذلك حاول أولئك الذين حرفوا تاريخ الشيخ الأسمر اختلاق قصة خرافية ذكرها البرموني في كتاب "روضة الأزهار" مفادها أن سليم كان بزليتن لترسل له زوجته سليمة من المغرب بسبب نبوة لوالدها، وملخص القصة كما يذكرها البرموني في "روضة الأزهار" ما نصه كما يلي: "والسيد سليم هذا له حكايات كثيرة ذكرناها في غير هذا، منها اطلاعه على زوجته أم الشيخ قبل أن تلدها أمها، وذلك أنه إذا قيل له: تزوج، يقول: حتى تزداد أم عبد السلام، وهي إذا ذاك لم يبن أبوها أمها "[1].

ويضيف البرموني في روضة الأزهار في حديثه عن والدة الشيخ الأسمر "أما والدته – أعني والدة شيخنا الذي هو سيدي عبد السلام الأسمر فهي مغربية من بلد درعا، وأسمها سليمة وتلقب بعيادة[2] لمولدها في يوم عيد الفطر، ولا تشتهر عند الناس إلا بعيادة، يذكر أنها تزايدت ببلد درعا، وربيت وعرفت ما يصلح بها من فرض العين وغير ذلك، فنودي في سر والدها سيدي عبدالرحمن الدرعي: لا يزوجها لأحد من الناس إلا السيد سليم بأرض طرابلس الغرب، فكان الناس يرغبون في خطبتها من أبيها سيدي عبدالرحمن، ويبذلون له في الشرائط الكثير من ذهب وفضة وغير ذلك ،فيقول لهم: ما لي ولتزويجها لكم ولو بوزنها ياقوتا، وسيظهر زوجها – إن شاء الله – من أرض طرابلس الغرب، شريف حسيني من نسب آل محمد صلى الله عليه وسلم"[3]. ويستمر النص بالروضة: "فلما أن أراد الله بالجمع بينها وبين سيدي سليم، قالوا: حملها أبوها على هودج "على بعير"[4]

---

1) روضة الأزهار ص 196.

2) عيادة هي والدة الشيخ الأسمر ولدت بالمغرب وفي قصة خيالية أُتي بها لتتزوج والد الشيخ الأسمر بطرابلس ويتم اخفاء حقيقة ميلاد الأسمر بفاس بالمغرب.

3) روضة الأزهار، 197.

4) علق د. الهرامة على أسلوب البرموني في الهامش، ص: 197 فقال: الأصل عن بعير، وهو نموذج للأسلوب شبه العامي. أقول: وهو أحد الادلة على دخول أيدٍ عديدة ساهمت في تحريف الكتاب الأصلي. لكن د. الهرامة مازال يعتقد بصحة نسبة الكتاب للبرموني.

وركب فرسه، وجعل يسوق بها إلى أرض طرابلس الغرب، فلما وصل بها إلى أرضها، ودخل قرية من قراها بعوسجة من حيز الزاوية الغربية، وبينما يسوق هناك لقي سيدي سليم بالقاضي والشهود[كذا] قالوا فزوجها والدها حين ذلك لسيدي سليم بعقد وصداق، وفي حكاية تطول –ذكرناها في الكبير – ثم ارتحل بها سيدي سليم من قرية عوسجة، ولم يبن بها إلا في بلده التي هي يزليتن، ولم يتزايد له معها ذرية عدا سيدي عبد السلام"[1].

إن هذه القصة وإن كانت تحوي جانبا خرافيا يصعب تصديقه من ادعاء علم الغيب لوالدها الشيخ عبدالرحمن الدرعي، ومحاولة إيجاد طريقة ما بوصل هذه الفتاة المغربية، برجل في طرابلس اسمه سليم، لكنها تكشف بعدًا مازال يخفي حقيقة تاريخية في ما بين سطور هذا النص، وهي أن سليمة التي تسكن بالمغرب، تزوجها سليم والد الشيخ قبل أن يأتي إلى طرابلس الغرب، وسنكتشف بتحليل النصوص الأخرى أن الشيخ عبد السلام الأسمر ولد في المغرب، وبقي بها حتى اشتهر هناك بقصائده وطريقته، ثم انتقل إلى تونس، ومنها إلى طرابلس الغرب، ونلاحظ أن سكنه بزليتن لم يكن سهلاً؛ فقد تعرض للطرد منها مرات عديدة، ولذلك نجده يتنقل من هنا وهناك، وسنستعرض النصوص والحكايات التي وردت في سياقات مختلفة تجعلنا نرجح أن الشيخ الأسمر لم يكن من أهل مدينة زليتن، وإنما هاجر إليها وحاول الإقامة بها. ثم تمكن بعد محاولات عديدة من الإقامة بها، ومما يثور سؤال هو: لو كان الشيخ الأسمر من زليتن، ومن قبيلة الفواتير فلماذا لم يبق ويتمتع بحماية قبيلته وأهله الفواتير؟ ولكننا نجده يتنقل في أرجاء المنطقة ولم يقم بينهم، بل نجده في كثير من الحكايات المنقولة عنه يخطب ود قبيلة الفواتير ويوصي بهم في كثير من وصاياه.

بقي أن نشير إلى دلائل أخرى مازالت في وثائق زليتن والتي ترجح قدوم الشيخ عبد السلام الأسمر لطرابلس من المغرب مرورا بتونس، فمن هذه الدلائل وفي بداية دخوله لزليتن قصته مع الشيخ سالم المهدوي عندما التقى به وقال له: "حس يا مغربي كل بلاد بها أهلها" والقصة كما ذكرها أحمد القطعاني في كتابه "موسوعة القطعاني"[2] حيث يحكي قصة خرافية يهمنا منها إشارة خفية هي أن

---

1) روضة الأزهار ص 197-198.

2) موسوعة أحمد القطعاني الجزء الثاني، ص 39.

الشيخ كان معروفا في ذلك الوقت بأنه مغربي حيث يقول: "ومن ذلك أن الشيخ سالم المهدوي مر بالشيخ عبد السلام الأسمر وهو في حالة جذب غائب عما حوله، فقال له الشيخ سالم المهدوي: "حس يا مغربي كل بلاد بها أهلها"، فسلب في الحين، فجاء للشيخ عبد السلام معتذرا فقال له: لو كان كل من سلبه عبد السلام رد عليه، ما بقي عند عبد السلام شيء"[1].

إذن فقول سالم المهدوي: "حس يا مغربي" قد تؤكد أنها إشارة إلى أصله المغربي وهذا الوصف كان شائعا في ذلك الوقت، وهو مناداة الشخص بأصله كما وجد في وثائق زليتن المحلية القديمة[2]، فيبدو مع دخول المهاجرين من المغرب وخاصة بعد الهجرة العكسية وسقوط الأندلس، استقرت أسر مغربية وبعض الصوفية والفقهاء بزليتن وغيرها، فمثلا تجد لقب التركي وهو يطلق على من كانوا من موظفي وعساكر وضباط الدولة العثمانية، ونجد لقب التونسي، أو الجربي، أو الفاسي أو الصفاقسي أو المغربي، أو التاجوري، أو الطرابلسي، وغيرهم كثير في زليتن وغيرها من مدن ليبيا، كما هاجر لها أعلام صوفية مثل الشيخ زروق، والشيخ حلولو، والشيخ الدوكالي، والشيخ الباز وعبدالرحمن الطشاني التاجوري والأمثلة كثيرة.

كما لا ننسى أن نذكر هنا بأن أمه مغربية وتسمى عيادة من بلدة درعا بالمغرب، وكيف نسجت بسذاجة قصة زواجها من والده سليم في طرابلس الغرب، ومن الواضح أنها اخترعت لتبرير أنه كان ينتظرها في زليتن، ولم يتزوجها في المغرب، وهي من النصوص التي يبدو أن لها نصًا سابقًا تم تحريفه كما تم تحريف سبب تسميته بالأسمر.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ الأسمر رحمه الله توفي في زليتن ودفن في زاويته سنة 981 هـ، لكننا نتفاجأ أن صاحب كتاب "الدرر الفاخرة في أعيان علماء الآخرة"

1) وردت القصة في كتاب الأشارات للتاجوري ص:50 بصيغة: "حس يا مغربي كل بلاد فيها أهلها".

2) لم تتوقف الهجرات من وإلى زليتن عبر القرون ويظهر في وثائق زليتن القديمة وخاصة في العهد العثماني الأول حيث نجد أن فلانا لقبه التاجوري نسبة إلى أصله من تاجوراء، والتونسي والجربي من جربه بتونس والتركي أي من القادمين مع العثمانيين والمصراتي من مصراته والترهوني من ترهونة، والزغواني من زغوان بالمغرب، و الورفلي من ورفلة، والقابسي من قابس بتونس والمغربي من المغرب، والمغزازي من مغزاز بتونس ... الخ.

لمؤلفه يوسف بن عابد الفاسي يقول: "ومنهم: سيدي الإمام العارف بالله العالم الصوفي الكبير عبد السلام بن محمد بن سليم بن أحمد الأسمر المتوفى سنة 981 هـ لقيته بفاس سنة 978 هـ عند دخولي إلى فاس لأول مرة، وقد ناهز المائة تعمر طويلاً، وعرضني عليه أحد أعمامي ليجيزني فأجازني إجازة عامة بطريق السادة الشاذلية وهو أخذها عن شيخه سيدي عبد الواحد بن محمد الدكالي عن فتح الله بن إدريس القيرواني المالكي عن أحمد بن عبد الله بن الرشيد الساحلي عن أبي راوي العجل عن أبي العباس أحمد بن عروس عن فتح الله العجمي عن ياقوت العرشي عن أبي العباس أحمد المرسي عن سيدي علي بن عمر الشاذلي بإسناده المعروف، وكان سيدي عبد السلام من رجال الصوفية المجاذيب، مع أنه كان عالماً مسنداً فقيهاً، له طلب واسع، وله منظومة في سلسلة الشاذلية".

والنص السابق يصعب تصديقه وخاصة أن الشيخ الأسمر ناهز المائة وما زال هناك بفاس في هذا العمر!، ولعل هناك خطأ في نقل هذه المعلومة أو أن هذا يثير إشكالا يرويه بعض كبار السن قديما من قبيلة البراهمة أن هناك رجل آخر أسمه عبد السلام الأسمر وكان يضرب على الدف ومع الشيخ الأسمر وهو الذي خلفه ودفن بزليتن والشيخ الأسمر رجع إلى فاس بالمغرب[1].

نسب الشيخ عبد السلام الأسمر

بركات آل البيت وطلب المدد والاعتقاد في الأولياء يُعد معتقدًا راسخ في العقل الجمعي في بعض المجتمعات المسلمة، ورسخ هذا الاعتقاد بعض الطرق الصوفية. وربما يعتقد البعض أن التبارُك بالأولياء وآل البيت له امتيازات اجتماعية سواء في المجتمع أو عند السلطة الحاكمة. لذلك فإن التراث الصوفي

1) تبقى هذه القصة قيد البحث بظهور وثائق أخرى تؤكدها أو تنفيها مع قناعة مؤلف الكتاب أن الشيخ الأسمر دفن بزليتن وأن سرد بعض المتصوفة لهذه القصص عادة للتأكيد على نيل الإجازات وعادة ما يخترعون قصص فيها الكثير من المتناقضات والادعاءات والتي مع البحث والتدقيق يُكتشف انها تناقض بعضها بعض.

حافل بسلاسل نسب الأولياء وكلها تصل نسبتها بآل البيت. ووصل الحد إلى الاعتقاد أن الولي[1] لابد أن يكون من آل البيت!.
لقد انتشرت هذه المعتقدات في المجتمع المسلم في فترة مبكرة بعد بدء الصراع على السلطة والحكم، وظهرت أحاديث تقول أن الأئمة من قريش، وأحقية آل البيت بالخلافة، وتطورت إلى أن العرب[2] هم أفضل أجناس الأمم!.

هذه المعتقدات نتاج الصراع على الدنيا ومحاولة الوصول إلى هذه المكتسبات الدنيوية عبر الشرعية الدينية. لكن القرآن الكريم قد حسم هذا الموضوع وجعل التقوى أساسا للتفاضل بين الناس يوم القيامة، وأن الأنساب لا قيمة لها في ميزان القرآن الكريم.

فالله سبحانه في القرآن أنزل آيات محكمات في هذا الموضوع نحتاج إلى عرضها في مقدمة هذا الموضوع.

لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ذرية، وقد انقطعت ذريته بوفاة أبناءه الذكور، ولم يبق له من ولد إلا زيد بن حارثه أبنه بالتبني، وكانوا ينادونه بزيد ابن محمد، وقد قطع الله علاقة التبني ونزل في ذلك قرآن، قال تعالى: "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيما"[3]. وجاء في قوله تعالي: "ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا"[4].

---

1) معظم الأولياء يحملون سلسلة نسب تصلهم بالسيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها. راجع الطبقات الكبرى للشعراني وستجد أن عداد كبيرا لمن ترجم لهم من الأولياء ينتسبون إلى آل البيت، وكأن ولاية الله شرطها النسب الشريف، وهذا مخالف لآيات القرآن الكريم.

2) مازالت بعض كتب الفقه تحمل هذه الفكرة وهي أن العرب أفضل الأجناس، وهذا مخالف لهدي القرآن، فإذا كان الرسل والأنبياء قد ظهروا من بين كل الأمم، والناس مطالبون بعدم التفريق بين رسل الله. كما أن خطيئة إبليس كان أساسها الاعتقاد بانه خير من آدم بسبب اختلاف المادة التي خلق منها، وبين القرآن أن هذا سببه الكبر.

3) الأحزاب، آية 40.

4) الأحزاب، الآية 5.

وبذلك انتهى انتساب زيد كأبن للنبي صلى الله عليه وسلم. وقد ورد في الآية الثانية أن أدعوهم لآبائهم. والآية الأولى تحدثت عن ختم النبوة في سياق "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم" وبهذا يقطع الطريق مستقبلا لكل من يدعي أن لمحمد أبن ولو بالتبني وقطع أي ادعاء مستقبلا أن ابنه قد يرث منه النبوة أو أي شي يتعلق بالرسالة. ولما لم يجد المنتفعين بالانتساب للنبي صلى الله عليه وسلم طريقا من ولده انتقلوا للانتساب له عن طريق ابنته فاطمة رضي الله عنها زوج علي رضي الله عنه. وأصبح الانتساب إلى أبناء فاطمة رضي الله عنها سوقا رائجا في المجتمعات وتشعب في عدة مسائل فقهية عند أهل السنة وعقدية عند الشيعة حتى إدعى بعض الصوفية أن الولي لابد أن يكون من آل البيت. هذا ما حمل من كتب عن معظم الاولياء الذين وردوا في كتب الطبقات وصلهم بأحفاد النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أبناء فاطمة رضي الله عنها. وقد رجح ابن القيم رحمه الله أن الآيات الواردة في آل البيت نزلت في الذين حرمت عليهم الصدقة وهم ذريته وأزواجه خاصة. لذلك فإن الإنسان الشريف ليس شريفا من دون بقية الناس، وقد جاء الإسلام لهدم هذه الخرافات والتي بدأ هدمها بقصة ابليس الذي إدعى أنه خير من آدم لأنه خلق من نار وخلق آدم من طين، وهذا نظير قول البعض أنه أفضل لأنه ينتمي إلى العرق أو الأصل الفلاني. لذلك فالشريف يدعي أن أجداده يحملون نسبا مشرفا، والحق أنه لا يوجد شيء أسمه أصل شريف وأصل وضيع!. وما يشرف الإنسان عمله وعلاقته بالله ولا يجعل منه شريفا ولو كان أحد أبناء الرسل والأنبياء. لذلك فقد قطع الله علاقة نوح بابنه عندما طغى الماء. قال تعالى: "قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ"[1]. وقطع الله علاقة نوح بابنه، وذكر كذلك أن ذرية الأنبياء والرسل منها الصالح ومنها الظالم، "وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ"[2].

كما نشير هنا أن البحث في الانساب البعيدة ليس طعنا في الانساب كما يصوره البعض. وقد شاعت عبارة اعتقد كثير من الناس أن المقولة " الناس مؤتمنون على أنسابهم" حديث شريف روي عنه صلى الله عليه وسلم، وهذا اعتقاد خاطئ

1) هود، الآية: 46.

2) الصافات، الآية: 113.

ولا يستند إلى أية دليل معتبر. كثير من الكتاب والعامة يروون المقولة مكتفين بجزئها الأشهر متناسين أو جاهلين بتتمة العبارة وهي "ما لم يدعوا شرفا". فالمقولة الصحيحة: "الناس مؤتمنون على أنسابهم ما لم يدعوا شرفا."

وأصل المقولة "الناس مؤتمنون على أنسابهم ما لم يدعوا شرفا"، تنسب إلى الإمام مالك وهي قاعدة فقهية وليست قاعدة أنساب بل إنها لم ترد ابتداء في كتب الأنساب المعتبرة، بل نقلها كتاب متأخرون كتبوا في علم الأنساب دون دراية مما ساعد في انتشار المقولة واعتبارها قاعدة في الأنساب لا تقبل الجدال.

والناس لا يعلمون من انسابهم إلا الانساب القريبة منها أما البعيدة فليست قطعية، وعلوم الجينات الحديثة كشفت الكثير عن حقيقة هذه المشجرات والسلاسل –بعضها لا تصمد أمام البحث التاريخي – والتي تكونت نقابات تهبها لمن تشاء وتباع وتشترى كما تباع الشهادات المزورة.

هناك عدة سلاسل لنسب الشيخ الأسمر وقد ذكر الشيخ علي جوان هذه الاختلافات في مذكرة صغيرة بعنوان "صفحات من حياة الشيخ عبد السلام الأسمر الحسني الفيتوري"[1]. تختلف نسخ البرموني في نسب الشيخ الأسمر، فمخطوط الزيتونة [2] ينسبه إلى بني سعيد من بني هلال، بينما في مخطوط آخر ينسب إلى الأشراف الأدارسة، أما صاحب "فتح العليم" فينسبه إلى بني مخزوم القرشيين[3].

أما أهم المصادر وأشهرها هو كتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في البعض من مناقب صاحب الطار" لكريم الدين البرموني، حيث يذكر سلسلة نسب الشيخ الأسمر كالتالي: "عبد السلام بن سليم بن محمد بن سالم بن حميدة بن عمران بن محيا بن سليمان بن سالم بن خليفة بن عبد الله الشهير بنبيل المخزومي"[4].

ونلاحظ في سلسلة هذا النسب أن هناك ستة أشخاص يفصلون بين الشيخ عبد السلام الأسمر وجده سليمان الفيتوري الذي استشهد في قتال النصارى

---

1) صفحات من حياة الشيخ عبد السلام الأسمر، علي مختار جوان، مذكرة صغيرة، 1981 م، ص: 3.

2) روضة الازهار، مخطوط الزيتونة، تونس

3) قول في مقدمة فتح العليم: "عبد السلام بن سليم .... بن نفيل السعيدي المغربي المخزومي القرشي".

4) روضة الأزهار ص 119.

ودفن بسيدي الشعاب كما يروى عن كتاب مفقود مشكوك في وجوده أصلا ذكره عبد الرحمن المكي عن كتاب اسمه الجرس في الشرف[1]. وعبد الرحمن المكي مشكوك في مخطوطه، وفي وجود هذه الشخصية أصلا كما سنبين في عنوان قادم في هذا الكتاب، فإذا كان ميلاد الشيخ الأسمر هو سنة 880 هـ، ووفاة سليمان الفيتوري[2] 537 هـ فإن هناك بينهما 344 سنة وعدد أجداده في هذه المدة هم سليم ومحمد وسالم وحميدة وعمران ومحيا[كذا] ثم سليمان ويستحيل أن يغطي عدد هؤلاء مدة 344 سنة، حتى إذا افترضنا أن هناك ثلاثة أجداد في كل قرن. وهذا ما يثير الشك في اتصال هذه السلسلة وفي صحتها.

أما الشيخ الطاهر الزاوي فقد أشار في كتابه "أعلام ليبيا" إلى وجود شجرة الأشراف بزليتن بدار الكتب المصرية رقم 10956 وهو نسخة عن وثيقة[3] يشار أنها بخط عبد الواحد بن عبد القادر الفطيسي سنة 1123 هـ.

وهناك صورة ضوئية من هذه المخطوطة منتشرة في مدينة زليتن، وهي طويلة ومزخرفة بخطوط ورسوم، إلا أن بها خطأ تاريخيا فادحا لا يمكن تجاهله. حيث يذكر نسابة العرب ومنهم ابن حزم الأندلسي في كتابه "جمهرة أنساب العرب"[4]، أنه كان للحسن بن الحسن أيضاً محمد، لم يعقب.

كما أن هناك مآخذ كثيرة على هذه الوثيقة، حيث أنها كتبت بعد قرن ونصف من وفاة الشيخ الأسمر، والنسخة الحالية هي نسخة عن أصل، وكل الذين

1) لا يوجد أي توثيق أن الفواتير قالوا بأنهم من الأشراف إلا بعد ظهور كتاب البرموني، وفتح العليم، واشتهار أمر الشيخ الأسمر، ووثيقة النسب التي كتبت سنة 1123 هـ فهي مقطوعة لأن محمد لم يعقب كما ذكر ابن حزم في جمهرة الأنساب. فقبل هذا التاريخ لا يوجد أي مصدر أو وثيقة تذكر أنهم من الأشراف.

2) قصة استشهاد سليمان الفيتوري سنة 537 هـ لم ترد في مصدر صحيح وحتى لو صدقنا بوجودها فإن روجر الصقلي دخل طرابلس سنة 540 هـ كما ذكر الإدريسي وابن خلدون، كما أن الوزير السراج حدده 541 هـ والراجح ما ذكره الادريسي لأنه معاصر له. ومن الافتراءات الحديثة أن المدعو أسامة بن هامل يحدد وفاته باليوم والشهر دون أي مصدر تاريخي معتمد ويطالب بأن يجعل من قصة مختلقة عيدا وطنيا كما ذكر ذلك في صفحته على الفيس بوك.

3) أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، ص 222.

4) جمهرة أنساب العرب، محم ابن حزم الأندلسي، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1982م، ص: 42.

شهدوا بالنسب المذكور لم يعاصروا الشيخ الأسمر، وبعضهم جاء أجدادهم إلى زليتن بعد وفاة الشيخ الأسمر، وكل هؤلاء لم يذكروا مصادرهم في ذلك، ولكنهم شهدوا بالسماع المتفشي المنقول عن أولاد الشيخ الأسمر أنهم ينتسبون إلى الفواتير، وإلى النسب النبوي الشريف، ولعل السبب في كتابتها أن أولاد الشيخ في ذلك الوقت قد احتاجوا لهذه الوثيقة بسبب الاعفاءات الضريبية مع بداية الدولة القرمانلية حيث إن تاريخ نسخها وهو 1123هـ يوافق تقريبا 1711م.

إذن فكل المصادر تبطل هذا النسب سواء من عبد السلام إلى سليمان، أو ما بعده. ولعل الحاجة إلى إثبات النسب الشريف كان مهما في ذلك الوقت لأن الولي على زعم بعض المتصوفة لابد أن يكون من آل البيت، كما أن الدولة العثمانية قد أعطت امتيازات ضريبية للأشراف، ولذلك كان الانضمام والبحث عن النسب الشريف مهما في ذلك الوقت، للحصول على امتيازات دينية ودنيوية.

الغريب في الأمر أن الفواتير لم يذكر في أي مصدر من وثائقهم القديمة قبل القرن الحادي عشر أنهم من الأشراف إلا ما جاء في البرموني – الذي بينا بجلاء أن كتابه منحول برمته – أو في الكتب التي نسبت له فيها قصص وقصائد وكرامات. لكن الفواتير معتبرون من المرابطين[1].

كما أنه لا توجد وثيقة واحدة يذكر فيها أن الفواتير من الأشراف في العهد العثماني الأول ولم يتحصلوا على إعفاءات ضريبية، وإنما انتشرت هذه القصص مع بداية الدولة القرمانلية وتاريخ الوثيقة التي بينا انقطاعها هو سنة 1123 هـ وهو بداية الدولة القرمانلية.

من خلال استقراء روضة الأزهار، وما نسب فيها من أقوال وقصائد تشير إلى ترديد الشيخ الأسمر في قصائده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جده، والذي يبدو أن هناك سعيًا من مريديه لإثبات ذلك. ولهذا تجد قصصًا في البرموني تحاول إثبات هذه الحقيقة بعدة طرق. فقد جاء في روضة الأزهار حكاية عن عم الشيخ الأسمر، وهو سيدي أحمد الفيتوري: "وكان سيدي أحمد الفيتوري الذي هو عم الشيخ ينسب إلى الشرف، لأنه لبس وألبس أولاده العمائم الخضر التي

1) نتائج تحليل الجينوم الحديثة لبعض العينات من الفواتير تخرج على تحورات بربر شمال أفريقيا والمغرب وأحد العينات من أفارقة الصومال. انظر نتائج شركة الفاملي تري والشركة الألمانية المتخصصة بتحليل الجينوم.

صارت الآن زيا للشرف، ولم ينهه سيدي أحمد زروق[1] عن الانتساب للشرف، بل قال له: أنت شريف الطرفين، وإنه لم يفعل ذلك إلا بعد صحته عنده، لأنه رجل صالح، وله مخبرة في العلم والنسب، إلى أن قال: وقد سألت الشيخ الذي هو مولانا عبد السلام ذات يوم عن نسبة آل محمد صلى الله عليه وسلم فقال: أنا منهم، إلى أن قال: "كنت إذا اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم فأكثر ما يخاطبني به: ياولدي"[2].

لماذا لقب بالأسمر

اشتهر الشيخ عبد السلام بن سليم بلقب الأسمر، ويبدو أن هذه الشهرة جاءت بسبب لون بشرته بحكم طبيعة المجتمع في وصف الناس ببعض أوصافهم الطبيعية، أو بشيء يميزهم، ومضى معه إلى ما بعد وفاته وليس كما تم تحريف هذا الوصف فيما بعد، ومريدو الطريقة العروسية ربما قد وجدوا حرجا من هذا الوصف، فقاموا بإيجاد تفسيرات أخرى لهذا الوصف بعيدا عن لون بشرته، ولذلك تجد وصف الشيخ عبد السلام بالأسمر جليا في كتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم" عندما تحدث عن أوصافه في بعض كراماته، وتجد ذلك جليا في مخطوط عبدالرحمن المكي، ولعل هذه المخطوطات قد كتبت قبل تغيير معنى هذا الوصف بالأسمر، وافتراء قصة كرامة مستقبلية له، تقول أنه لقب بالأسمر بعد ولادته؛ لسَمَره في عبادة الله، في أمر جاء لوالدته في علم النوم.

جاء في كتاب "روضة الأزهار" المنحول لكريم الدين البرموني أن والدته – رحمها الله قالت: "لما أن ازداد لي عبد السلام وبلغ الأربعين يوما، أُمرتُ في علم النوم أن نلقبه بالأسمر لمبيته ساهرا في طاعة الله".

---

1) لم يذكر الشيخ زروق أي قصة ولا كلمة في كتبه ولا كناشه عن الفواتير ولا الشيخ الأسمر وكتبه موجودة لمن أراد أن يطلع عليها. كما وجدت بعض الافتراءات على زروق في البرموني والنور النابر حيث ينسب له كلام غير موجود في كتبه. وقد علق الهرامة على عدم صحة ما نسب لزروق في بعض هوامش تحقيقه لروضة الأزهار.

2) روضة الأزهار ص129- 130.

ويكرر إثبات هذا اللقب ما ذكره الشيخ في كتابه المسمى بكتاب "العظمة في التحدث بالنعمة"[1] من قوله: "سميت بالأسمر لمبيتي الليالي سهرا في طاعة الله"[2].

هذه القصة وإن كان فيها ادعاء لعلم الغيب، وشيء من الوحي والإلهام لتلقيبه بالأسمر في علم يسميه البرموني بعلم النوم، نقلا عن والدة الشيخ عبد السلام التي لا ندري هل التقى بها البرموني أم لا. ولا سيما أنها ماتت والشيخ الأسمر مازال طفلا صغيرا كما يحكى والمؤكد أنها لم تأتي معه من فاس إلى طرابلس الغرب، ولغرابة القصة يا ترى من كان مهتما بطفل في ذلك الوقت ليطلق عليه لقب الأسمر لسمرهِ في عبادة الله!، إلا أن هناك ما يشير إلى حقيقة أخرى ربما تكون محاولة لطمس الكثير من الحقائق عن شخصية عبد السلام الأسمر وتحريفها؛ فنتج عنه صناعة شخصية اجتمعت فيها الكثير من المتناقضات، فمن المعروف أن التصوف يدعو إلى تزكية النفس والبعد عن الرياء وهنا نلاحظ نسبة تزكية الشيخ الأسمر لنفسه بالسهر في طاعة الله، وهذا الكلام لا يصدر عن الصوفي الحقيقي الذي يبتعد عن تزكية نفسه، ولعل هذا الخطاب قد يكون مقبولا في ذلك العصر الذي اتسم بالتخلف والانحطاط وتفشي الخرافة وتحشيد الأتباع والمريدين.

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن لقب الأسمر كان معروفا بالمغرب التي هاجر منها الشيخ الأسمر، مثل الشيخ محمد مكين الدين الأسمر، دفين فاس، ولم يكن هذا اللقب معروفا في زليتن، وقد ذهبت بعض القصص إلى أن الشيخ عبد السلام الأسمر كان رقيقًا أسودَ وأعتق كما ذكر ذلك جورج ريمون في كتابه "من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا"[3] اعتمادا ربما على حكايات شفوية من أهل زليتن

---

1) كتاب منسوب للأسمر قيل مفقود ثم نكتشف أنه موجود وفيه طوام وكفريات لا يقولها مسلم، ففي روضة الأزهار ص 408 و409 ينسب له شعر منه: أنا التقي الكامل ذو القدوة ... من عاقني ممقوت! والقلم في اللوح يكتب بقدرتي ... قفوا ببابي يا خوت!

(2) روضة الأزهار ص 199.

3) من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، جورج ريمون، ترجمة محمد الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس1983م. ص 196. هذا الافتراء سواء نقله ريمون أو افتراه لا يصمد أمام التحقيق العلمي، فالرقيق في ليبيا حتى بعد عتقهم في ذلك الوقت يخضعون للنظام الطبقي العنصري في ذلك الوقت.

لعلها صدرت من بعض المخالفين أو المعترضين على طريقته، وقد علق الدكتور مصطفى رابعة على ما ذكره ريمون بقوله: " والأسمر في عرف الليبيين هو "الزنجي الأسود" وجنح الخيال الصحفي بريمون فتوهم الشيخ عبد السلام أسمر اللون[1]، ومادام أسمر اللون فلابد وأن يكون والده رقيقًا، كما هو الحال بالنسبة لبعض الزنوج الليبيين المقيمين على طول الساحل الليبي"[2]. لكننا نجد كذلك في بعض المصادر ما يؤيد أن سبب التسمية أنه كان أسمر اللون وليس سمرا في عبادة الله، وذلك في إحدى الكرامات التي يرويها عبد السلام التاجوري في كتابه "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم" – مخطوط بدار العلوم بتونس– أن الشيخ كان أسمر اللون في قصة سيدي بوغرارة صاحب الشيخ قال: "فلم يشعر إلا ورجل **أسمر** بيده معول.. قال فتيقنت أنه الشيخ بلا شك".

وذكر عبد السلام التاجوري في "فتح العليم" أيضا من المخطوط ما نصه: "ومن صفته أنه كان **أسمر** حلوًا لا تمل من النظر اليه، أسود العين والحواجب والهدوب، في عينه وسع ... الخ"[3]. فهنا يذكر عبد السلام التاجوري بوضوح أن الشيخ كان أسمر، أي أسمر اللون ولم يكن بمعنى سامرا في عبادة الله. ووردت قصص أخرى في كتاب "فتح العليم" تشير إلى وصف الشيخ الأسمر لسمرته وليس وصفا للسمر في العبادة، كما ذكر عبد السلام بن عثمان في كتابه "فتح العليم" من المخطوط ما نصه: "والحكاية أن الشيخ لما آذاه أهل بلده؛ انتقل للساحل وتزوج من ماجر أهل الساحل فتسلط عليه مفاسد الأحامد بالأذية ضربا وشتما ورجما وغير ذلك، فكان اذا اشتد به الأمر أوى للشيخ سيدي مفتاح، وما وقع له مع سيدي مفتاح أنه كان ذات يوم عيد من الأعياد ولم يجد الشيخ سيدي مفتاح ما يذبح لأطفاله في ذلك العيد فجعلت زوجته تلومه وتعيره فلما أن قرب روضته صاح لهم من قبره صياح الغنم فدخل الشيخ ومكث في قبته إلى قرب الليل ثم راح للدار التي عياله بها فإذا به في الدار عدة غنم مذبوحة، والأطفال يأكلون منها فرحين فقال للمرأة من أين لكم هذا فقالوا أتانا بها رجل **أسود** عليه

---

1) يرجح الباحث عزالدين عبد الله في رسالة ماجستير، 2022م، بعنوان: الشيخ عبد السلام الأسمر من خلال رسائله إلى مريديه إشراف حسين عكاش: أنه كان أسمر اللون، ص: 16.

2) رسائل الأسمر، مصطفى رابعة، ص 17.

3) فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم، ص 76.

ثياب بيض وتشم منه رائحة، وقال هذه الشياه بعثها لكم عبد السلام ثم ذبحها وسلخها وعلقها وذهب، فعلم أنه هو سيدي عبد السلام لأنه كان **أسود** رضي الله عنه"[1].

مع التحفظ على ما في النص من قصة خيالية إلا أن تطور تحريف النص ربما بسبب الوقت ومحاولة طمس سبب تسميته بالأسمر بسبب سمرته إلى السمر في العبادة، والواقع المعلوم من النسخ التي لم يتم العبث بها كليا أن الشيخ الأسمر عرف بهذا اللقب بسبب أن لونه أسمر، وليس سمر العبادة، وكيفما كانت الحقيقة فالألوان أسود أو أبيض أو أصفر ما هي إلا آية من آيات الله كما قال تعالي: "ومن ءاياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين"[2].

كما أن الصلاح والاستقامة لا علاقة لها بلون بشرة المسلم، فبلال الحبشي بدون شك أفضل من كل من ذكر من الأولياء، مهما كانت ألوانهم ولم ينقص ذلك من مكانته شيئا.

ولكن ربما وجد بعض مريديه ومن انضم إليهم في عقود لاحقة حرجا من وصفه بالأسمر فقاموا بتغيير وصفه بالسمرة في اللون إلى معنى السمر في عبادة الله، وبقيت بعض هذه الشواهد في وثائق ومخطوطات لم تنتبه لها أيدي صانعي ومفتري هذه الحكايات.

ويذكر عبد الرحمن بن علي المكي في تقييده في مناقب الشيخ الأسمر في قصة خيالية حدثت له في النوم، ومع الشك في نسبة المخطوط نفسه للشيخ المكي، لكن من المؤكد أن الذي كتبه لم يتدارك ما حدث من تصحيح لمعنى الأسمر كما حدث في كتاب "روضة الأزهار" وما صدر بعده من مخطوطات لكونه متقدمًا عليها.

يقول عبد الرحمن مكي: " فنمت وإذا أنا برجل **أسمر** اللون خذراوي حلو الدم، أفلج أسنانه أشد بياضا من الثلج، أكحل المقلتين وحواجبه كأنهن الهلال ليس

---

1) فتح العليم في مناقب عبدالسلام بن سليم، ص 32-33.

2) سورة الروم، الآية 22

بالقصير ولا بالطويل راكب على فرس حمرا وعليه برنوص وثياب وشاش ابيض فقلت له من أنت فقال لي أنا عبد السلام الأسمر الفيتوري ..."[1].

وقد قام مصطفى رابعة في كتابه "رسائل الأسمر إلى مريديه" باستبدال وصف الشيخ بالأسمر بقوله **آدم اللون**: "كان رحمه الله جميل الصورة **آدم اللون** لا تمل من النظر إليه"[2] لعله يجد حلا لهذا التناقض في سبب لقب الأسمر بمعنى السمر في العبادة، والأسمر بمعنى اللون أو البشرة، وهو تكلف زائد لا يغير من حقيقة الاضافات والتعديلات المستمرة على سيرة الأسمر.

ولعل هذا التغيير كان محاولة إيجاد تفسير جديد لمعنى الأسمر الذي اتصف به الشيخ، ولم يكن في البداية معروفًا إلا به، وخاصة كما حققنا أنه جاء من فاس بالمغرب، فلعله بعد وفاته ووصفه بالأسمر – **أي لونه أسمر**– وجد اتباعه ضرورة تغيير هذا المعنى واختلاق هذه القصة للتخلص من هذا الوصف، وإيجاد معنى صوفي له يرفع من درجة الشيخ عبد السلام الأسمر بدل أن يكون عيبا يعاب به، كما جرت عادة بعض الناس في عصور التخلف والطبقية. ومن المفارقات العجيبة أن لقب الأسمر كان موجودا في فاس بالمغرب، ولعل الشيخ مكين الدين الأسمر كان من مواليد فاس أيضا وكان الوصف بسبب سمرة لونه مما يشير أن الوصف لا علاقة له بالسمر في عبادة الله.

وفي كتاب "الإشارات لبعض ما كان بطرابلس الغرب من المزارات"[3] لعبد السلام بن عثمان التاجوري يحكي كرامة لأحد أولاد الشيخ وأسمه محمد وكان **أسود اللون**، وكانت خالته عائشة التاورغية **سمراء اللون** كذلك، ومهما كانت الحقيقة فلون البشرة لا ينتقص من قدر الانسان بقدر ما ينتقص قدره عند الله بعمله، ولكن تحريف النصوص طال معظم سيرة الشيخ الأسمر حتى حرف وصفه، وغابت شخصيته الحقيقية في هذا الكم من التحريف والافتراءات.

قال التاجوري في كتاب الإشارات: "وبالقرب منه قبر أخيه جدنا سيدي عبد الوهاب ابن سيدي عبد السلام وهو من أكابر الصالحين المتبعين للشريعة بصق

---

1) تقييد عبد الرحمن المكي في مناقب عبد السلام الأسمر، ص 5.

(2) رسائل الأسمر إلى مريديه، مصطفى رابعة، ص 39

(3) كتاب الاشارات، ص 76.

والده في فمه؛ فظهرت بركة بصاقه عليه كعادته رضي الله عنه في كل من تفل في فيه حي ظهرت له الكرامة، واحترمته الامراء والصالحون وتبعته الناس واقتدوا به. وكان **أسود اللون** حسنا جدا وكانت أمه أمَةً، فأخذه بعض إخوته وهو صغير وجعله في سفينة يريد بيعه فوقفت السفينة ولم تمش فأنزلوه فوقفت فردوه فوقفت فأنزلوه.. الخ"[1].

إن تحرج بعض اتباع الطريقة من كونه أسمر اللون ربما دعاهم لاختلاق القصة في البرموني بسبب الممارسات في ذلك الوقت الذي يمارس العنصرية على ذوي البشرة السوداء. لكن ربما غاب عن ذاكرتهم أن بلال بن رباح من كبار الصحابة ومن المبشرين بالجنة كان أسود اللون، وأن زيد بن حارثة شهيد مؤتة كذلك، وابنه أسامة بن زيد جعله النبي ومن بعد أبوبكر رضي الله عنه أميرا لجيش المسلمين وتحت أمرته كبار الصحابة.

وختاما فإن وضعنا لهذا العنوان ليس انتقاصا من الشيخ الأسمر كما قد يخطر لبعض اتباعه أو المنتسبين له، ولكن بقدر ما هو لبيان نوع آخر من التحريف في شخصية الشيخ الأسمر تتعلق بوصفه، وكيف تعرض هو أيضا للتحريف من خلال البحث في المخطوطات التي سبقت ظهور معنى الأسمر وتحريفه بمعنى السمر في العبادة.

دراسة وتحقيق وظيفة عبد السلام الأسمر

تنسب الطريقة السلامية والعروسية للشيخ عبد السلام الأسمر ويبدو أن أذكارها كذلك من المفتريات التي أضيفت له فيما بعد وفاته. فبدراسة سريعة لأذكار الطريقة نجد أنها نقل شبه حرفي لأذكار الطريقة القادرية. وهذه مقارنة نوضح فيها الفرق بين وظيفة الشيخ الأسمر[2] والوظيفة القادرية[3] وقد وضعت الفرق بينهما بين قوسين لتبيين النقل الحرفي من الطريقة القادرية وتشابه النصين مما يبعث الشك في انتحاله كذلك بعد موت الشيخ الأسمر ونسبته له:

---

1) المصدر السابق ص 76.

2) كما وردت في تنقيح روضة الأزهار، محمد بن مخلوف، ص: 204-205.

3) الفتوحات الربانية في الوظيفة القادرية، هناك اختلافات طفيفة في بعض النسخ https://archive.org/details/awrad-e-qadria/page/n1/mode/2up

اللهّ على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.
الفاتحة (3 مرات)
الإخلاص (3) الفلق (3) الناس(3)

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم(3)

فضل من اللهّ ونعمة، شكر من اللهّ ورحمة، والحمد لله على التوفيق ونستغفر اللهّ في (كل تقصير)
النص القادري :(من كل تقصير)

غفرانك ربنا وإليك المصير نعم المولى ونعم النصير(3)

سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب(3)

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك
سبحانك ما عرفناك حق معرفتك

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي دائم لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير(3)

وإليه النشور (صباحا) وإليه المصير (مساء)

لا إله إلا الله الملك الحق المبين،
لا إله إلا اللهّ الملك الحق المتين،
لا إله إلا اللهّ (الملك الحق اليقين)،(هذه الجملة غير موجودة في الوظيفة القادرية)

لا إله إلا الله أرحم الراحمين،
لا إله إلا اللهّ أكرم الأكرمين.
لا إله إلا الله (حبيب التوابين). (هذه الجملة غير موجودة في الوظيفة القادرية)

لا إله إلا الله غياث المستغيثين

لا إله إلا الله أبدا حقًا،

لا إله إلا الله إيمانا وصدقا،

لا إله إلا الله تلطفا ورفقا،

لا إله إلا الله تعبدا و (رقّا)، (لا ترد كلمة "رقّا" في الوظيفة القادرية)

لا إله إلا الله القوي الجبار،

لا إله إلا الله الواحد القهار،

لا إله إلا الله الحليم الستار،

لا إله إلا الله العزيز الغفار.

لا إله إلا الله هو رب كل شي،

لا إله إلا الله هو قبل كل شيء،

لا إله إلا الله هو بعد كل شيء،

لا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى ويموت كل شيء،

لا إله إلا الله (المعبود في كل مكان) (في القادرية :لا إله إلا الله في كل مكان بدون كلمة المعبود)

لا إله إلا الله المعبود في كل زمان) في القادرية : في كل زمان بدون كلمة المعبود)

لا إله إلا الله المذكور بكل لسان،

لا إله إلا الله المعروف بالإحسان،

لا إله إلا الله الحليم المنان،

لا إله إلا الله العزيز الرحمان،

لا إله إلا الله العظيم السلطان،

لا إله إلا الله كل يوم هو في شان،

لا إله إلا الله صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده. لا إله إلا الله له النعمة وله الفضل وله الثناء وله الإحسان. لا إله إلا الله لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير)(3) ، (في الوظيفة القادرية: غالباً مرة واحدة فقط)

لا إله إلا اللّٰه(11)
لا إله إلا اللّه (23)
(في بعض نسخ القادرية العدد 21 بدل 23)

لا إله إلا اللّه(33)
لا إله إلا اللّٰه(33)

اللّهُ اللّٰه اللّٰه اللّٰهُ اللّٰه(100)
اللّٰه اللّٰه اللّٰه (ختم الوظيفة)

أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأشهد أن محمدا رسول اللّٰه(3)

اللّهُمَّ أحينا عليها وأمتنا عليها وانفعنا بها عند الشدائد و(الحاجة) إليها يا رب العالمين يا أللّٰه(3) (كلمة الحاجة غير موجودة في الوظيفة القادرية) اللَّهُمَّ أحينا سعداء وأمتنا شهداء ولا تخالف بنا عن عن(على) طريق الهدى يا رب العالمين يا أللّٰه(اللّٰه) (3)ثم دعاء ثم:(غير موجود في القادرية)
أجب دعانا اللّٰه يا مولانا أجب دعانا وارحمنا يا اللّٰه.
أجب دعانا اللّٰه يا مولانا أجب دعانا وأجرنا يا اللّٰه).
أجب دعانا اللّٰه يا مولانا أجب دعانا واسترنا يا اللّٰه.
أجب دعانا اللّٰه يا مولانا أجب دعانا واحفظنا يا اللّٰه،
أجب دعانا اللّٰه يا مولانا أجب دعانا ولا تفضحنا(غير موجود في القادرية) يا اللّٰه.

صلوات دائمات طيبات على محمد(3)
سلام دائم طيّب (غير موجود في القادرية) على محمد(3)
تحيات زاكيات طيبات على محمد(3)

يا ذا الجلال والإكرام يا اللّٰه اختم لنا بالإسلام يا اللّٰه(3)
يا ذا الجلال والإكرام والعزة القاهرة (غير موجود في القادرية) ثبّتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة(3)

آمين آمين آمين يا رب العالمين(3)

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (الفاتحة)(3)

إن الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما:
اللّهُمَّ صلّ على سيّدنا محدد(محمد) عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما(3)

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

من مقارنة نص الطريقة السلامية بالقادرية نلاحظ تطابق شبه حرفي بين الوظيفتين مما يبعث الشك أيضا في صناعة أذكار الطريقة العروسية بعد وفاة الشيخ الأسمر كما صنعوا له من كرامات وقصائد ووصايا ورسائل وانتحالها له بعد وفاته رحمه الله.

انقطاع سلسلة الطريقة العروسية

الشيخ أبوراوي الفحل، واسمه بالكامل أبوعبد الله محمد بن عمران أبوراوي الفحل – والصحيح أن أبو راوي كما هو مشهور اسمه "عبد الله بن علي". (انظر الحلل السندسية[1]– وقد ذكر في الوصية الكبرى أنه عاش ستين عاما وتوفي في رجب 931هـ، وورد أن الشيخ أحمد بن عروس توفي في 2 صفر عام 868 هـ كما جاء في الحلل السندسية[2]، فإذا صح أن أبا راوي عاش ستين عاما تكون سلسلة الطريقة العروسية مقطوعة حيث أن ولادته وقعت بعد وفاة الشيخ بن عروس بثلاث سنين.

من ناحية أخرى هناك طول في السند بين الأسمر وأبي راوي بالرغم من أنهما متعاصران، فالأسمر أخذ حسب زعمهم عن الدوكالي[3] عن أبي رأس، عن أبي تليس، عن أبي راوي، والأسمر ولد عام 880 هـ وسنه كانت خمسون عاما عند وفاة أبي راوي.

قد يقول قائل أن وفاة أبي راوي انفرد بها الوزير ابن السراج في كتابه الحلل السندسية في الأحوال التونسية، ولم ينقل ابن السراج مصدره حيث إنه توفي

1) الحلل السندسية، ص 298.

2) الحلل السندسية، ص 1088.

3) وضحنا في عنوان عدم صحة لقاء الأسمر بالشيخ الدوكالي.

عام 1149هـ أي بعد أكثر من قرنين من زمن وجود أبي راوي. وهذه الشبهة لا ترقى لتطعن في نقل الوزير ابن السراج، فالمؤرخ في كثير من نقولاته، لا يذكر مصادره وهو ثقة، ومؤرخ تونسي مشهور، ومن سيرته أنه تلقى علومه عن مشايخه وولد في بيت علم ودين. وقال عنه محمد مخلوف: " كان محدّثا، وأنه كان مؤرخا ألمعيا" والمؤرخون عموما ينقلون الكثير من الأحداث التاريخية دون ذكر مصادرهم، فهذا لا يعني عدم صحتها، وأما وفاته سنه 1149 هـ لا تعني أن نقله غير صحيح؟ والانفراد بنقل وفاة أبي راوي عام 931 هـ لا يقدح في صحتها ما لم يوجد من نقل يعارضه.

اعتمد البعض في اتصال سلسلة الطريقة العروسية على ما ورد عن عبد السلام الأسمر في كتابيه الوصية الكبرى، والأنوار السنية وقد بينا بطلان نسبة الكتابين للشيخ عبد السلام الأسمر ووضعها، وبينا ما فيها من مخالفات عقدية تصل إلى الإشراك بالله نسبت زورا إلى الشيخ الأسمر، وادعاء علم الغيب، لا يصدق ببعض ما جاء فيها إلا جاهل بما علم من الدين بالضرورة. ويحاول البعض الاعتماد على ما جاء عن عمر بن علي الجزائري في كتابه "ابتسام العروس ووشي الطروس في مناقب أحمد بن عروس"، لكون الجزائري تلميذًا لابن عروس ويفترض أنه عرف أبا راوي. واعتمادهم على ما نسب للشيخ عبد السلام والجزائري أن أبا راوي التقى شيخه بن عروس، وعمره 12 سنة. هل يا ترى من الممكن لصبي عمره 12 سنة أن يأخذ طريقة صوفية. لا يلتفت لهذه الخرافات لأن الرواية مشكوك بصحتها لورودها في كتاب بطلت أصلا نسبته إلى الشيخ عبد السلام الأسمر. كما أن هناك طعنًا آخر في صحة سند الطريقة العروسية. طعن الشيخ أحمد القطعاني في سند الطريقة في كتابه "القطب الأنور عبد السلام الأسمر" حيث قال: "وأجدني أذهب إلى الطعن في النقل عن سيدي الشيخ عبد السلام الأسمر رضي الله عنه فإن بالسند المذكور انقطاعا، ويبدو أن الجميع نقل عن البرموني دون تمحيص"[1].

سنبين تحت عنوان عدم صحة لقاء الأسمر بالشيخ عبد الواحد الدوكالي، ومنه سنبين عدم أخذ الأسمر عن الدوكالي ولا التقى به ولا أخذ عنه أي شيء، لا الطريقة العروسية، ولا تتلمذ عليه، وبهذا فالطريقة بالسلسلة المذكورة

1) القطب الأنور عبد السلام الأسمر، أحمد القطعاني، ص 103.

مقطوعة. وعلى كل حال فمعظم أورادها وأحزابها صنعت في قرون لاحقة بعد وفاة الشيخ الأسمر ولنا معها وقفات في أبحاث أخرى.

إنكار العلماء على الشيخ عبد السلام الأسمر

من خلال تتبع سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر نجد أن له تنقلات في طرابلس الغرب، إلى أن استقر به المقام بزليتن، بل إن هناك قصصًا يُفهم منها أن الشيخ الأسمر قد هاجر من تونس بسبب اتهامه بشيء ما. كما يفهم ذلك من قصة نزوح والده إلى ليبيا. فهل كانت هذه التنقلات للبحث عن مكان للاستقرار فيه والتمكن من نشر طريقته كما جاء في كلام بعض من كتبوا عنه حديثا، أم أن هذه الرحلات سببها أن الشيخ الأسمر لم يكن من أهل زليتن، ولم يكن من أهل طرابلس أصلا، وإنما ولد وترعرع بمدينة فاس بالمغرب، ثم استقر مدة من الوقت بتونس، وحدث لوالده نزوح من تونس في قصة كان سببها اعتقاله من قبل السلطان الحفصي كما ذكرها عمر بن جحا في كتابه "الزهر في الأكمام "[1] وذكرها البرموني في كتابه "روضة الأزهار"[2] بتحقيق الدكتور عبدالحميد الهرامة مع تغيير بسيط في سبب اعتقاله، حيث ذكر أنه تكلم بشيء من الباطن فأنكر عليه أهل الظاهر، مع أننا نجد في مواضع أخرى أن والده كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب. ولا شك أن هذه القصة ما زالت تحمل شيئا من الحقيقة، وهي أن الشيخ الأسمر ووالده مر في طريق رحلته من المغرب إلى تونس، واستقر بها مدة من الزمن، وهذا ما يفسر سبب وجود اتباع له في تونس. ثم حدثت له أو لوالده هذه المشكلة مما اضطره لترك تونس والهجرة إلى ليبيا، ويذكر البرموني في "روضة الأزهار" أن الشيخ الأسمر مكث بجبل زغوان مدة يتعبد وذكر شيئا من زجله:

أنا تركني جبل زغوان	مرقب مشرف وعالي
وأنا قنطرة وادي ليان	إذا احتمل في الليالي

وهذا يشير إلى ما ذكرناها في عنوان سابق أنه جاء من المغرب مرورا بتونس بجبل زغوان، وكون له اتباعًا هناك، ثم حدث حادث أدى إلى هجرته في نهاية العهد الحفصي من تونس، وانتقاله إلى طرابلس.

---

1) الزهر في الأكمام ص30.

2) روضة الأزهار ص 203.

ولعل الأسباب نفسها التي أدت إلى خروجه من تونس هي التي أدت إلى خلافه مع علماء طرابلس، وزليتن، ومصراته، ومسلاته، وحتى عدم تمكنه من الاستقرار بين بني جنسه من الفواتير، واستقراره في نهاية المطاف بزليتن بين أولاد غيث والبراهمة، ولعل زليتن كانت الحلقة الأضعف والأبعد عن السلطة الحاكمة من بين كل هذه المدن ولوجود من كان يرحب به فيها.

كما نجد من خلال ما بقي لنا من قصص تنقلاته داخل مدن ليبيا أنه رُفض من جميع قرى ومدن طرابلس الكبيرة، بما فيها زليتن كما جاء في "روضة الأزهار" وغيرها من المصادر. ثم رجع إليها واستقر بقرية الفواتير مدة، ثم تركها في تبرير صوفي خرافي، بكونهم أهل بلاء إما تضرهم أو يضروك. وانظر إلى القصة كاملة في "روضة الأزهار"[1].

ما حدث للشيخ الأسمر تكرر قبله بوقت قصير في قصة نزوح مشابهة لما حدث لأحمد بن تليس وتلميذه فتح الله أبو رأس. وذلك بسبب اتهامهم بالزندقة من قبل الحفصيين.

ولكي نبحث في حقيقة هذه التنقلات وأسبابها وما حدث فيها من إنكار على الشيخ الأسمر، لابد أن نتتبعها بشيء من التحليل لنصل فيها إلى أسباب، وحقيقة رفض كل هؤلاء العلماء وهذه المدن له مع ما نسج حولها من خرافات وتناقضات. ولابد من أن نشير إلى أنه بالرغم من التحريفات والخرافات التي سادت هذه المصادر فمن الممكن البحث عن الحقيقة بقراءة ما بين السطور، وبتحليل النصوص الواردة فيها، وسيتم كذلك مناقشة المناظرات المزعومة بين الشيخ الأسمر وأشهر علماء طرابلس في ذلك الوقت وتفاصيلها في وقفة مع كتاب "قفة الصلاح"[2] زعم فيه مؤلفه أنه أجرى قراءات جديدة في سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر، لكن الكتاب حقيق أن يسمى قفة الصلاح.

الشيخ الأسمر وطرده من زليتن

يقول البرموني في روضة الأزهار: "وبعدها رجع لبلاده – يقصد الشيخ الأسمر – التي ولد فيها وهي يزليتن، فلما حل بها وظهرت عنايته فيها، حسده أهلها، ورموه

1) روضة الأزهار ص 318 -319.

2) قفة الصلاح، أسامة بن هامل، منشورات الشؤون العلمية بزاوية الأسمر، 2023م.

بالسحر، ومازالوا به إلى أن نفوه منها سبع مرات، وهو يتنقل إلى القبلة ويرجع إليها، ولم يستقر أمره فيها عندهم إلا بعد نفيه منها ومن غيرها، ورجوعه إلى تاورغاء ومصراته، ثم طرده أهل بلده – التي هي يزليتن – طرد الإياس، انتقل إلى قرية أخرى غربها تسمى بالساحل، ومكث بها مدة، وصحبه جماعة فضلاء من أهل ماجر الساحل، وظهرت فيها كرامات كثيرة، فتسلطت عليه قبيلة من قبائلها وهم قوم يقال لهم الأحامد .... وكان الشيخ عليهم: همام ومفتيهم الفقيه مبارك بن يحيى"[1]. إلى أن قال في صفحة 232 و233 "كانا يرميانه بالعظائم كالسحر والاستدراج وشبه ذلك حتى كرهوه وأبغضوه مع جهلهم، ومازال به الأحامد حتى طردوه من قريتهم.."[2].

فهل لهذه القصص وجه من الحقيقة؟ وهي أنه كان هناك اتهام له، أو كان هناك شك في تفاصيلها، وما هي الأسباب الحقيقية لطرده من كل منطقة يرحل إليها؟، وما هي التهم الموجة إليه؟ ولعلها الحادثة بقيت عالقة في بعض اتباعه ونسجت بعدها قصائد وقصص أخرى في ذم الأحامد وشيخهم المباركي وهمام وعلام، حتى سجل عمر بن جحا في كتابه قصة استهزاء بالشيخين مبارك وهمام على أساس أنهما كانا أقرانًا له في الدراسة، يقول في كتابه (الزهر في الاكمام): " وبعد ما صار يتكلم ويعرف الخير والشر وضعوه عند المؤدب يقرأ القرآن مع أنداده همام ومبارك فحسدوه لفصاحته وحسن صوته، وحفظه، فجاؤوا إلى عياله، وقالوا لهم: عبد السلام لو وضعتموه جباد يخدم عليكم لكان أحسن لكم..الخ"[3]

فهذه القصة تختلف عما ذكره البرموني، وهي أنه كان يتنقل وعمره كبير. أما قصة عمر بن جحا فتتحدث عن طفولته، وأنه كان يقرأ القرآن مع أنداده، وهو مستبعد لأنه إما أنه لم يغادر فاس بالمغرب بعد، أو أنه كان مع أهله في الفواتير، وكلا القصتين وضعت فيما بعد بسبب عداوة همام ومبارك من ساحل الأحامد عندما طردوا الشيخ من قريتهما ومكان نفوذهما، ولعل العداوة استمرت بعد

1) روضة الأزهار ص 230.

2) المصدر السابق ص 232-233.

3) الزهر في الأكمام ص 62.

مقتل عمران، بسبب وقوف قبيلة الأحامد[1] مع ثورة السويدي، وإن كانت هذه الرواية تحتاج إلى المزيد من البحث.

هذه القصص تبين أن الشيخ الأسمر كان يتنقل من مكان إلى آخر في سعي للبحث عن مكان ليستقر به بعد قدومه من تونس، لا كما زعم من لفق هذه القصص أنه درس وهو صغير في زليتن، ويبدو أنه طاب له المقام بزليتن لبعدها عن طرابلس ولقلة سكانها، ووجود من تبع طريقته فيها، ولكن رفض أهلها له كما سبق ذكره، وطرده أهل قرية ساحل الأحامد واتهامه بالسحر، والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا كل هذا الرفض الشديد للشيخ الأسمر مع أن القرى والمدن الليبية في ذلك الوقت في استقبال دائم للمهاجرين المغاربة الذين لا تخلوا منهم قرية أو مدينة وغيرهم من العلماء، وخاصة إذا ما تتبعنا تاريخ زليتن فنجد أن الشيخ أحمد الباز قد استقر في زليتن قبل الشيخ عبد السلام الأسمر بعدة عقود. واستقر غيره من العلماء المشهود لهم بالعلم والتأليف مثل الشيخ حلولو، وعبد الرحمن الطشاني التاجوري، والمغاربة الذين نزلوا بالقرب من زاوية الدوكالي، والجربيين بزليتن ولم يتعرض أي منهم للطرد، وغيرهم من علماء آل قنون، والفطيسي وآل عبد المحسن، فلماذا يعامل الشيخ الأسمر بكل هذا الرفض دون غيره من الذين استقروا في زليتن أو في مصراته أو غيرها كالدوكالي في مسلاته؟

يعلل بعض من كتب عن الشيخ الأسمر أنهم حسدوه بسبب تفوقه عليهم، وبقراءة سيرة الأسمر رغم تحريفها؛ لا دليل على ذلك، وأي تفوق نسبه من كتب عنه، إذا كان قد اشتهر بالجذب وبضرب الدف وإنشاد الشعر الملحون. والسماع كان موجودا كما يذكر الخروبي عن مجلس الحطاب وقصة أبي غرارة، ولم يكن موضوع التنافس على مسائل فقهية، فمعظم الذين عاصروه أو جاؤوا قبله كانوا على مذهب الإمام مالك، ولم يتم تسجيل مسألة خلافية واحدة أدت إلى كل هذا

1) يذكر القطعاني في كتابه القطب الأنور سبب العداوة بقوله: " اللذان اصطدما به هما مبارك وابن عمه همام وكانت لهما شبه سلطة حكومية على المنطقة انسجاما مع الرفض الحكومي الرسمي للشيخ أصلاً. وقد اشتدا في عداوته هما وأعوانهما حتى قتلا ابنه عبد الدائم على رؤوس الاشهاد، وحاولوا قتله شخصيا وشتموه ورجموه بل وحتى امتدت أيديهم الائمة إلى جنابه الكريم. هامش ص: 58، لكن هذا يتناقض مع القصص الأخرى التي تقول بعلاقته بمراد آغا مثلا والذي كان على رأس السلطة الحاكمة، وروضة الأزهار برمته يحتاج إلى إعادة قراءة تاريخية معمقة.

العداء، كما أن معظم هؤلاء المعاصرين مقلدين لكتب المالكية مع اجتهادات قليلة لحلولو، وزروق لا تخرج عن أصول الاجتهاد بالمذهب المالكي.

كانت طرابلس ومسلاته وزليتن وغيرها من مدن ليبيا محطّ إقامةِ الكثير من علماء المغرب، ولم يذكر لنا التاريخ أي انكار عليهم، بل كان مرحبا بهم، فالموضوع يحتاج إلى إعادة قراءة في الوقائع والأحداث التاريخية في ذلك الوقت.

وكما أشرت سابقا فالشيخ عبد الرحمن الطشاني التاجوري، بعد رجوعه من الأزهر، وبسبب عدم استقرار الأمور بطرابلس أثناء الحرب مع فرسان القديس يوحنا، أقام بزليتن، وظل بها إلى أن توفي بها سنة 960 هـ، أي معاصرا للشيخ الأسمر، حيث دفن بسبخة مقدام تنازفت غربي زليتن، حيث يوجد ضريحه المعروف بضريح التاجوري، وقد دفن بجواره ابنه علي، المعروف بابن الفقيه[1].

وهناك العديد من العلماء الذين استقروا بزليتن ولم ينكر عليهم أحد ووجدوا حفاوة أهلها وانصهروا فيها، مثل الشيخ حلولو الفقيه المالكي المعروف، وله مؤلفات مشهورة في الفقه، وكذلك استقرار الشيخ أحمد زروق بمصراته، والشيخ عبد الواحد الدوكالي بمسلاته، فلماذا يقابل الشيخ الأسمر بكل هذا الرفض والإنكار، وحده دون غيره؟

هل كان الشيخ الأسمر يظهر الكرامات بتعامله بالسحر والكهانة كما اتهمه بعض علماء عصره كما جاء في روضة الأزهار؟ وهل كان ما ينسب له من كرامات من قبيل السحر؟ أم أن استخدامه للدف كان غير معهود وغير مقبول لهؤلاء العلماء؟ بوصف ذلك بدعة جديدة أراد الشيخ الأسمر أن ينشرها في طرابلس وزليتن؛ وقوبلت برفض شديد وانكار من علماء زليتن وساحل الأحامد وطرابلس وغيرها؟ أم أن الطريقة العروسية السلامية الجديدة التي جاء بها من المغرب ومر بها عبر تونس قد تشكلُ منافسًا للطرق الصوفية السائدة في طرابلس في ذلك الوقت؟ أم أن سبب إنكار العلماء على الشيخ الأسمر ادعاءه أنه ولي من أولياء الله، وأنه وصل إلى درجة القطبانية وحرق المراحل كما هو مشهور في شعره في القصائد التي ذكرها البرموني، سواء قالها الأسمر أو نسبت له، وبعض هذه القصائد كفر صحيح لا يقبل التأويل إلا عند غلاة الصوفية الذين يتأولون ذلك

1) من تاريخ الثقافة في ليبيا، مختار بن يونس ص: 28.

بأنه كان يتكلم بلسان الحال كما جاء في بعض القصائد في كتاب روضة الأزهار[1] حيث ينسب للشيخ الأسمر أنه بعد موته وقبل دفنه قعد وقال:

أنـا الشــيخ الأســمر أنـا فـارس المـيـدان

أنــا حـي نــزهــر مـن بـعـد مـا نـدفـان

كـمـا الصـيـد نـنـبر حـطـام لـلـفـرســان

ومــهــمــا نـنـزر نخلي العـدو طشــان

مــدفــعـي مـعـمـر مـلـحـق عـراه امـتـان

ثم قال: أيها الاخوان قد قعدت لأخبركم عن حالي، وما رأيت بعد موتي هذا أما أنا ما أموت، ولا أغيب عنكم، وإنما موتي انتقال جسمي من دار الدنيا إلى دار الآخرة، وأتصرف أكثر مما كنت أتصرف أولا في دار الدنيا. وإني رأيت في هذه الغيبة كأن القيامة قد قامت، والجنة قد فتحت لي أبوابها، والحور العين قد تزينت لي، وسمعت قائلا يقول: يا عبد السلام أنت وأصحابك وأصحاب أصحابك في الجنة، وسل تعطى، وأشفع تشفع، ولا زال يحدثنا من هذا المعنى إلى أن بلغ ثلاث ساعات. الخ ... من هذه الخرافات والافتراءات.

يقول المؤرخ المغربي عبد القادر الخلادي: إن هذا الشيخ كان من مواليد مدينة فاس، وكانت أمه سليمة تنتسب إلى الشيخ عبد السلام ابن مشيش، فإنه انتقل من بلاد المغرب إلى طرابلس، وكان يعتريه الجذب، فيحمل الدف، وينشد عليه الأناشيد الصوفية باللغة الدارجة، وطريقته بين الشاذلية وطريقة الشيخ أحمد بن عروس. ومن شعره الملحون.

أنا الغوث القطب السلطان ولـي مشــهـور ظـاهـر

أولاني الالاه الفرد الرحمن عـلـى كـل بـاد وحـاضـر

شمسي تبدت وضوت الاركـان والـرب عـاطي وقـادر

انتهى كلام المؤرخ عبد القادر الخلادي[2].

1) روضة الازهار ص: 740-741.

2) مجلة دعوة الحق، ص 122-123.

نلاحظ منذ البداية وقبل أن يخرج الشيخ الأسمر من مدينة فاس بالمغرب كان يستخدم الدف، وكان يعلن ويصرح علانية بأنه ولي لله بأبيات من الشعر الملحون، ولم نعثر عن سبب خروجه من المغرب، وانتقاله إلى تونس ومنها إلى طرابلس، لكننا نكتشف من خلال ما ورد من نزوحه من تونس مع والده في قصة فائقة الخيال ذكرت في (روضة الأزهار) وفي كتاب (الزهر في الأكمام) وكتاب (فتح العليم)، ولكنها مازالت تحتفظ في بعض جوانبها بإشارات على الشيخ الأسمر كان بتونس وانتقل إلى طرابلس، ثم واجه في طرابلس معارضة من علمائها في قصص كثيرة أولها إنكار الشيخ الدوكالي عليه.

يتكرر نفس المشهد مرة أخرى بإنكار علماء طرابلس عليه واتهامه بالسحر والزندقة، ويذكر البرموني في "روضة الأزهار" فيقول: "اعلم أنه لما طرده الأحامد من قريتهم، جاء لمدينة طرابلس، وأقام بها مدة بمسجد الناقة، وله فيها خلوة معلومة باقية إلى الآن، كان يتعبد بها، فلما أن أراد الله إظهاره بها، ونفع من أراد نفعه، وضر من أراد إضراره، شاع خبره فيها بالعلم والأدب، والورع والزهد، والعبادة وإظهار الكرامات، وخرق العادات، إلى أن اجتمع عليه خلق كثير منها ومن غيرها لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل، وصار يلقنهم الأذكار، ويربيهم بأحسن تربية، ويستعمل لهم السماع المعبر عنه بالحضرة في ليلة الجمعة وليلة الأثنين، وهو كما كان يستعمله مدة حياته في الابتداء، بعد قضاء الفرض، فلما كان ذلك تحيرت منه قلوب الحسدة المنكرين عليه، وقد تقوت مادة الاعتراض عليه بالمحن والفتن، والأغراض الفاسدة، ولا زالوا على تلك الحالة المنكرة، إلى أن أوقعوا الفتن بين الشيخ وبين أصحابه الطرابلسيين، وسبب ذلك أنهم رموه لهم بالسحر والزندقة، إلى أن قالوا لهم فاحذروه، ثم الحذر من الاجتماع به وعليه، إلى أن تغير اعتقاد الكثير من الفقراء .."[1].

وليس هناك من شك في أن قصة جلوسه بجامع الناقة مختلقة فلم يكن به تدريس، ولا علماء ليلتقي بهم في ذلك الوقت، إذ كان تحت الاحتلال الإسباني وقد هدم المسجد[2] مع دخول الاسبان سنة 1510م، وبقي الجامع في حالة خراب لمدة

1) روضة الأزهار ص 236 – 237.

2) تاريخ معمار المساجد في ليبيا في العهد العثماني والقرمانلي، علي مسعود البلوشي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2007 م. ص: 82.

ما يقرب من قرن م الزمان حتى جدده الوالي التركي صفر داي، والي ولاية طرابلس الغرب، واستخدمت في البناء الحالي بقايا الجامع الأول ، أو إن كان لها حقيقة فهي بعد تحرير طرابلس من الإسبان، ودخول العثمانيين إلى طرابلس، وقد يكون في هذه القصة إشارة إلى أن دخوله إلى طرابلس كانت بعد تحرير طرابلس من فرسان القديس يوحنا، وبعد أن تجاوز الخمسين من عمره وبعد خروجه من تونس، والمصادر التاريخية تشير إلى أن تحرير طرابلس كان في 959 هـ (1551م – 1552م) وفي ذلك الوقت كان عمر الشيخ الأسمر تقريبا تسعة وسبعين سنة، وهذا يؤكد عدم صحة جلوسه بمسجد الناقة بطرابلس.

ويمضي البرموني في ذكر إنكار العلماء على الشيخ الأسمر، فيذكر في روضة الأزهار[1]: "ثم لما خرج الشيخ من طرابلس وقراها، فر مقبلا إلى جبل غريان، وأقام به مدة بكهف هناك يسمى بتكيرة، فوقع له من سكانه من الظلم وإساءة الأدب ما لم يقع له من غيرهم، عدا أولاد سيدي ساعد، وأولاد سيدي أبي سلامة، عظموه واعترفوا بفضله وشرفه، ثم انتقل من جبل غريان وغيره حتى اقتطعه من جميع البلدان الطرابلسية، ولذلك يشير في بعض مقطعاته حيث يقول:

مغبون مكدور طردوني من غير سية

منسي أنا مقهور ولا من يفزع[2] ليه

ثم انتقل إلى قلعة سوف الجين، ومنها إلى تاورغاء، ومنها إلى مصراته ولكنه لم يقم بها، ربما لنفس الأسباب. لكن البرموني يضع سببا بأن الله يأمره بالخروج منها لئلا يقع القتال بين ذريتك، وبين ذرية الترك في آخر الزمان[3]. والنص السابق ربما فيه إشارة إلى وضع هذه القصة بعد تزايد أعداد العثمانيين الأتراك في مصراته.

ويبدو أنه تمكن من جمع اتباع له ودخل زليتن بعد أن تبعه أزيد من ثمانمائة[4].

---

1) روضة الأزهار ص 307 -308.

2) لماذا لم يتحصل على حماية من أهله الفواتير؟ أو أن يقيم بينهم مادام قد ولد بينهم؟

3) روضة الازهار ص 318.

4) روضة الأزهار ص 318.

مع ما في العدد من مبالغة، ثم ذهب إلى قرية الفواتير بزليتن، ولكنه لم يؤسس زاويته بها لأن هاتف الحق قال له: "يا عبد السلام انتقل من أرض الفواتير، وأترك البناء والتأسيس بها، لأنهم أهل بلاء وبركاتهم كثيرة وأنت كذلك..الخ[1]، وهذا النص لا شك أنه من اضافات للنسخ الحديثة لروضة الأزهار التي لم تتوقف مع الزمن ويتضح من لغة النص الحداثة في الأسلوب وخاصة ترادف كلمتي "البناء والتأسيس" في النص المفترى على الأسمر، وما فيه كذلك مما يسمونه بهاتف الحق الذي يوجهه وكأنه نبي مرسل.

ثم انتقل إلى زليتن وأقام بين أولاد غيث والبراهمة، فأما البراهمة كما يذكر البرموني فقد فرحوا بنزوله، وأما أولاد غيث فقد كرهوا نزوله[2].

إن هذه القصص من إنكار العلماء وأهل المدن عليه، وهذا التنقل من طرابلس إلى زليتن، إلى غريان، وسوف الجين وتاورغاء ومصراته، ثم العودة مرة أخرى إلى زليتن لا يعني إلا أن الشيخ الأسمر وجد معارضة ربما لا علاقة لها بأنه عالم دين محسود بسبب نبوغه كما يفسر بعض المحدثين من الكتاب، وهذا التفسير لا يتوافق مع الحقائق التاريخية كما ذكرنا فكان ومازال علماء الدين والفقهاء يتوافدون على قرى ومدن طرابلس الغرب ولا تكاد تخلو مدينة من علماء المغاربة، الذين استقروا بها، كالدوكالي في مسلاته، والزروق بمصراته، وحلولو بزليتن، كما أنه لا علاقة لها بأي مشروع سياسي كما يرى الشيخ أحمد القطعاني ليخرج من قصص خرافية وكرامات لا تثبت تاريخيا كما بينا باستنتاجات أقرب للخرافة، ومحاولة صناعة تاريخ لا علاقة له بالحقيقة التاريخية.

ومن دراسة الوثائق المحلية بزليتن نجد أنها قد تعرضت للوباء الكبير في منتصف القرن العاشر، والذي تذكره بعض وثائق زليتن، وهجرة وموت الكثير من سكانها، فكان بعد ذلك رجوع الشيخ الأسمر، وفناء أغلب المعارضين له من أولاد غيث أو هجرتهم، فطاب له المقام بزليتن وخاصة بعد أن كون عصبة من المريدين له كما يذكر البرموني أنه غادر مصراته في ثمانمائة من أصحابه ودخل زليتن في منعة من هؤلاء، ومع مبالغة ما جاء في البرموني كعادة مؤلفي الكتاب، إلا أن هجرة

---

1) روضة الأزهار ص 319.

2) روضة الأزهار ص 319.

وتحركات الأسمر لم تتوقف حتى استقر به المقام في زليتن، ولعل أقرب تفسير للمدة التي قضاها في القلعة في بني وليد كانت فرارا من الوباء الذي أصاب المنطقة في ذلك الوقت فلما خمد الوباء؛ رجع للاستقرار بزليتن مرة أخرى.

إن قصة دخول الشيخ الأسمر إلى زليتن تحتاج لمزيد من البحث نظرا لقلة الوثائق والتدوين في القرن العاشر، واجتياح الوباء للمنطقة عدة مرات والذي أدى إلى نزوح السكان منها، وما حدث بعد ذلك التاريخ من انتشار الوباء وبسبب الثورة على الأتراك العثمانيون التي قام بها يحيى السويدي في نهاية القرن العاشر والفتن والاضطرابات المصاحبة لها.

ثورة يحيى السويدي ومقتل عمران بن عبد السلام

الروايات الشفهية التي يرددها الناس في مدينة زليتن تقول أن عمران بن عبد السلام الأسمر قتل في سوق أولاد غيث وموقعه الحالي بالقرب من قرية أولاد غيث شرقي مسجد دغار ويعتبر مركز المدينة في ذلك الوقت، حيث توجد مقبرة محمد بن نفيسة الانصاري. ولمعرفة حقيقة وأسباب مقتل عمران، لابد لنا أن نبحث قليلا في تاريخ تلك المرحلة، ونبحث كذلك عن المصادر التي تحدثت عن هذه الحادثة.

جاء في روضة الأزهار: " عمران مات مقتولا سنة خمس وتسعين وتسعمئة، ودفن بالمقبرة التي قرب الزاوية، وهو مشهور بها الآن، وكان الذي قتل عمران، يحيى الزرهوني الزاعم أنه المهدي، ولما مات سيدي عمران رئي الشيخ في المنام وهو يقول مقطعة[1] من جملتها:

يا عمران زفوني لمركز الأخطار
يا عمران وقلوني للسوق جهار

فلم يلبث يحيى بعدها إلا قليلا حتى أهلكه الله على قدوم عمارة قدمت من السلطان العثماني، كان السبب فيها سيدي عبد الله المكي، والشيخ نويري

1) فتح العليم، مخطوط، ص: 219

الشبلي المحمودي، فأخذ وقتل حينئذ، وسلخ جلده وحشي جلده بالنخالة، ورفع للقسطنطينية"[1].

كما يذكر عبد السلام بن عثمان في كتابه الإشارات[2]: " وقبر سيدي عمران في المقبرة المشهورة به قريبا من الزاوية، وهو أكثر أولاده له خدمة، وقد ولاه الشيخ على الزاوية في حياته وهو الذي قتله يحيى الشقي. بلغنا أن الشيخ كان يقول له: والله يا عمران لابد لأسياف المغاربة أن تقطع هذه الرقبة، ويقول: عييت وأنا نريد نمحي مشقة عمران ولم تمتح، وما أراد الله لا مرد له"[3].

لا شك أن هذا النص من النصوص المكذوبة على الشيخ الأسمر، ومعظم ما نسب للشيخ الأسمر عن عمران وفتنته، وشعره، محض افتراء كتب بعد زمن من مقتل عمران. لكن ذكر المغاربة في النص يستدعي البحث لأن الذين اختلقوا هذا النص قد عاصروا الفتنة، وذكرهم للمغاربة إشارة ليحيى السويدي الزرهوني.

والسؤال: هل كان السويدي يتحرك بدعم من عصبة المغاربة، المهاجرين إلى طرابلس، في ذلك الوقت؟

قد يقول قائل كيف تفند نصا تعتقد بوضعه، ثم تحاول أن تستنبط معلومات تاريخية من النص؟ والجواب هنا: أن النص دون شك مختلق في نسبته للشيخ الأسمر، لكن تبقى حقيقة أن عمران قتل عن طريق السويدي أو أنصاره بعد هزيمة جيش الوالي العثماني في معركة مسلاته كما ذكر ابن غلبون في التذكار[4]. فهل كان ضمن جيشه مغاربة؟ وما موقف آل حامد من ثورة السويدي؟ الإجابة عن هذين السؤالين قد تفسر أمورا أخرى في تاريخ المرحلة؟

جاء في روضة الأزهار[5]، في معرض الحديث عن موت عمران، في قصة فيها أكبر دلالة على أن ما جاء بخصوص حياة عمران بن عبد السلام في كتاب الروضة كتب بعد سنة 996 هـ، على أقل تقدير، أي بعد وفاة الشيخ بأربعة عشر عامًا،

---

1) روضة الأزهار ص: 564.، وفتح العليم، ص: 219.

2) الاشارات ص: 67

3) الإشارات للتاجوري ص: 67.

4) التذكار، ابن غلبون، مكتبة الفرجاني، 1967م، ص: 145.

5) روضة الأزهار ص: 697.

أو أنها ضمنت في الكتاب فيما بعد، لأن القصة تتحدث عن حادثة مقتل عمران على يد يحيى السويدي في حياة الشيخ، وفي دفاعه عن ابنه عندما جاء ملك الموت ليقبض روحه "... ابني لن يموت إلا بعد ثلاثين سنة آتية، فانصرف ولا تأت إليه إلا بعد تمامها، في يوم تقطيعه بسيوف المغاربة الذين رئيسهم يحيى الزرهوني"[1].

لا شك أن هذا النص دليل على اختلاق العديد من القصص ضمن كتاب روضة الأزهار، بعد وفاة الشيخ الأسمر، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق من هو يحيى السويدي ولماذا قتل عمران بن الشيخ عبد السلام الأسمر؟

الذين كتبوا عن ثورة يحيى السويدي انقسموا إلى فريقين، فأما الفريق الأول فهو موالٍ لسلطة الأتراك العثمانيين، حيث عدّوا يحي السويدي خارجا عن الوالي، وزنديقا ادعى أنه المهدي، وتعاون مع الصليبيين[2]، الفريق الآخر عدّه ثائراً على جور الحكام الظلمة. لهذا السبب اختلفت الروايات التاريخية في المصادر التي بين أيدينا بين متعصب له، ومتعصب عليه.

وبغض النظر عن حكايات الموالين أو المتعصبين له، فإن عمران ابن الشيخ الأسمر كان مسؤولا عن زاوية الأسمر، بعد وفاة الأسمر، وواضح من سياق الأحداث، أنه تحالف مع العثمانيين على ثورة السويدي، ولهذا لم يتفق مع رأي عمر بن جحا الذي كان له رأي مخالف بعدم الزج بالزاوية ومريديها في هذا الصراع السياسي، وآثر الرحيل إلى تونس، ومات، ودفن بها وقبره معروف مشهور إلى يومنا هذا. أما عمران فبسبب تحالفه مع والي طرابلس، وانكسار جيشهم في مسلاته، ومقتل ما يزيد على ألف، معظمهم من زليتن، كما ذكر ابن غلبون في التذكار، هجم السويدي على زليتن وبعد رجوع جيش جعفر باشا إلى طرابلس قام بتصفية خصومه فيها، وعلى رأسهم عمران بن عبد السلام الأسمر، وقتله في سوق أولاد غيث.

هذه الحادثة تركت أثرا عميقا في أولاد الشيخ الأسمر، وأولاد طريقته، ونسجت كثيراً من الشعر الملحون، يتحدث عن عمران ومقتله، تجد بعض أبياتها في

1) روضة الأزهار ص 697.

2) طرابلس من 1510 الى 1850، كوستانزيوبرنيا، تعريب خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، 2009م، ص: 99. ذكر المؤلف هنا أن أسمه يحيى الجبالي

النفحات الفيتورية في القصائد الأسمرية[1]، وهي قصائد لا يعلم على وجه اليقين، ما هو حقيقة، وما نسب للشيخ الأسمر منها، وفيها مخالفات للمعلوم بالدين بالضرورة من العقيدة الإسلامية.

الباب الثالث

تحقيق المصادرونقد الشخصيات التاريخية

1) النفحات الفيتورية في القصائد الأسمرية، عبد السلام الأسمر، أحمد عبد الكريم الشريف، الطبعة الأولى، 1998م.

الشيخ كريم الدين البرموني

كريم الدين البرموني أو عبدالكريم البرموني شخصية ليست مجهولة لدى المهتمين بتاريخ ليبيا الثقافي والاجتماعي، وأيضا لدى الباحثين في تاريخ التصوف الإسلامي، وأهم المعلومات التي تعرفنا به نجدها في كتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الابرار في جمع بعض مناقب صاحب الطار" المنحول إليه كما سنبين فيما بعد في هذا الكتاب، وروضة الأزهار كما ذكرت في الفصل السابق اختصره الشيخ محمد بن مخلوف التونسي في بداية القرن الرابع عشر الهجري في كتاب سمّاه "مواهب الجليل أو الرحيم في مناقب مولانا الشيخ سيدي عبد السلام بن سليم" ، كما أن المؤرخين والكتاب الليبيين لم يهملوه، فكتبوا عنه بعض التراجم المقتضبة، واستفادوا من مادة كتابه في تقديم بعض التراجم والدراسات عن الشيخ عبد السلام الأسمر أستاذ البرموني. ومن هذا المجموع توفرت لنا مادة كافية عن الرجل يمكن أن يجد فيها الباحث عن حياة البرموني غايته في كتابة دراسة شاملة. فالمعلومات المرتبطة بجوانب حياته التربوية والأسرية نجدها في خاتمة كتاب "روضة الأزهار"، وأما المعلومات المتعلقة بالجوانب الفكرية والصوفية فيمكن أن نعثر عليها في ثنايا الكتاب.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة عن هذا الكتاب، سنجده يغطي مساحة أكثر من قرن من الزمن من تاريخ ليبيا الفكري، مترجما خلاله لكثير من الشخصيات الصوفية، ومركزا على ذكر شيخه عبد السلام الأسمر. هذه المعلومات التاريخية والصوفية تمثل أهم ما وصلنا عن تلك الحقبة، ولهذا اعتمد على هذا المصدر جميع الكتاب والمؤرخين الذين تناولوا تاريخ البرموني أو أستاذه عبد السلام الأسمر، بل إن المادة التاريخية التي يقدمها لنا الكتاب تتعدى البرموني وأستاذه لتشمل العديد من الشخصيات والأحداث، التي إن كانت مختصرة، فإنها تغطي حقبة غامضة من تاريخ طرابلس الثقافي والاجتماعي في مدة عرفت بالقلاقل والأحداث السياسية الساخنة، من احتلال الإسبان لبعض المدن الساحلية في المغرب العربي، بعد طرد المسلمين من الأندلس بما فيها طرابلس، ثم بروز المد العثماني في حوض البحر المتوسط.

ولكن ماذا لو اكتشفنا فجأة أن كتاب روضة الأزهار ليس من تأليف البرموني وأن هذا الكتاب نسب له؟

فمن هو كريم الدين البرموني صاحب كتاب روضة الأزهار؟ وما صحة علاقته بالشيخ عبد السلام الأسمر؟

إن تاريخ التصوف يحتاج إلى وقفة موضوعية جادة؛ لتنقيته من الشوائب التي علقت به، وغربلته من الأوحال التي ألصقت فيه، فمسخت الكثير من صوره النقية وشوهت العديد من رجاله الطاهرين، عن قصد أو بدون قصد، تارة من أجل الانتفاع وأخرى تقربًا لهؤلاء الرجال، ويمكن أن نتخذ من كتاب "أحمد زروق والزروقية"[1] للدكتور على فهمي خشيم نموذجا جادا لإظهار هؤلاء الرجال في أنقى صورهم وأصدقها.

أما تاريخ الشيخ عبد السلام الأسمر، فما زال يحتاج إلى بحث وتحقيق من كتابنا ومؤرخينا، فالشيخ الأسمر وهو يمثل ظاهرة مثيرة وهامة في تاريخ ليبيا الاجتماعي والثقافي، مما جعله أكثر عرضة للتشويه والافتراءات. إنه بحاجة إلى من يقدمه بعيدا عن عالم الأوهام والأساطير، ولن نستطيع الخوض في هذا المشروع إلا بدراسة تاريخ الرواة الذين دونوا سيرته، وسردوا أخباره ومناقبه، وأقصد هنا أنه ينبغي دراسة تاريخ هؤلاء الرواة وثقافتهم واتجاهاتهم. ولكي تكون هذه الدراسة موضوعية ذات جدوى يجب على الباحث أن يبتعد فيها عن أي هوى أو نزعة ضيقة، ويحرر فكره من إصدار الأحكام المسبقة عن هؤلاء الرواة.

ويأتي في مقدمة هؤلاء الرواة الشيخ كريم الدين البرموني، لأن تاريخ روضة الأزهار والتي يبدو أنه نسب لهذه الشخصية، يكاد يكون المصدر الأساسي الذي يحتكر سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر بتفاصيل دقيقة من ميلاده إلى ما بعد وفاته، ثم إن كريم الدين البرموني عاصر الشيخ عبد السلام الأسمر، وعلى هذا الأساس يمكن أن يقدم الكاتب أو المؤرخ دراسة جيدة وجادة عن هذه الشخصية باستنطاق النصوص واستقراء الأحداث، لا بتكرار الخرافات واجترار المتناقضات.

إحدى أهم الملاحظات المريبة في ما كتب عن شخصية كريم الدين البرموني هو عمره أثناء الفراغ من تأليف كتابه، حيث تجاوزت القرن باثنتي عشرة سنة، قضى العقد الأخير منها في السفر من مكة إلى طرابلس وقراها، في تونس

---

1) أحمد زروق والزروقية، علي فهمي خشيم، دار المدار الاسلامي، 2002م

ومناطقها، يتسقط كل واردة وشاردة عن حياة أستاذه عبد السلام الأسمر، وهذا يبعث في الفكر الحصيف الشك والريبة والدهشة معا، وإني لأعجب ممن ينشر هذه المقالات مثلما استغربت من قبل من الأستاذ علي المصراتي – رحمه الله – كيف لم يفطن إلى هذا الأمر، ويصدق بكل سهولة أن رجلًا بلغ من العمر عتيا يقوم بكل هذا المجهود، ويتمكن في مدة وجيزة لم تتعد الخمس سنوات من انجاز كتابين في مناقب شيخه أحدهما كبير والآخر صغير، وفي عصر تتعسر فيه المواصلات، والاتصالات ليلتقي بهذا الكم من المشايخ ويسمع منهم كل هذه القصص والتي سنبين لاحقا أنها من نسج الخيال تارة أو هي نسخ من كتب التصوف السائدة في ذلك الوقت تارة أخرى، دون عناء سوى تغيير بعض الأسماء ووضع اسم الشيخ عبد السلام الأسمر بدلا عنها في تزوير تاريخي مر دون أن ينتبه له الكثير من الذين درسوا سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر وتاريخ ليبيا في العصر العثماني الأول، وكذلك نسج العديد من القصص التي حدثت بعد وفاة الشيخ الأسمر، ونسبت له في حياته كالتنبؤات بما سيحدث في المستقبل مثل قصة مقتل ابنه عمران على يد يحيى السويدي، أو قوله لقصيدة بعد أن مات وجلس في قبره ليقرئها على أصحابه، وغيرها من التنبؤات التي نجدها في كتاب روضة الأزهار، وفتح العليم، والزهر في الأكمام، والوصية و"التحدث بالنعمة "[1]، وهذا الاخير كتاب وهمي لا وجود له، لكننا نكتشف ظهور نصوص منه في كتاب الأنوار السنية في أسانيد الطريقة العروسية[2]، وهو صناعة حديثة ولا وجود لأي مخطوط قديم له. أما الأمر الثاني في حياة هذا الرجل، والذي ينبغي أن نتوقف عنده قليلا، فهو يتعلق بنشأته وتعليمه في مرحلته الأولى بمصراته قبيل لقاءه بالشيخ عبد السلام الأسمر، فالبرموني – كما يحدثنا عن نفسه – بدأ بحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد بن أبي بكر المصراتي بزاوية الشيخ أحمد زروق بمصراته، ثم مات شيخه هذا فانتقل إلى زاوية المحجوب ، وأتم حفظ القرآن فيها على يد الشيخ عبدالرحمن بن بركات وهو ابن تسع سنين، ثم رجع مباشرة إلى زاوية زروق من جديد ليجد نفسه تلميذا في حلقة الشيخ الفقيه شمس الدين اللقاني،

1) العظمة في التحدث بالنعمة، موسوعة القطعاني، الجزء الأول، ص: 379

2) الأنوار السنية في أسانيد الطريقة العروسية، نشره ولي الله صالح الجعفري، 1964م.

فلازمه وأخذ عنه علوم اللغة والعقائد، وبناء على تاريخ ميلاد البرموني سنة 893 هـ يحدد بعض الكتاب رجوعه إلى زاوية زروق بسنة 902 هـ.

إلى هنا والأمر يبدو طبيعيا جدا، ولكن ما يثير فضول الباحث، ويبعث الشك في نفس من لديه اهتمام بتاريخ التصوف في ليبيا، هو دراسته بزاوية زروق في تلك الحقبة، ولاسيما إذا عرفنا أن هذه الزاوية لم تبن إلا بعد وفاة زروق بعشرين سنة[1]. ومن المعروف أن زروق توفي سنة 899 هـ، وفي هذه الحالة نتساءل، كيف استطاع البرموني أن يدرس في هذه الزاوية قبل بنائها؟.

ولعل قائلًا يقول: أبو سالم العياشي الذي أول من حدثنا عن تاريخ بناء الزاوية في رحلته، وقد جاء بعد بناءها بأكثر من قرن ونصف، بينما البرموني عاصر الشيخ أحمد زروق ست سنوات، وهو بذلك يكون أقرب – تاريخيا – للشيخ زروق وزاويته، ولكن قول الكاتب أن اللقاني كان خليفة للشيخ زروق، يجعلنا نرمي برواية البرموني هذه عرض الحائط، لأن الشيخ محمد بن علي الخروبي في تراجمه لشيوخه يقر صراحة أن يحيى بن علي البجائي كان خليفة الشيخ زروق فيهم، وهو تلميذ لكليهما، ثم إن تراجم الخروبي كتبت قبل كتاب روضة الأزهار بأكثر من نصف قرن، وكل ذلك يجعلنا نفتش كتب التراجم علنا نجد ما يؤيد رواية البرموني، والتي للأسف لم تشر إلى جلوس اللقاني للتدريس خارج مصر، وإنما إشارة إلى ملازمته لزروق، بيْد أن الشيخ زروق قد جلس للتدريس بالقاهرة ما بين سنتي 884– 886هـ قبيل استقراره نهائيا بمصراته.

وننتقل بعد ذلك إلى شيوخ البرموني الذين جاء ذكرهم في كتاب "روضة الأزهار"[2] حيث يشير الكتاب أن وفاة شمس الدين اللقاني سنة 930 هـ، بينما تتفق جميع كتب التراجم على سنة 935 هـ تاريخا لوفاته، وكذلك يذكره ابن حجر الهيثمي من ضمن شيوخه، وتتفق المراجع على أن تاريخ ميلاد هذا الفقيه كان سنة 995 هـ، وهو ما يجعله أصغر من تلميذه البرموني بستة عشر سنة، وكذلك تتفق المصادر على تاريخ ولادة أستاذه عبدالقادر الفاكهي بسنة 920 هـ وهو ما يترك فارقًا زمنيا بينهما سبعة وعشرين سنة، وهذا أمر غير مألوف، ويناقض طبيعة

---

1) ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، الدكتور محمد يوسف نجم، الدكتور احسان عباس، ص 209.

2) سبق التعريف بالكتاب

الأمور، فمن العادة أن يكون الاستاذ أكبر سنا من التلميذ لا أصغر منه بعقود، ويقول البرموني في روضته: " ثم ذهبت للحج والزيارة واجتمعت بأخيه الشيخ سيدي ناصر – أخ شمس الدين اللقاني – وانتفعت به، واجتمعت بالشريف يوسف تلميذ السيوطي، والجمال ابن الشيخ زكريا، والشيخ عبدالرحمن التاجوري، وبمكة والمدينة بأمين الدين الميموني، وابن حجر الهيتمي، وعبدالعزيز المتيطي، وعبدالعاطي السخاوي، وعبدالقادر الفاكهاني، وانتفع منهم، ولازمت أبا المكارم البكري، وتبركت به، وأخذت عنه فوائد، ثم رجعت إلى طرابلس وزرت مولاي الشيخ عبد السلام الأسمر"[1]. ونكتشف بالبحث أن النص السابق اقتطع من كتاب "نيل الابتهاج"[2] في ترجمة أحمد بن أقيت، واستبدل فيه الضمير الغائب بضمير المتكلم، بل تعرض هذا النص للعبث والتحريف، فحذفت منه بعض الأسماء وصحفت أسماء أخرى.

وإليكم نص كتاب "نيل الابتهاج" للمقارنة والحكم على النص السابق: "فحج وزار ولقى هناك جماعة كالناصر اللقاني والشريف الأسيوطي تلميذ السيوطي، وجمال الدين ابن الشيخ زكريا، والشيخ عبد الرحمن التاجوري، والأجهوري، وتلك الطبقة واستفاد منهم خلق كأمين الدين الميموني وابن حجر المكي، والملائي، وبركات الحطاب، وعبد العزيز اللمطي، وعبد المعطي السخاوي، وعبد القادر الفاكهاني وغيرهم، واجازه بعضهم، ولازم أبا المكارم محمد البكري وتبرك به وقيد عنه فوائد ثم رجع لبلاده. اهـ"[3].

بمقارنة النصين السابقين نلاحظ التوافق بين النصين، ونكتشف أن هناك تصحيفًا تعرضت له بعض الأسماء مثل: جمال الدين بن زكريا (نيل الابتهاج ص: 141) وعبد العزيز اللمطي وعبد المعطي السخاوي كان حيا سنة 960 هـ انظر ترجمته في نيل الابتهاج[4]. في نص البرموني، وكذلك لاحظ التلاعب بالنص الذي جعل من التلاميذ شيوخا أصغر بكثير من تلميذهم كريم الدين البرموني. ونصل إلى تلميذي البرموني المذكورين وهما: الشيخ علي الأجهوري والشيخ إبراهيم

1) تنقيح روضة الأزهار ص 285.

2) نيل الإبتهاج ص: 141.

3) نيل الابتهاج ص 141.

4) نيل الابتهاج صفحة 287

اللقاني، فلم نعثر في الكتب التي ترجمت لهما عن شخصية البرموني من ضمن شيوخهما، وبإمكان القاري أن يتحقق من ذلك بنفسه في جميع المصادر التي ذكرت ترجمتهما.

هناك ظلال من الشك حول تأليف ونسبة الكتاب للبرموني، فإذا كان ابن أقيت انتهى من تأليف كتابه في 7 جمادي الأولى سنة 1005هـ كما ذكر في نهاية كتابه، فكيف استطاع البرموني أن ينقل هذا النص من الكتاب وهو الذي توفي سنة 1005 هـ؟.

وينسب للبرموني وصفٌ جميلٌ للشيخ عبد السلام الأسمر، والنص منقول بتصرف ساذج من نص ورد في مخطوط شيوخ الخروبي يصف فيه شيخه محمد بن زيتون الفاسي، ونستطيع أن نقرأ نص الخروبي حتى نتمكن من المقارنة والحكم، فيقول محمد الخروبي: "وأما شيخنا المولى العظيم الكامل الكريم، إمام وقته، ووحيد دهره، شيخ زمانه، وأستاذ أهل عصره الشيخ المربي الواصل إلى الله تعالي، الموصل إليه، مفيد المريدين، ومربي السالكين، القطب الفرد الكاشف، ذو المقامات العلية، والأحوال السنية، والأفعال المرضية، سنى الطريقة، وإمام أهل الحقيقة، أبوعبدالله محمد الشهير بزيتون، دفين المسيلة – رحمة الله عليه ورضى عنه وأرضاه – فهو خاتم أشياخنا، وعليه أخذنا المصافحة، ومنه أخذنا تلقين الذكر، وله علينا مشيخة كبيرة وتربية، فخدمناه زمنا طويلا، وافادنا علما جليلا، فتأدبنا بآدابه وتخلقنا بأخلاقه، وتحلينا بأحواله، وانتفعت بصحبته أرواحنا، وخمدت بنوره نفوسنا، واطمأنت بمعارفه قلوبنا، وانشرحت بعلومه صدورنا، فأخذنا عنه المصافحة مسنده وصحيحة، إسنادها متصل مدادها وإمدادها، ولقنت الذكر على الطريق المعروف، والوصف الموصوف، وأدخلنا بذلك في زمرة المريدين، وفي حزب الصالحين، ولله الحمد والشكر، وكانت مصافحته لنا ببلد طرابلس[1].

1) تنقيح روضة الأزهار ص: 259.

إن أول من ترجم للبرموني هو صاحب كتاب (درة الحجال في أسماء الرجال)[1]. قال في ترجمة كريم الدين البرموني: المصريّ الدار، أخذ عن ناصر الدين اللقانى، وجماعة. له حاشية على مختصر خليل فى مجلدين عظيمين. كان حيّا بمكة سنة ٩٩٢. إذن فابن القاضي لم يذكر أي علاقة له بالشيخ عبد السلام الأسمر، ولم يذكر أنه ألف كتابا عن الشيخ عبد السلام الأسمر. لكن سيرة البرموني تطورت وأضيف لها فيما بعد، ونسبت له علاقة بالشيخ الأسمر وأصبح تلميذا له، وألف كتاب روضة الأزهار الذي انتهى منه سنة 1005 هـ. أما أحمد بابا التنبكتي[2] فقد ترجم له بقوله: (من شيوخ العصر، أخذ عن الناصر اللقاني وغيره، له حاشية على مختصر خليل في مجلدين، كان حيًا بمكة سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، كذا أرخه بعض أصحابنا. ولم يضف أي لقاء له بالشيخ الأسمر مع أنه توفي سنة 1036 هـ، أي بعد زعم المفترين أن البرموني انتهى من تأليف كتابه سنة 1005 هـ. إذا فالزيادات التي أضيفت إلى سيرته ظهرت في كتاب روضت الازهار، وكانت من المتأخرين الذين أخذوا من كتاب منسوب له كما فعلوا أيضا مع الشيخ سالم السنهوري. فقد نسب له لقاء مع الأسمر لا يصح تاريخيا، بل ونسب له كتاب كما نسب للبرموني كتاب روضة الأزهار. أي أن كل من أشتهر من العلماء في ذلك الوقت جعلوه تلميذا للشيخ عبد السلام الأسمر في قصص خرافية لا تصمد أمام النقد العلمي التاريخي الموضوعي.

من هذه النصوص ومما سيأتي في العناوين القادمة يتبين أنه مما لا شك فيه أن كريم الدين البرموني ليس له علاقة بالشيخ عبد السلام الأسمر ولم تربطه به أي علاقة، وأن "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار" نحلت أو نسبت له في عصر متأخر، وإلا ما الذي يجعل ابن غلبون – وهو أعلم بتاريخ طرابلس ورجالها في تلك الحقبة – لا يذكر كتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار" في معرض حديثه عن عبد السلام بن عثمان وكتابه "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن

---

1) درة الحجال في أسماء الرجال، بو العبّاس أحمد بن محمّد المكناسى الشّهير بابن القاضي، دار التراث بالقاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، 1971 م، ص: 283، ج1.

2) نيل الابتهاج بتطريز الديباج المؤلف: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (ت 1036 هـ) عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة الناشر: دار الكاتب، طرابلس - ليبيا الطبعة: الثانية، 2000 م. ص: 373.

سليم" ، وليس لدينا من شك أن الذي كتب هذا الكتاب تدفعه منفعة أو أنه يسترضي أتباع طريقة الشيخ عبد السلام الأسمر، بينما هو يسئ إليه ولطريقته من حيث لا يدري.

كما أننا لا نجد أي ذكر للشيخ كريم الدين البرموني في كتاب "الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام"[1] للشيخ عمر بن جحا المتوفى سنة 999 هـ مع افتراض صحة نسبة الكتاب له، فالشيخ عمر بن جحا كان خليفة للشيخ الأسمر، وكان قريبا منه كما يذكر البرموني نفسه في كتاب روضة الأزهار وصاحب كتاب فتح العليم.

وبقراءة كتاب فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم لعبد السلام بن عثمان التاجوري، والذي كتب مع منتصف القرن الحادي عشر الهجري، أي بعد وفاة الشيخ عبد السلام الأسمر بمائة وعشرين سنة، لا نجد أي ذكر البتة لشخصية البرموني في الكتاب، وهنا نتساءل كيف غاب ذكر شخصية مهمة مثل كريم الدين البرموني عن الشيخ عبد السلام التاجوري وهو الذي ألف كتابا بهذا الحجم عن الشيخ عبد السلام الأسمر!

إن غياب هذه الشخصية في كتاب فتح العليم يفتح بابا كبيرا من الشك حول لقاء البرموني بالأسمر، ونسبة كتاب روضة الأزهار له، ويدفعنا للبحث لدراسة الكتاب بعمق ومحاولة البحث عن تاريخ كتابة روضة الأزهار وصحة نسبته للشيخ كريم الدين البرموني.

ومن أجل البحث عن هذه الحقيقة خصصنا العنوان القادم في الكتاب لدراسة كتاب فتح العليم ومقارنته بكتاب روضة الأزهار، وطرحنا العديد من الأسئلة لعلها تفتح بابًا من البحث في تاريخ هذه المدة، والتحقيق في تاريخ ظهور كتاب روضة الأزهار، ومحاولة اكتشاف صاحب الكتاب الحقيقي والدس والاضافات والحذف الذي أدخل فيه عبر نسخه المختلفة.

ولكن ما يدعو للأسف حقا أن يتعرض تاريخ التصوف في بلادنا إلى مثل هذا المسخ والتشويه، وينسب إلى رجاله ما لا يشرفهم ويشرف عقائدهم، ثم يأتي بعض كتابنا اليوم وينقلوا لنا أوهام هؤلاء الرواة وتصوراتهم دون منهج نقدي، بل

1) سبق التعريف بالكتاب

ومحاولة استخدام هذه الأخطاء التاريخية في برامج وثائقية؛ لطمس حقيقة ما حدث من تحريف وتزوير وانتقاء ومبالغة وإضافات لصناعة تاريخ لا يمت للحقيقة بصلة.

التعريف بكتاب روضة الأزهار

اتفق الذين ترجموا لكريم الدين البرموني أو ألمحوا له من الكُتاب والمؤرخين على نسبة كتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب صاحب الطار"[1] إليه، وبذلك سلموا بصحة المعلومات التاريخية الواردة فيه، واطمأنوا إلى صدقها ولا سيما فيما يتعلق بالتراجم، فلا يكاد يخلو كتاب أو دراسة تتناول تاريخنا الاجتماعي والثقافي في القرن العاشر الهجري، من إشارة اليه أو نقل منه، ولعل السبب يرجع في ذلك إلى قلة المصادر التي تهتم بتاريخنا في تلك الحقبة، فلم يتسنَ لهم استنباط المعلومة الصحيحة من هذه المصادر، واستخلاص الحقيقة التاريخية بمقارنة نصوصهما المختلفة، وقد يكون السبب أيضا القراءة السطحية غير الواعية وغير النقدية للنصوص، بحيث يتم التعامل معها وكأنها نصوصا مقدسة ولاسيما فيما يتعلق بحياة كريم الدين البرموني نفسه المنحول إليه كتاب روضة الأزهار.

ولا يعني هذا أن كتاب "روضة الأزهار" يعدّ نصًا مختلقا بجميع محتوياته، فهذا بحث دقيق وعميق ويحتاج الي العديد من الإمكانات لإثباته أو نفيه، فربما يحتوي هذا الكتاب على قدر من الحقائق التاريخية، ولكن ثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الكثير من النصوص التي تتناول الجانب التاريخي في هذا الكتاب ليست لها علاقة البتة بالحقيقة التاريخية، ولاسيما فيما يتعلق بحياة البرموني نفسه، وما نسب للشيخ عبد السلام الأسمر من كرامات، وخرافات.

لذلك تورط العديد من الكتاب والمؤرخين في تبني معلومات مغلوطه وأحداث ملفقة، بل وربما شخصيات وهمية، بسبب اعتمادهم على الكثير من نصوص كتاب روضة الأزهار دون حذر، أو بسبب الثقة العمياء في المادة الواردة بالكتاب، وليس مقصودا بذلك من كتبوا في نفس الموضوع الذي يتمحور حوله كتاب روضة الأزهار، فهؤلاء أقروا منهجا لا يفرق بين الواقع والخرافة، فما بالك

1) سبق التعريف بالكتاب

بالحقائق التاريخية التي تحتاج من الكاتب إلى دراسة ومقارنة وإدراك بل هم يقرون بتصديق كل ما يخالف العقل والمنطق والتاريخ والدين، ولكن أقصد الكتاب الذين اهتموا بتاريخنا الثقافي والاجتماعي، فبالرغم من الخدمة التي قدمها أمثال هؤلاء لتاريخنا والحفاظ على الكثير من مادته المتناثرة بين الكتب والوثائق، إلا أنهم تورطوا كثيرا في الاعتماد على نصوص مكذوبة، وتبنوا وقائع تاريخية ملفقة، ولهذا حفلت كتبهم ودراساتهم ببعض المعلومات المشبوهة والنتائج الخاطئة، التي تصل أحيانا إلى حد التصديق بالأساطير والخرافات. من ناحية أخرى تعامل الكتاب والمؤرخون الأجانب مع كتاب روضة الأزهار بحذر شديد عند كتابتهم لتاريخ ليبيا، واستفادوا من بعض مادته التاريخية، لدعم بعض النتائج والأفكار، والتي توصلوا لها على سبيل الاستئناس، ولكن خدعوا بأن هذا الكتاب من تأليف كريم الدين البرموني، ولذلك اعتقدوا أن هذا الفقيه هو شخصية ليبية اعتمادا على الترجمة المدونة في الكتاب، وهو ما جعل إيتوري روسي[1] يأخذ على ابن غلبون إهماله المتعمد للبرموني، مع من أهمل من الشخصيات الوطنية التي لها علاقة بكتاب روضة الأزهار، وقد يكون في ذلك اشارة من بعيد كما أسلفنا، إلى أن كتاب روضة الأزهار ظهر للوجود بعد بن غلبون، لأنه لا توجد لدينا نسخة واحدة كان الفراغ من نسخها في حياة ابن غلبون، ولذلك ربما لم يطلع عليه فيما يرجح في هذا المقام، أو أن الكتاب كتب بعد وفاة ابن غلبون، كما أن ابن غلبون رجع من الأزهر سنة 1133هـ، كما يحتمل أن الكتاب لم ينتشر على نطاق واسع ليصل إلى ابن غلبون، والمثير للاستغراب أن كتابا بهذا الحجم وبهذا الكم من المعلومات التاريخية لم ينتشر بحيث تبقى منه العشرات أو المئات من النسخ، ولم تبقَ إلا نسخة واحدة منه نسخت بتاريخ 1185 هـ، ولكن المثير للاستغراب هو كتاب فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم، لمؤلفه عبد السلام التاجوري، والذي يكاد يتطابق حرفيا مع كتاب روضة الأزهار، فهل هذا يعني أن كتاب البرموني نسخة معدلة من كتاب فتح العليم؟ أم أن كتاب فتح العليم مقتبس من البرموني؟

ولعل مما يفسر عدم ذكر ابن غلبون للبرموني أن الكتاب ظهر في آخر أيام حياته أو بعد وفاته، ومن المثير للاستغراب أن صاحب كتاب فتح العليم في

1) ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م إتوري روسي، ترجمة خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب

مناقب عبد السلام بن سليم لم يذكر البرموني ولو مرة واحدة في كتابه، وهذا مؤشر على أن الكتاب لم يظهر في ذلك الوقت بل ظهر فيما بعد كما سيتضح ذلك فيما بعد، وهذا يدفع للبحث عن المؤلف الحقيقي لكتاب روضة الأزهار ؟.

ولا يمكن في هذا المقام حصر من خدعوا بمادة روضة الأزهار، أو نقلوا منه نصوصًا مغلوطة وأحداثًا مشبوهة، ولكن يمكن تصنيف هؤلاء الكتاب والمؤرخين إلى مجموعتين حسب منهج كل منهما:

أولا: الكتاب والمؤرخون الذين تناولوا نفس الموضوع الذي يدور حوله كتاب روضة الأزهار، وهم من كتبوا عن سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر، وإذا استعرضنا تاريخ حياة هؤلاء الكتاب واتجاهاتهم، وجدنا جلهم ينتمي إلى الطرق الصوفية، الذين تخضع أفكارهم إلى تصديق الخرافات والخوارق التي تتنافى مع العقل والواقع وتصادم أصول العقيدة الإسلامية الصافية، ولذلك حفلت مؤلفاتهم بالعديد من الخوارق والكرامات المنسوبة إلى الشيخ عبد السلام الأسمر، نقلوها – نصا ومعنى– من كتاب روضة الأزهار، بل حاولوا إقناعنا بالأدلة والشواهد الدينية والفقهية والصوفية بصحة هذه الخوارق.

كذلك لم يراع هؤلاء المادة التاريخية التي تناقض الحقائق المدونة في كتب الطبقات والتراجم، بل اجتروا جميع النصوص والتراجم الموجودة بكتاب روضة الأزهار دون مقارنة أو تحقيق، ولم يلتفت هؤلاء إلى نصوص الكتاب المتقاربة أو المتشابهة مع الكتب الأخرى على الرغم من اطلاعهم عليها.

ويمكن هنا استعراض هؤلاء الكتاب، والتعريف بمؤلفاتهم في هذا الموضوع حتى نتمكن من الإلمام بالجوانب المنهجية لهؤلاء الكتاب.

كتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب صاحب الطار"[1] المنحول لكريم الدين البرموني، وهو المصدر الذي استقى منه معظم الذين كتبوا عن تاريخ الشيخ عبد السلام الأسمر، وقد قام الدكتور عبدالحميد الهرامة بتحقيق الكتاب من ثلاثة نسخ، وتعدّ النسخة المغربية النسخة الكاملة التي اعتمد عليها في تحقيق الكتاب، ولكن لم يذكر سنة الفراغ من كتابتها، أما نسخة مركز جهاد الليبيين فقد ذُكر أن كاتبها هو عبد السلام الراجي الأزدوي نسبا، البرهمي دارا

1) سبق التعريف بالكتاب

وسكنا، وكان الفراغ من كتابتها سنة 1185هـ أي ما يقرب من قرنين بعد وفاة الشيخ الأسمر، وأما نسخة الشيخ منصور أبي زبيدة فقد كان الفراغ من كتابتها سنة 1321هـ، وكل هذه النسخ تذكر أن مؤلفها الشيخ كريم الدين البرموني، كما تشير النسخة المغربية أن الفراغ من تأليفها كان سنة 1005 هـ، أي ما يقرب من 25 سنة بعد وفاة الشيخ الأسمر وتاريخ نسخها 1185هـ وهو تطابق مريب في تاريخ نسخها مع تاريخ نسخة مركز الدراسات التاريخية بطرابلس، وهناك نسخة مغربية أخرى[1] لم يذكر تاريخ نسخها، ومن الواضح أنها نسخة حديثة من نوعية الورق الذي نسخت عليه، إلا أننا في الحقيقة لم نجد أي نسخة قريبة من تاريخ تأليف الكتاب وهي سنة 1005هـ، والنُسخ الموجودة بعيدة بقرنين من وفاة الشيخ الأسمر، مما يجعلها محل شك في تناول السيرة الحقيقية للشيخ الأسمر، وخاصة بعدما تأكد لنا حرفية نقل نصوصها من كتب أخرى سابقة لها تاريخيا.

– كتاب "تنقيح روضة الأزهار" ومؤلفه هو محمد بن محمد بن عمران بن سالم بن مخلوف، والاسم الصحيح لهذا الكتاب حسبما يقول مؤلفه في المقدمة هو "مواهب الرحيم في مناقب مولانا عبد السلام بن سليم"[2]، ولكن أشتهر باسم "تنقيح روضة الأزهار"، وهو لم يكن فعلا تنقيحا لكتاب روضة الأزهار المنحول لكريم الدين البرموني، بل كان تكرارا له ونقلا لنصوصه في معظم نصوصه في شكل جديد وحذف لبعض النصوص الأخرى، وقد بدأ محمد مخلوف في تنقيح الأصل عام 1304 هـ وانتهى منه عام 1312 هـ.

وقد طبع هذا الكتاب تحت اشراف مكتبة النجاح عام 1386 هـ، وأعيد تصويره أكثر من مرة، وهو ينسب أيضا إلى كريم الدين البرموني حتى في طبعاته الأخيرة وكتب على غلافه الخارجي "تنقيح روضة الأزهار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر للشيخ كريم الدين البرموني". وبمقارنة المخطوطة التي بين أيدينا المنحولة لكريم الدين البرموني وهذا الكتاب المطبوع نجد أن المؤلف ينقل نصوصا كاملة ومن الأصل دون أن يتدخل ويحذف بعض النصوص الأخرى، أما ما أضافه المؤلف فهو ترجمة عبد السلام بن عثمان صاحب كتاب "فتح العليم في مناقب

1) روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار، مخطوط، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، المغرب

2) مواهب الرحيم في مناقب مولانا الشيخ عبد السلام ابن سليم، محمد بن محمد بن عمر مخلوف، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

عبد السلام بن سليم" وأضاف أيضا بعض أسماء الكتب التي كُتبت عن الشيخ عبد السلام الأسمر، ويقول إن ابن مخلوف وقف عليها من كتاب تضمن أسماء الكتب المؤلفة في ترجمة عبد السلام بن سليم وأسماء مؤلفيها.

كتاب "فتح العلى الاكبر في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر"[1]، للشيخ الطيب المصراتي وهذا الكتاب ظهر في أواخر سنة 1967م. اعتمد الشيخ الطيب المصراتي على كتاب تنقيح روضة الأزهار في كتابه، فنقل منه جل مادته وقدمها لنا بنفس الطريقة التي كتب بها محمد مخلوف، ولذلك جاء كتابه تكرار لكتاب تنقيح روضة الأزهار إذا استثنينا نقولاته عن فتح العليم والنور النابر وهي قليلة جدا.

وعندما نحاول الكشف عن منهج الطيب المصراتي فإننا نجد أنفسنا ملزمين بالانطلاق من كلامه في الموضوع. وهنا نكون مجبرين بالعودة إلى نص أساسي ذكره في كتابه هذا "والواقع لم يكن لي من العمل إلا الجمع والتنسيق والتعليق إلا القليل"، فالمصراتي بناء على ذلك ينطلق من كتب المناقب التي كتبت عن الشيخ عبد السلام الأسمر ولاسيما في كتاب "تنقيح روضة الأزهار".

دراسة ونقد كتاب روضة الأزهار

عند قراءة كتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في جمع البعض من مناقب صاحب الطار"[2] المنحول لكريم الدين البرموني، نلاحظ تشاباً كبيراً بينه وبين كتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم"[3] لعبد السلام بن عثمان التاجوري. يصل التشابه إلى درجة التطابق في الكثير من النصوص المدرجة بالكتابين.

ولقائل أن يقول ربما نقل التاجوري هذه النصوص حرفيا من كتاب روضة الأزهار السابق له في التأليف، لأن مؤلفه بحسب ما هو معلوم من السياق التاريخي سابق في تاريخ وفاته على كتاب فتح العليم. لكن قد تبدو الحقيقة مغايرة لما هو مألوف. وقد عقد في هذا الكتاب عنوان للتحقيق في مقارنة

1) فتح العلي الأكبر في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر، الطيب المصراتي، 1967م

2) سبق التعريف بالكتاب ومخطوطاته في مقدمة الكتاب.

3) سبق التعريف بالمخطوط ونسخه ورسالة الماجستير التي حققت المخطوط.

الكتابين، وخاصة عندما نجد أن ما يدفعنا للبحث عن سبب عدم ذكر التاجوري للبرموني في كتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم" مع أنه سابق له، وقد ألف كتابا بهذا الحجم. كذلك عدم ذكر ابن غلبون لكتاب روضة الأزهار، ولا للبرموني في كتابه التذكار. لكن الشكوك تزداد بشأن صحة نسبة الكتاب للبرموني، وفي صحة وجود الكتاب في زمن ما قبل عبد السلام بن عثمان التاجوري، وزمن ابن غلبون، عندما نكتشف أن كتاب "روضة الأزهار" منقول في أغلب نصوصه من كتب أخرى.

كما أن البرموني لم يذكر أي مراجع اعتمد عليها في تأليف كتابه، سوى أنه التقى بكل هؤلاء الشيوخ الذين يروي عنهم سيرة الأسمر، وأكثرها مفتريات لا تصمد أمام التحقيق العلمي والتاريخي. وبالقراءة الموضوعية النقدية للكتاب نكتشف أن الكتاب خليط من مجموعة من الكتب الأخرى التي سبقته في وجودها. ويتأكد أيضا– كما في عنوان سابق– أن الشيخ كريم الدين البرموني المنحول إليه الكتاب، لا علاقة له بالكتاب، ولا تربطه أي علاقة بالشيخ عبد السلام الأسمر.

قد يكون هذا الادعاء مبالغا فيه دون دليل، ولكن من خلال قراءة متأنية لكتاب "روضة الأزهار" يمكن الوصول إلى عدة ملاحظات منها: أن معظم مادة الكتاب تتسم بلغة عربية فصيحة، وسبك لغوي جيد، لكنها تتميز وبتركيب يختلف عن المواضع الأخرى عندما يتعلق السرد في الكتاب عن شخصية الشيخ عبد السلام الأسمر، وسيرته وكراماته، حيث ينحدر الأسلوب إلى العامية واللغة غير الفصحى، ووضوح ركاكة الأسلوب والتركيب والسبك اللغوي مما يدل على أن هناك أكثر من مؤلف للكتاب وخاصة كل ما كان الحديث عن الشيخ الأسمر، أو أحد أصحابه أو كراماته، ويبدو واضحا أن هناك أيادٍ أخرى تعاقبت وأضافت للكتاب نصوص سيرة الشيخ الأسمر، وأقحمتها في الكتاب ليخرج بشكله الذي وصل ألينا، والأمثلة على ذلك كثيرة سنبينها في سياقاتها في عناوين قادمة.

من الكتب التي حاول صناع ومحرفوا شخصية الشيخ عبد السلام الأسمر الاستعانة بها، ونقل بعض نصوصها مع تغيير الأسماء فقط، كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ومخطوط شيوخ محمد بن علي الخروبي، وكتاب

الطبقات الكبرى للشعراني، ومخطوط تقييد لعبد الرحمن المكي[1] – وهذا المخطوط نفسه يحتاج لدراسة للتحقق من صحة نسبته لعبد الرحمن المكي، وكتاب كرامات الشيخ أحمد البدوي شيخ وطريقة، وكتاب فتح العليم. وكذلك فإن ما وجد في بعض النسخ من إضافة رسائل الأسمر إلى مريديه مقتبس حرفيًا من علماء متصوفة مثل الشيخ عمر الجيلاني من العراق، أو شرح رسالة في الفقه، كما سنبينه، عند تحقيقنا لرسائل الأسمر إلى مريديه في عنوان لاحق في هذا الكتاب.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن كتاب "الوصية الكبرى" المنحولة إلى الشيخ عبد السلام الأسمر لا يمت بصلة للشيخ الأسمر، وإنما كتب بعده بعدة قرون، وسنتناوله كذلك بالنقد في عنوان قادم من الكتاب.

بقراءة نقدية لكتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في جمع البعض من مناقب صاحب الطار"[2] منتحل لكريم الدين البرموني، نكتشف أن العديد من النصوص والقصص والوقائع التاريخية التي وردت في الكتاب، والمتعلقة بسيرة الشيخ الأسمر، منقولة من كتب أخرى كما ذكرنا، وهي عبارة عن حوادث وقصص وردت في كتب المناقب قبل الشيخ عبد السلام الأسمر بقرون. وقد قام مؤلفو الكتاب بحذف أسماء هذه الشخصيات، واستبدالها باسم الشيخ عبد السلام الأسمر في العديد من الكرامات. ولبيان هذه الحقيقة نورد بعض الامثلة من كتاب "روضة الأزهار" بتحقيق الدكتور عبد الحميد الهرامة، ونذكر بعض المصادر التي نُقلت منها هذه القصص، وكيف حرفت.

نلاحظ من البداية أن الكتاب ينقل مقتبسات ونصوص مطولة مثلا من كتاب "مواهب الجليل مختصر خليل" وينسب الكلام للبرموني مع أن الكتاب لمحمد بن عبد الرحمن الحطاب المتوفى سنة 954 هـ. وتأمل معي هذا النص: "وقوْلُنا: على مذهب هو : مصدر ميمي ، لغةً : الطريق، ومكانُ الذهاب، وعند الفقهاء صار حقيقةً عرفيةً أُريدَ به المفعول، أي ما ذَهَب إليه من الأحكام الاجتهادية إمامٌ من الأئمة، ويُطلق عند المتأخرين من أئمةِ المذهب على ما به الفَتْوى، من باب إِطْلَاق

---

1) شخصية وهمية من صناعة روضة الأزهار ولا توجد له سيرة ذاتية إلا من الروضة ومن نقل عنها.

2) سبق التعريف بالكتاب

الشَّيءِ على جُزئِه الأهم، كخبر الحج عرفات؛ لأن ذلك هو الأهمُّ عند الفقيه المقلِّد"[1].

نُسب النص السابق للرموني كأنه هو المتكلم والشارح وقارن بينه وبين نص مواهب الجليل[2].

أما النصوص المتعلقة بسيرة الشيخ الأسمر، فهي مقتبسة في معظمها حرفيا من كتب الطبقات، أو أقطاب التصوف وكراماتهم مع حذف أسماء الأولياء ووضع أسم الشيخ عبد السلام الأسمر بدلا عنها في صناعة واضحة للنص.

فمثلا: جاء في كتاب روضة الأزهار ما نصه "ولما توفيت نادى منادٍ هلموا إلى الصلاة على المرأة الصالحة الفاضلة السيدة الشريفة الجليلة كثيرة الإحسان عابدة الرحمن"[3]، وهذا النص منقول من كتاب "المفاخر العلية في المآثر الشاذلية"[4] عندما تحدث المؤلف عن عريفة الخير الوجيهة بنت الشاذلي.

وجاء في كتاب روضة الأزهار في سياق حديث البرموني عن نفسه ما نصه "أنه ذات يوم وقعت مني زلة، فاستحييت أن أقابل الشيخ، وغبت عنه أياما، فلما فقدني خرج يفتش علي، فبينما أنا في زقاق أمشي رأيت الشيخ فرُغتُ عن طريقه، وأعطيته بالقفا، عارضني من قدام، وحصرني في ضيق، فلم أقدر أن أفر منه، فلما لقيني، قال لي: يا برموني لما عرفتني، وعرفتك إنما عرفتك بشرًا، لا ملكا معصوما، فالمراد من العبد إذا أذنب التوبة والاعتراف بالذنب، وكلما أذنب تاب، وأخذني وحملني معه إلى أن أدخلني خلوته ، ففتح الله علّي، ووعظني بأشياء كثيرة من كلام القوم رحمه الله ونفعنا به آمين"[5]. والنص السابق منقول من مخطوط محمد بن على الخروبي في ترجمته لوالده على الخروبي[6].

---

1) روضة الازهار، الهرامة، ص: 96.

2) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، الحطاب، دار الفكر، المجلد الأول، ص: 34.

3) روضة الأزهار، ص: 198.

4) المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ص: 43

5) روضة الأزهار، ص: 534

6) مخطوط شيوخ الخروبي ص: 3

وهذا هو النص بتمامه من مخطوط شيوخ الخروبي للمقارنة، ولا حظ تطابق الكلام بين النصين "لما عرفت الشيخ سيدي عليا (المصراتي) وقعت مني زلة، فاستحييت أن أقابل الشيخ، فغبت عنه أياما، فلما فقدني خرج يفتش علي، فبينما أنا عند مدرسة الرخام بطرابلس فرأيت الشيخ فرُغت عن طريقه إلى عنق الحمل، فلما رآني رغت عن طريق عارضني من قدام فحصرني في مضيق فلم أقدر أن أفر منه فلما لقيني قال لي أين كنت يا علي؟ فما علمت بماذا أجاوبه، ثم قال له لما عرفتني وعرفتك إنما عرفتك بشراً لا ملكا معصوما، فالمراد من العبد إذا أذنب التوبة والاعتراف بالذنب، وكلما أذنب تاب، قال وأخذني وحملني معه إلى أن أدخلني خلوته، ففتح الله علي"[1].

جاء في كتاب "روضة الأزهار"[2] وقال سيدي عبد الحميد بن عبد الله ضي الهلال:

فؤادي لا يقر له قرار ... وأجفاني مدامعها غزار
وليل طال بالأفكار حتى ... ظننت الليل ليس له نهار
ولم لا والتقى حلت عراه ... وبان على نبيه الانكسار
بفقد شيخ الاجتماع سليل ... سليم ما عنه اصطبار
ليبك معي على الدين البواكي ... فقد أضحت مواطنه قفار
وقد هدمت قواعد ما أعد ... وزال بفقده عنه الوقار
وأصبح لا يقام له حدود ... وأمسى لا يبين له شعار
وعاد كما بدا فينا غريبا ... هنالك ما له في الخلق جار
أيا مولاي عامله بلطف ... وأسكنه العلا نعم القرار
واحشرنا في زمرته جميعا ... بجاه الآل والصحب الكبار
وأجرنا من التعذيب طرا ... بفضلك رب أنت المُستجار
وأبدلنا به شيخا وفيا ... سديدا عالما وله أسرار

1) مخطوط شيوخ الخروبي، ص: 3

2) روضة الازهار ص: 738

والأبيات الثمانية الأولى السابقة، والتي نسبت لعبد الحميد ضي الهلال وردت في الطبقات الكبرى للشعراني[1] وهي أبيات للشيخ عبد الغفار القوصي المتوفى سنة نيف وسبعين وستمائة، ونسبت هذه الأبيات بعد اضافة أبيات أخرى، ثم نسبتها في انتحال جلي إلى عبد الحميد بن عبد الله ضي الهلال. والاختلال في الوزن الشعري في الأبيات واضح عند دراسة القصيدة، وهذا دليل آخر على إقحامها فيما بعد وصناعة أبيات لشخصية لم تلتقِ بالشيخ الأسمر.

كما ينسب أيضا قصيدة لعبد الرحمن البشت مشيرا فيها إلى موت الشيخ الأسمر، والقصيدة المنحولة منقولة من ديوان ابن المبارك الصوري[2]مع تغيير بعض الكلمات نسبت لعبد الرحمن البشت. وهذ نصها كما جاءت في روضة الأزهار صفحة 738–739:

بعد الأحبة لا تزار ديارها	أهل الديار إلى المقابر صاروا
ناديت حادي عيسهم إذا غادروا	قف بالمطية في فؤادي نار
حتى أودع من عدمت جمالهم	وتهتكت لفراقهم أستار
النور كان على الديار وهم بها	لما تولوا زالت الانوار
يا وحشتي أبدا لطول حديثهم	كانت ليالينا بهن قصار
الموت كأس للأنام تذوقها	مر المذاق ولي منه فرار
كانوا وكان العيش معهم طيبا	واليوم صاروا فالتراب يزار

ومن عجيب ما تجد في كتاب "روضة الأزهار"[3] رثاء ينسب للشيخ عمر بن محمد بن جحا في قصيدة طويلة لكنها غير موجودة في كتاب "الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام" للمؤلف الشيخ عمر بن جحا، فهل نسبت هذه القصيدة كذلك لعمر بن جحا أم كغيرها نسبت له؟ الملاحظ أن سبك القصيدة والتكلف في نظمها الرديء واضح لمن له أدنى وإلمام بقواعد الشعر، وتحتاج

---

1) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الاول، ص: 139.

2) ديوان ابن المبارك الصوري، توفي 837 هـ، مخطوط، دار المخطوطات بالجامع الكبير، صنعاء، اليمن، رقم الحفظ 835، وردت في وجه الورقة 21.

3) روضة الأزهار، ص: 736- 737.

لدراسة حقيقة نسبتها له ونسبة معظم القصائد لبعض الشخصيات المشهورة بذلك الوقت.

وجاء في روضة الأزهار ما نصه: "ووصفه شيخنا شمس الدين اللقاني هو الشيخ الكبير الشهير الكامل العالم العامل شيخ شيوخ أهل الطريقة وإمام أهل التحقيق مربي السالكين، وملك المريدين شيخ الطريقة والجامع بين الحقيقة والشريعة أبو العباس أحمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق. قال كان رضي الله عنه يربينا ويعلمنا الخير ويحضنا عليه. فعلم وأفاد وربى وأجاد وأعطى ومنح وجاد"[1].

وهذا النص نسخ حرفي من مخطوط الخروبي[2] عندما يتكلم الخروبي عن شيخه أحمد زروق رحمه الله.

وجاء في كتاب روضة الأزهار ما نصه: "وهي لبّ الطرق وأقومها وأنفذها إلى الله عز وجل، فمن سلكها وصل إلى الله عز وجل، مصحوبا بالسلامة، محفوفا بالكرامة، محفوظا من القواطع، سالما من تعرض الموانع، محمولا على كامل الشريعة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وهي طريق وصراط مستقيم جامعة بين الشريعة والحقيقة"[3].

والنص السابق منقول بتصرف في الأسماء من مخطوط شيوخ الخروبي، وفيه يتحدث عن الطريقة الشاذلية: "وهذه الطريقة الشاذلية هي لب الطرق وأقومها وأنفذها إلى الله عز وجل فمن سلكها وصل إلى الله مصحوبا بالسلامة محفوفا بالكرامة". وقبل هذا النص قال:"وهي طريق قويم وصراط مستقيم جامعة بين الشريعة والحقيقة"[4].

---

1) روضة الأزهار ص: 209.

2) مخطوط الخروبي، ص: 16.

3) روضة الأزهار، ص: 117.

4) مخطوط شيوخ الخروبي

وجاء في كتاب روضة الأزهار: "وإني والله لا يزال عليَّ المدد حتى يتكاثر لي، حتى أرى سريانه في الماء والهواء وفي الطير"[1].

والنص السابق لأبي الحسن الشاذلي كما جاء في كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية"[2].

وجاء في روضة الأزهار: " وإنِّي رأيت في المنام كأني بين يدي الله بلا مكان، وجبريل حاضر، والله عز وجل يقول: يا عابد السلام بمدِّ العين فانت إذا القطب الغوث ثلاثا فقلت أنا عبد الله أنا عبد الله"[3]. وهذا النص منقول من كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية: "ولما قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لبعض الأولياء إنه لينزل عليّ المدد، فأرى سريانه كالحوت في الماء، والطير في الهواء.. فقال له ذلك الولي، فانت إذا القطب قال أنا عبد الله أنا عبد الله"[4].

وجاء في كتاب روضة الأزهار ما نصه: "وإني الآن أظهرني الله عز وجل على جميع الكائنات، وعدد الرمال، واسم كل ذرة، والنبات، وأسمائه، والحيوانات وأعمارها، وأنسابها إلى أصولها، من السمك، والوحوش، والحشرات، وساير الدواب، وكشف لي عن ملكوت السماوات والأرض والجنة والنار، وما فيهن، ظاهرا وباطنا، وأنزل الله المطر بدعائي، وأحيا الموتى على يدي، وأجرى على يدّي جميع ما كّرم الله به عباده المؤمنين، والصالحين، وإني ما أموت، ولا أغيب عنكم، وإنما موتي انتقال جسمي من دار الدنيا إلى دار الآخرة، وأنِّي نتصرف بعد الموت، أكثر مما نتصرف في الحياة ولا قلت ذلك إلا بإذن من الله ورسوله"[5].

ومع ما في هذا الكلام من شرك، وكفر بالله، وادّعاء ما لم يقل به الأنبياء، ومع ما فيه من منافاة للدين والشريعة، ولا يقوله إلا من كان جاهلا بالمعلوم من الدين بالضرورة، ننقله هنا تبيانا لما نسب للأسمر من افتراءات، وننقل المصادر التي صنعت منها هذه الخرافات ونسبت له.

---

1) روضة الأزهار، ص: 322.

2) المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ص: 7.

3) روضة الأزهار، ص: 326.

4) المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ص: 7.

5) روضة الأزهار، ص: 322.

والنص السابق منقول من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني من المقدمة في حاشية الكتاب المسمى الانوار القدسية في بيان آداب العبودية للشعراني، وهذا هو النص بتمامه: "فبينما أنا بالفسطاط، مقابل الروضة بمصر، أخذتني حالة بين النائم واليقظان، فسمعت هاتفا، أسمع صوته ولا أرى شخصه، يقول على لسان الحق سبحانه وتعالى: "عبدي لو أطلعتك على جميع الكائنات، وعدد الرمال، واسم كل ذرة منه، والنبات وأسمائها، واعمارها، وأنسابها إلى أصولها من الوحش، والطيور، والحشرات، وسائر الدواب، وكشفت لك عن ملكوت السماوات، والأرض، والجنة، والنار وما فيهن ظاهرا، وباطنا، وأنزلت المطر بدعائك، وأحييت الميت، وأجريت على يدك جميع ما أكرمت به عبادي المؤمنين، لست من عبوديتي في شيء"[1].

وجاء في كتاب روضة الأزهار: "فلو أن الجن والإنس يكتبون عني لكلوا وملوا"[2].

والنص السابق نقل بتصرف من كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، وفيه يقول: "أخذت ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمكنت من خزائن الأسماء، فلو أن الجن والإنس يكتبون عني إلى يوم القيامة لكلوا وملوا"[3].

والنصوص القادمة من كتاب "تنقيح روضة الأزهار " لمحمد مخلوف حيث قام بتنقيح كتاب البرموني على حد زعمه، ومازالت النصوص، التي سرقت من كتب أخرى، ونسجت عباراتها بعد إسنادها للشيخ الأسمر مازالت ظاهرة في الكتاب.

سنستعرض في النصوص القادمة ما ورد في كتاب تنقيح روضة الأزهار، ونترك القارئ ليبحث بنفسه في كل نصوص الكتابين، ليكتشف حجم الافتراءات التي نسبت للشيخ الأسمر، والسرقات القديمة التي نسخت من كتب ذكرنا بعضا منها، وصناعة كتاب ثم نسبته لكريم الدين البرموني.

جاء في كتاب "تنقيح روضة الأزهار" ما نصه "تولى – أي عمر بن جحا بحسب السياق السابق – تربيتنا بعد موت الشيخ والقيام بشؤوننا فأحسن في ذلك واجتهد في تعليمنا العلم، وأقرأنا الوظائف الزروقية والعقائد السنوسية

1) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول ص: 2-3.

2) روضة الأزهار، ص:323.

3) المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ص: 15.

والأحزاب العروسية وكان يحفظ حكم ابن عطاء الله ويفهم معانيها ويحرضنا على التمسك بأذيال العروسيين، والدخول في زمرتهم واقتفاء أثارهم ويرغبنا في طريقة الشيخ سيدي عبد السلام"[1].

والنص السابق منقول من مخطوط شيوخ الخروبي [2] مع تغيير بعض الأسماء. وقارن النصين: ثم بعد هذا – أي وفاة والده – تولى تربيتنا والقيام بشؤوننا ابن عمة الوالدة رحمها الله تعالى وهو الصالح البركة الحاج الناس المريد السالك الحاج محمد بن الحاج تمام رحمه الله تعالى وجزاه عنا خيراً، فآوانا وأحسن تربيتنا واجتهد في تعليمنا العلم وطلبنا لطلبه وأقرانا الوظائف والعقائد وأحزاب الشاذلية، إذ كان رحمه الله من الدائرة الشاذلية ويحفظ حكم ابن عطاء الله ويفهم معانيها وكان رحمه الله تعالى حريصا على تعليمنا الخير وطريق القوم .... ويحضنا على التمسك بأذيال السادات الشاذلية والدخول في زمرتهم واقتفاء آثارهم ويرغبنا في طريقة الشيخ سيدي أحمد زروق. وفي نفس الصفحة من كتاب تنقيح روضة الأزهار ما نصه: "وقد عاشرته مدة فما رأيته مضطجعا على جنبه، وإذا غلب عليه النوم وضع رأسه بين ركبتيه "[3] وفيه يتحدث البرموني عن عمر بن جحا.

وهذا النص منقول من مخطوط شيوخ الخروبي بتصرف في النص وفي هذا النص يتحدث والد الخروبي عن شيخه المصراتي فيقول :"سلكت مع شيخنا سيدي على المصراتي يرقد والدرس فما رأيته مضطجعا على جنبه أبدا ليلا ولا نهارا فكان إذا غلبه النوم وضع رأسه على ركبتيه ونام قليلا"[4].

جاء في كتاب تنقيح روضة الأزهار ما نصه: "قال ومن إتيانه بالأسرى إني وجدت أسيرا على سطح الزاوية آخر الليل مغلولا، مخلط العقل، فسألته عن ذلك قال:

1) تنقيح روضة الأزهار، ص: 248.

2) مخطوط الخروبي، ص: 4.

3) تنقيح روضة الأزهار، ص: 248.

4) مخطوط الخروبي، ص: 3.

بينما أنا في بلاد الإفرنج، بعد صلاة العشاء، متوجها إلى الشيخ، طالبا منه الخلاص، فيما أنا فيه، فإذا به قد أخذني ثم طار بي في الهواء، ووضعني هنا"[1].

وهذه القصة من إحدى الكرامات التي تروى عن الشيخ أحمد البدوي وهي منقولة من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني ما نصه، والكلام في ترجمة البدوي: "وقد شاهدت، أنا بعيني سنة خمس وأربعين وتسعمائة أسيرا، على منارة سيدي عبدالعال رضي الله عنه مقيدا، مغلولا، وهو مخبط العقل، فسألته عن ذلك، فقال بينما أنا في بلاد الإفرنج آخر الليل توجهت الي سيدي أحمد، فإذا أنا به فأخذني وطار بي في الهواء فوضعني فمكث يومين"[2].

ومن عجائب صاحب كتاب "قفة الصلاح"[3] أن الخيال جنح به إلى أن استنتج من هذه الخرافة أن بزاوية الأسمر كانت تدرس لغات أخرى غير العربية، وأن الأسمر كان لديه معرفة بعدة لغات، لهذا كان الترجمان أحمد السقفي تعلم لغة النصارى في زاوية الأسمر للتفاوض على الإفراج عن الأسرى، وأن عبد الرحمن التاجوري تعلم اللغة التركية في زاوية الأسمر.

وجاء في كتاب تنقيح روضة الأزهار ما نصه: "كان يقول سيظهر بطرابلس الغرب رجل يعرف بعبد السلام فاتحا لهذه الطريقة ومشهرها ويكون له شأن عظيم على أهل زمانه، وهو خامس خليفة بعدي"[4].

والنص السابق منقول بتصرف من كتاب (المفاخر العلية في المآثر الشاذلية). والنص المنقول هو: "سيظهر بمصر رجل يعرف بمحمد الحنيفي يكون فاتحا لهذا البيت.. إلى أن قال: ويكون خامس خليفة من بعدي ويشتهر في زمانه ويكون له شأن عظيم"[5].

---

1) تنقيح روضة الازهار ص: 131.

2) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول، ص: 162-163.

3) قفة الصلاح، أسامة بن هامل، ص: 63- 64.

4) تنقيح روضة الأزهار، ص: 89.

5) المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ص: 18.

وجاء في كتاب تنقيح روضة الأزهار ما نصه: " أقول ولد نبيل بفاس وذلك لأن أجداده انتقلوا في زمن الحجاج من مكة إلى فاس، حيث كثر القتل في الأشراف، فلما بلغ من العمر عشر سنين انتقل أبوه ...الخ"[1].

وهذا النص منقول بتصرف من كتاب الطبقات للشعراني في ترجمة السيد أحمد البدوي:" مولده رضي الله عنه بمدينة فاس بالمغرب، لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج إليها، حين كثر القتل في الشرفاء، فلما بلغ سبع سنين.. انتقل إلى مكة وكان ذلك سنة ثلاث وستمائة"[2].

وللقارئ الكريم أن يقارن بين كتاب روضة الأزهار وهذه الكتب وغيرها من الكتب التي سبقته، وسيكتشف أن الكتاب مؤلف ومقتبس حرفيًا من مجموعة من الكتب التي سبقته.

لقاء ومناظرة البرموني بالشيخ الأسمر: تحقيق في صحة النسبة

جاء في كتاب روضة الأزهار تحت عنوان إنكار البرموني على الشيخ الأسمر: "وكنت في ابتداء أمري في أيام مكثي بزاوية سيدي أحمد زروق أنكر مع من ينكر على الشيخ، وأبالغ في الإنكار عليه بجهلي، وأقول فيه ما أقول، فلما كان ذات يوم، تحركت نفسي، وجزمت بالمشي إليه، ونقلت مسائل من جامع الونشريسي، تدل على منع ضرب الدف من غير حضور الوليمة، فلما وصلت إليه، وتكلمت معه في ذلك، قال لي: يا برموني، نسبة علمك مع علمي كنسبة النقطة مع البحر، فشتان بين النسبتين. فلما سمعتُ منه ذلك المقال ظننت أنه يفتخر علينا بالمحال، فبالغت عليه بما قصدته منه، وزعمت نفسي بالتحامل عليه، فأدخل سبابته في فمه ومصها، وقال: هذا علمك يا برموني، فلما يتم مقالته حتى تغير حالي، وتخبل مقالي، ولم أجد شيئا مما كنت أعرفه من العلوم، وتألمت عيناي، فحوقلت واسترجعت، وعلمت أنه البحر الذي لا يمارى، والسابق الذي لا يجارى، يغترف من بحر فيض إلهي، ومدد رباني، فجعلت أقبل يديه ورجليه مضطّر التوبة [كذا]، طالبا منه ما ضاع من العلم، وشفاء الألم الواقع ببصري، فلم يردّ ذلك

1) كتاب تنقيح روضة الأزهار، ص: 75.

2) كتاب الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول ص: 158.

إلا بعد جهد جهيد. من ذلك اليوم أخذت عنه التلقين، ولازمت صحبته، والحمد لله الذي جعلني الله من أهل طريقته وحزبه"[1].

قبل التعليق على هذا النص نشير، إلى أنه تكرر في كتب طبقات الصوفية بأساليب متنوعة طريقة سلب العلم بمص الأصبع، وذلك يعني أن الشيخ إذا مصّ أصبعه يسلبك ما عندك من العلم. وبغض النظر عن صحة القصة الخرافية، فإننا لا نجد مشروعاً إصلاحياً خفي مضمونه عن "قفة الصلاح"، فكل الذين أنكروا على الشيخ الأسمر ربما أنكروا عليه بسبب استخدام الدف، أو ادعاء أشياء كالقطبانية، أو بعض أمور الغيب، والتي وردت في بعض أشعاره. كما أننا لا نجد أي مناظرة علمية بين البرموني والأسمر، ولكن كل ما في الامر أن يقوم الأسمر بهزيمة البرموني بسلب علمه، وإصابته بألم في عينه فقط بمص أصبعه في إشارة إلى ذلك، ولا وجود لأي مناظرة، فالأمر حسمه الشيخ الأسمر بكرامة مص أصبعه.

كل هذا الترهيب بالكرامات المزعومة لبثّ الخوف في كل من يسمع هذه القصص، ويخضع لهذه الكرامات. إذن فليس ثمة أي مشروع إصلاحي ولا مناظرة، وما حدث لكريم الدين البرموني يكاد يكون قد تكرر مع كل من خالف الأسمر، أو وقف في وجه استخدام الدف، أو ادعاءات أخرى نسبت له.

يظهر في كتاب روضة الأزهار المنحول للبرموني أن الشيخ بعد طرده من الأحامد جاء إلى مدينة طرابلس وأقام بمسجد الناقة[2] – (وهناك شك كبير في إقامته فيه لأنه طرابلس كانت تحت حكم الإسبان وقد هدم المسجد منذ دخولهم سنة 1510م في ذلك الوقت ولم يعد بناؤه إلا في عهد سليمان داي سنة 1012 هـ) – إلى أن قال، وكان يستعمل لهم السماع المعبر عنه بالحضرة في ليلة الجمعة وليلة الاثنين وهو ما كان يستعمله الشيخ مدة حياته"[3].

---

1) كتاب روضة الازهار ص 235.

2) لم تتم إعادة بناء مسجد الناقة بعد أن هدمه الإسبان سنة 1510م إلا في ولاية سليمان داي -صفر داي- حيث تولى ولاية طرابلس سنة 1012 هـ أي بعد وفاة البرموني، مما يجعلنا نرمي بعرض الحائط كل الخرافات التي وردت عن لقاء وإقامة الأسمر بجامع الناقة. وهذا دليل آخر على أن الكتاب ليس من تأليف البرموني.

3) روضة الأزهار ص 236.

إذن فليس هناك ثمة مشروع إصلاحي إلا خلافهم على استخدام الدف، وما يصاحبه من أقوال وأعمال أخرى مازالت مستمرة إلى وقت قصير من ضرب السكاكين، وأكل الهندي، وغيره مما يخدع به البسطاء باعتباره كرامات مصاحبة لعمليات الذكر والرقص، كما نشاهده اليوم عبر قناة اليوتيوب، وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي أيام المزارات ومناسبات الطرق الصوفية، التي تعقد بالقرب من قبور، ومزارات ما يعرف عند الطرق الصوفية بالأولياء والصالحين. وليس الأمر مقتصرا على المسلمين فحسب، فمواقع التواصل كاليوتيوب تظهر الهندوس وغيرهم ممن يقومون بهذه الشعوذات.

هناك ملاحظة مهمة في ترجمة البرموني، وهي أن أول من ترجم له من القدماء هو صاحب كتاب (درة الحجال في غرة أسماء الرجال) ولم يذكر أي علاقة للبرموني بالشيخ الأسمر حيث قال في ترجمته: (كريم الدين البرموني المالكي. المصري الدار: أخذ عن ناصر الدين اللقاني وجماعة. له حاشية على مختصر خليل في مجلدين عظيمين. كان حيا بمكة سنة 998 هـ) [1]. كذلك لم يذكر صاحب كتاب نيل الابتهاج أي صلة علاقة للبرموني بالأسمر[2]. أما من ترجم له من المحدثين كابن مخلوف والزركلي والنائب والزاوي وغيرهم فقد اعتمدوا في إضافة ما جاء في ترجمته مما جاء في روضة الأزهار وهي إضافة إلى سيرة البرموني وهو كتاب مشكوك في صحة نسبته للبرموني كما هو ظاهر في الأدلة التي سقناها في عناوين سابقة.

يتبين من هذا أن ترجمة البرموني نفسه تعرضت للتصحيف وأدخلت على كتب التراجم الأخرى التي جاءت بعد روضة الازهار دون البحث في صحة كتاب روضة الأزهار نفسه وصحة نسبة الكتاب للبرموني، وصحة علاقته بالشيخ الأسمر.

1) درّة الحجال في غرة أسماء الرّجال، أبو العبّاس أحمد بن محمّد الشّهير بابن القاضى (960 - 1025 هـ)، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، القسم الأول، المطبعة الجديدة برباط الفتح، 1934 م، ص: 152

2) قال أحمد بابا التنبكتي في نيل الأبتهاج: " كريم الدين البرموني من شيوخ العصر، أخذ عن الناصر اللقاني وغيره، له حاشية على مختصر خليل في مجلدين، كان حيا بمكة سمة ثمان وتسعين وتسعمائة، كذا أرخه بعض أصحابنا". ص: 373.

التاجوري وكتابه فتح العليم

مقارنة بين "فتح العليم " و"روضة الأزهار"

عندما قامت محققة كتاب "فتح العليم" [1]الأستاذة نادية مفتاح بمقارنة النسخ المخطوطة من الكتاب لاحظت التقارب الواضح بين ما ذكر في فتح العليم، وبين النصوص المأخوذة من مصادر أخرى ككتب الشعراني والحلبي، وتنقيح روضة الأزهار وغيرها. ذكرت المحققة أيضا مثالاً على إضافة "الأسمر الفيتوري" لكلمة "الشيخ عبد السلام" وهو ما لا يوجد في النسخ الأخرى، مما جعل محققة الكتاب تؤكد أنها إضافة من قبل الناسخ أو النسخة التي نقل عنها. هذا الاستنتاج يلقي كذلك بظلال من الشك بشأن حدوث تحريفات وتعديلات على كتاب فتح العليم، وخاصة عدم وجود أي نسخة بقلم المؤلف. أقدم النسخ المتوفرة كتبت سنة 1278هـ.

ذكرنا في العنوان السابق أن قراءة متأنية لكتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم"[2] لمؤلفه عبد السلام بن عثمان التاجوري، والذي كتب مع نهاية القرن الحادي عشر الهجري، أي بعد وفاة الشيخ الأسمر بمائة وعشرين سنة، وبعد مائة وخمسة عشر سنة من تأليف كتاب روضة الأزهار، لا نجد ذكرًا لشخصية كريم الدين البرموني في كتاب فتح العليم؛ وهذا يدعو للشك في وجود الكتاب في ذلك الوقت حيث إن عبد السلام التاجوري من المهتمين بتراث جده عبد السلام بن سليم المشهور ، ويزداد الشك أكثر عندما لا يذكر ابن غلبون شخصية البرموني في كتابه التذكار ولا أي حديث عن كتاب روضة الأزهار .

لذلك نتساءل كيف غاب ذكر شخصية كريم الدين البرموني عن الشيخ عبد السلام التاجوري وهو الذي ألف كتابا بهذا الحجم عن الشيخ عبد السلام الأسمر؟، وكيف غاب الكتاب وصاحبه عن مؤرخ مثل ابن غلبون صاحب كتاب التذكار؟

1) فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم، التاجوري، تحقيق نادية مفتاح، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم، 2002، ص 25.

2) سبق التعريف به

إن غياب هذه الشخصية في كتاب فتح العليم يفتح بابا كبيرا من الشك حول شخصية البرموني وكتابه وحقيقة وجود هذه الشخصية ونسبة وحقيقة وزمن تأليف كتاب روضة الأزهار، وهذا التساؤل يدفعنا للبحث عن تاريخ كتابة روضة الأزهار وصحة نسبته للشيخ كريم الدين البرموني.

كما أن رسائل الأسمر لمريديه، التي وجدت في بعض النسخ المتأخرة من كتاب "روضة الأزهار" لكريم الدين البرموني، لم يذكرها عبد السلام التاجوري في كتابه فتح العليم، فهل أغفل ذلك مع علمه بها؟ أم أن هذه الرسائل لم تكن موجودة في ذلك الوقت، وانتحلت للأسمر وأضيفت فيما بعد لروضة الأزهار. كل هذه الأسئلة تدفعنا في البداية إلى عقد مقارنة مختصرة بين كتاب فتح العليم للتاجوري، وكتاب روضة الأزهار للبرموني، ستكشف المقارنة بين كتاب فتح العليم وكتاب روضة الأزهار للباحث شيئا عن هذ اللغز (الصناعة التاريخية لهذه الكتب)، لذلك خصصنا هذ العنوان لعقد هذه المقارنة.

سنقوم بمقارنة النصوص الواردة في الكتابين وطرح الأسئلة للوصول إلى حقيقة من نقل من الآخر، وما الفرق بينهما ولماذا غابت رسائل الأسمر عن عبد السلام بن عثمان التاجوري، وما سبب عدم ذكر ابن غلبون لكتاب روضة الأزهار مع ذكره لكتاب فتح العليم، وكيف سيقودنا البحث لنكتشف أن النصوص متطابقة حرفيا في كثير من مواضع الكتابين. قد يقول قائل من البديهي أن صاحب كتاب "فتح العليم" قد نقل من كتاب "روضة الأزهار" لأن البرموني سابق له في المولد والصحبة والتأليف. لكن الحقيقة التي سنكتشفها في نهاية هذا البحث عكس ذلك تماما، وأن كل ما نقل من "فتح العليم" أدخل في طيات وصفحات وأسطر كتاب مجهول إلى هذه اللحظة عن التصوف، قد يكون صاحبه كريم الدين البرموني أو شخص آخر. لكن ذلك الكتاب لم يكن يحتوي على أي شيء من سيرة الشيخ الأسمر وإنما أدخلت وأقحمت سيرة الأسمر خلال صفحات الكتاب وهناك شواهد تدفعنا لتعزيز هذا الاستنتاج.

فمثلا نلاحظ عند قراءة كتاب روضة الأزهار، وبكلام محقق كتاب "روضة الأزهار" الدكتور عبد الحميد الهرامة في هامش الصفحة 90 أنه قام بالتصرف في نص البرموني، وإصلاحه عند عملية تحقيق الكتاب. فيا ترى ما هي المواضع الأخرى التي قام بتصحيحها، ولماذا نكتشف أن المواضع التي تحتاج إلى تصحيح

لغتها يتعلق دائما بسيرة الأسمر وكراماته. وهذه إشارة واضحة لما ذكرناه في مقدمة الكتاب أن أصل الكتاب المسمى "روضة الأزهار" المنحول للبرموني لم يتطرق لسيرة الأسمر أو حرف الكتاب لاحقا، وأقحمت فيه بين ثنايا صفحاته وأسطره. ولذلك نلاحظ الاختلاف الكبير بين أسلوب الكتاب عندما يتحدث عن التصوف أو مواضيع فقهية أخرى، وبين المواضع التي ذكرت فيها سيرة الأسمر وكراماته. والسؤال الذي يحتاج إلى إجابة هو أين هذا الكتاب؟ وكيف يتم التفريق والفصل بين الأساليب المختلفة في الكتاب، لأنه وبدون شك، سيكتشف كل قارئ للكتاب بسهولة وجود أكثر من كاتب ساهم في كتابة الكتاب.

هنا نقترح لكل من أراد تتبع هذه المسألة بعمق أن يفصل كل النصوص المتعلقة بالشيخ الأسمر، وجمعها في كتاب مستقل، وترك باقي الكتاب، ليكتشف أن الكتاب الأصلي الذي زجت فيه هذه الحكايات والخرافات المختلفة في أسلوبها وسبكها وفصاحة لغتها عن الكتاب الأصلي الذي لا يحتوي على سيرة الشيخ الأسمر.

عبد السلام بن عثمان التاجوري

قبل عقد المقارنة يحسن في هذه الموضع التعريف بصاحب كتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم"، فهو الشيخ عبد السلام بن عثمان بن عزالدين بن عبدالوهاب بن عبد السلام الأسمر، أشتهر بالشيخ عبد السلام العالم التاجوري، ولد بتاجوراء سنة 1058 هـ الموافق لسنة 1648م. عاش صاحب كتاب "فتح العليم"[1] في عهد عثمان باشا الساقزلي ومن خلفه من الولاة العثمانيين في طرابلس، وتوفي سنة 1139 هـ الموافق 1727م قبل نهاية عهد أحمد باشا القرمانلي، وله مجموعة من المؤلفات طبع منها كتاب "الإشارات لبعض ما في طرابلس من الغرب من المزارات"، وكتاب "تذييل المعيار"، وكتاب "فتح العليم" وهو كتاب مخطوط توجد منه نسخة في مكتبة مركز الدراسات التاريخية،

1) نستخدم في بعض المواضع "فتح العليم" للإشارة إلى كتاب عبد السلام العالم التاجوري دون ذكر اسم الكتاب كاملا.

وأخرى في دار الكتاب الوطنية بتونس[1] حققت في رسالة ماجستير، لكنها لم تطبع في كتاب.

ترجم بن غلبون لعبد السلام التاجوري في كتابه التذكار ننقله هنا كما ذكره في كتابه التذكار: " وممن كان بها من العلماء من أهلها الشيخ عبد السلام بن عثمان، نشأ بتاجورة وتفقه بسيدي محمد بن مقيل وغيره من أهل البلد، ولم تكن له رحلة عنها. وألف كتاباً في الفتاوى سماه "التذييل" زعم أنه ذيل به المعيار، وجمع فيه من الغثّ والسَّمين شيئاً لم يسبق به. وكتاباً سماه "فتح العليم" في مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم، تعرض فيه لما في البلد من صالحين، واعتمد في وفاتهم وخصائصهم على أخبار عوام المتفقّرة، وله حيل في المعاملات تدل على عدم اتقائه. كان يميل إلى نصرة الطائفة المتفقرة المبتدعة، ويحتج لبدعهم بما لا يشك في بطلانه من له أدنى مسكة من عقل، وإياه اعتمدت الفرقة المتفقرة، حتى إنهم إن احتج عليهم بحديث أو آية عارضوا بالشيخ المذكور. وله كتابة على المختصر، زعم أنه اختصر بها شرح الشيخ عبد الباقي عليه. توفي عفا الله عنه ليلة الثلاثاء لخمس خلون من شوال سنة 1139هـ تسع وثلاثين ومائة ألف. ونحا نحوه في الانتصار لمتفقرة الوقت تلميذه الشيخ محمد النعاس، وشد يده على تلك الطريقة، وحث عوام الناس وضعفاء العقول عليها، وجعل لهم مرغبات من حكايات الصالحين، وفي طيها هلاكهم وهلاك الدين. وقد بلغه عني أني أنكر صنيعهم، وكنت قدمت على حضرة أمير المؤمنين لمصلحة عنت، وأقمت بجواره مدة، وبلغه إقامتي، فأتاني بعض أصحابه وأخبرني بدعوة الشيخ لي، فوعدته بالمرور عليه إن أُبت إلى أهلي، فأتاني بعد وداع أمير المؤمنين واستحثني في الحضور عند الشيخ، فهيأت رواحلي وأمرتها بالتقدم أمامي والمرور على الشيخ، فإن رأوا منه بشاشة أقاموا إلى أن ألحق بهم، وإلا ظعنوا. فلما قربوا من منزله رأوا منه عدم البشاشة فظعنوا؛ وتخلفت بالمدينة لوداع من بها من الإخوان إلى أن بقي للغروب نحو الخمسة عشر درجة وسرت، فالتقينا بأخينا سيدي عبد الله الشعاب الصيد، فدعانا لطعام فلم تسعنا مخالفته، فتناولنا طعامه وصلينا المغرب وسرنا فمررنا بالمدرسة التاجورية التي بها الطلبة المشتغلون عليه،

---

1) فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم، مخطوط، خط مغربي، سنة النسخ 1278 هـ، دار الكتب الوطنية، تونس، رقم 550

فوجدناه خلف لنا صاحبه محمد بن سالم رسول دعوتنا سابقاً ليأتي بنا إلى المحل، فأتيناه وأكرم مثوانا وأحسن نزلنا، ووافق ذلك ليلة جمعة وبها كان اجتماعهم، فأنزلنا بمحلهم الذي يجتمعون به. فلما صلينا العشاء دعانا لبيته وقرب لنا طعاماً، ثم خرجنا منه لنعود إلى محلنا، فأمر بسراج لنا في محل آخر فدخلناه فوجدناه غير فسيح الساحة، وغاب عنا الشيخ مدة لترتيب المتفقرة، فرتبهم وقدم. فلما مكث واستقر به المجلس سأل عن الحال وبالغ في التلطف بنا. ثم استفهمني: هل ما بلغنا عنك من التعرض لمتفقرتنا حق؟ فأجبته: هو كما بلغك عني. وقلت: إنك تعلم محبتي لكم واعتقادي فيكم الخير. وأنت تعلم أن الدين النصيحة، وأنا الليلة ضيفكم وبجواركم، فحق عليكم نصحي بأن تبينوا لي الأمور ومستندكم في ذلك بحجة واضحة وعليَّ قبولها، أو تقبلوا بياني وحجتي فتعذروني فيما أتكلم به. فكان من جوابه: إن هذه طريقة الشيخ سيدي عبد السلام، فأجبته أن ليس ذلك طريقته[1]، وحاشاه أن يفعل ذلك، وعلى تقدير فعله ذلك لا يقتدى به في ذلك، إذ هو رجل مجذوب ذو أحوال لا يتعرض له في خاصة نفسه، ولا يسلم فعله لمقتد به. فأضرب عن ذلك وأخذ في الجدل، فقال: وما تنكر منا؟ فقلت: اجتماعكم للذكر ليلة الجمعة والاثنين بخصوصهما، فقال: هذه ليال فاضلة ورد النص بتفضيلها، فقلت نعم، وهل ورد نص في تخصيصها بشيء من العبادات؟ فقال لم أقف على شيء. فقلت: أجمعت الأمة على أنه لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه. فسكت. فقلت: أتعتقدون أن صنيعكم هذا دين! فأجاب: لولا الدين ما فعلناه. فقلت: بم يثبت الدين؟ فقال بالتواتر. فقلت سلمنا أن الشيخ المستندين إليه يسلم له ويقتدى به، فمن أثبت لكم هذا عنه؟ ومن روى هذه الطريقة عنه؟ فلا بد أن تكون رواية الدين بالعدول، فقال: رواها شيخنا الشيخ سيدي علي الفرجاني. فأجبته: هو أصل هذا الأمر ومؤسس قواعده وداعي الخلق إليه[2]، فامتقع لونه. فلما رأيت ذلك منه سألته: هل يقبل قوله فيه أو شهادته؟ فأجاب: لا يقبل فيه. فانتقل إلى

---

1) في هذا إشارة أن ابن غلبون لا يرى أن الشيخ الأسمر كان على هذه الطريقة وأنها استحدثت بعده! واجزم من خلال ما تعرضت له سيرة الشيخ من تحريف أن هذه الاجتماعات صنعت بعد وفاته.

2) في هذا إشارة من ابن غلبون على أنه كان يعلم أن الشيخ علي الفرجاني هو من أسس بدعة هذه الطريقة ونسبها للشيخ عبد السلام الأسمر.

الشيخ أبي راوي، فأجبته وألزمته بمثل الأول، فأفتى فيه كالأول. ثم اهتدى إلى الشيخ عبد السلام بن عثمان بعد مدة واحتج بروايته. فقلت: هو منسوب للعلم ومشتهر بالعدالة، ففرح بذلك. فسألته:

هل يفعل ذلك؟ فأجاب: لا يفعل ذلك. فقلت: وهل هو راض به؟ فأجاب: نعم، فقلت: ما حكم الله في شهادته فيه؟ فقال: لا تقبل، فقلت: حينئذ يجب عليكم الإقلاع، فأضرب عن كلامنا. وأخذ يسأل عن المنكر من طريقهم، فقلت: أخذكم مالاً ممن غاب عن جمعكم ليلة الاثنين والجمعة كرهاً ممن انتسب إليكم وتسمونه حقاً، وأخذكم ممن فعل معصية مالا سوى ما شرع الله فيه. فقال: مستندنا في ذلك جواز التأديب بالمال. فقلت: أنتم مالكيو المذهب، ومذهب مالك خلاف ذلك. فقال نعم، ولكن له وجه في الجملة. فقلت: إن جوّز ذلك القائل به إنما جوز ذلك للإمام، بشرط أن يضعه في بيت مال المسلمين إلى أن يتوب فيرجعه إليه. فقال: وأين الإمام؟ فقلت مذهب مالك يقول بإطاعته بعد انعقاد البيعة ولو فاسقاً، فسكت، فكان آخر كلامه لي: هذه طريقة مشايخي لا يسعني تركها كائنة ما كانت. فمن يومئذ زال ما كان عندي من إنصافه واتباعه الحق. هدانا الله وإياه إلى الصراط المستقيم. آمين"[1].

سنبدأ المقارنة بعرض بعض النصوص المتطابقة التي وردت في كتاب "فتح العليم" وكتاب "روضة الأزهار":

وسنكتفي ببعض النصوص المتطابقة تماما في الكتابين بوصفها أمثلة على النسخ الحرفي بين الكتابين في الكثير من مواضعه، ونظرا لكون كتاب فتح العليم مازال مخطوطا إلا من رسالة ماجستير مازالت بكلية دار العلوم بتونس، لم تطبع في كتاب إلى تاريخ نشر هذا الكتاب، لذلك نقلنا النصوص كما هي من الكتابين لمقارنتها.

النص الأول: ورد هذا النص في كتاب "روضة الأزهار" بتحقيق د. عبد الحميد الهرامة من ص 131 إلى ص 134. وهو متطابق تماما مع النص الوارد في كتاب "فتح العليم" لعبد السلام التاجوري من ص11 إلى ص 12. وهذا هو النص بتمامه:

---

1) التذكار ص: 268 -271 ،2004م، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي

" فهلا رأيت ما وقع للشيخ مفتاح الفيتوري خليفة الشيخ سيدي عبدِ السَّلام، ركب يومًا قصرًا من قصور الفواتير، وجلس على سطحه، فأعجبته نفسُه لما شاهد من علو مقامه، فقال في نفسه فليس في الفواتير الآن من هو أعظم درجةً مني، فما نزل إلى أسفل القصر حتى فقد جميع ما كان معه من المعارف والأسرار، فجعل يجري في نواحي الفواتير وهو يصيح ويقول : "رزقي رزقي" فبينما هو يجري وقد أجهده العدْو خرجَتْ له عجوز شمطاء من خويمة بائدة مرقعة، وهي تقول له : يح يا مجنون يح يا مجنون، لم يكفك الانتفاخ على الأرض حتى صعدت تنتفخُ على رأس القصر، فسقط نحوها يتملق، ويقول لها : أنا دخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكرّر، فقالت: لستُ صاحبتك، ولكن أمش لذلك الرجل الذي يرعى البقر، هو يردُّ عليك، فتركها وذهب إلى رجل ذي أطمار خَلِقة، قد خرج رأسه من قطوع فيها، وهو يعدو ويقول: "رزقي رزقي" فلما قرب منه شَمَت فيه، وقال له كما قالت العجوز، ويقول له أنا دخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عليه بعد أن استتابه. فانظر – رحمك الله – إلى هذه الحكاية وأمثالها، فإنها من مصداق الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: " رُبّ أشعث ... الحديث، وتأدب والعقل بها وبأمثالها مع هؤلاء الناس برهم وفاجرهم، رفيعهم ووضيعهم. والله ولي الانتقام.

ويُحكى أنَّ رجلاً أقبل من نحو الفواتير يسوق بقرا، فلما أن قرب من الفواتير نام ساعة واستيقظ، فلم يجد لبقره أثرًا، بعد أن جرى يمينا وشمالا، فلما أن أيس منه قال : " يا رجال الفواتير خواطركم أنا خصيمكم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن ضاع بقري في حرمكم" فلم يلبث بعد كلامه ساعة حتى وجد بقره، فساقه حتى دخل الفواتير، وإذا برجل يعرفه قاعد أبيه[كذا] عريان مكشوفاً منه عورته، ما عدا السوأتين، فجعل يسبه في قلبه، ثم قام العريان ونزل سانيةً لهم يلتقط بلحًا وراء طابية، فلما أن قرَّبَ منه وهو سائق البقر، مدَّ له رأسه من وراء تلك الطابية، وقال له مكاشفًا: يا أخي رجال الفواتير كثيرون، فإذا ضاع لك بقرٌ ونَدَهْتَهم فعين واحدًا منهم ولا تجمعهم، فعلم أنه من أولياء الفواتير الذين استتروا بخراب الظاهر، فتاب ذلك الرجل واستغفر.

ومما يُحكى عن بعض الفواتير أيضًا – وهو الشيخ سيدي خليفة العاتي الذي ذكره الشيخ في سلسلته – أن رجلا حلف بتحريم زوجته على الحج في عام معين،

فقُدِّر أن مَرِض إلى قرب أيام الحج، بحيث فاته في ذلك العام، فلما أن برئ جعل الناسُ يضحكون عليه، ويسخرون به، دَلَّه بعض الناس على بعض الصالحين المشهورين في ذلك، فذهب إليه، وجعل يبكي له ويتوسل إليه أن يُحجِّجه، فلما أن كَثَّر عليه، قال له : يا ولدي والله لا أقدرُ لك على شيء، ولكن سر إلى بلاد الفواتير، واجلس حتى يجتمعون للعب بالأكرة ، فإن أول مَنْ يأتيك شاب حسن الصورة وحسن اللباس ليس عليه شبه فقير أصلاً، بل عليه من فاخر لباس بلدهم ما لا يلبسه إلَّا عظماء عوامهم، فإذا اجتمع عليه العوام يضع إزاره، ويجعل يلعب معهم بالأكرة كواحد منهم حتى إذا جاء الليل وذهبوا، بقي هو آخرهم ، فإذا راك جالسا بعدهم أتاك وسألك، فإذا علم أنك ضيف عزم عليك أن تروح معه، فإذا رُحتَ وأتاك بالطعام فامتنع من أكله حتى تشترط عليه حاجتك، فإني ما رأيت من يقضيها إلا هو. فلما فذهب ذلك الرجل، وفعل ما أمره ذلك السيد، وهو يتعجب من كون صاحب مثل ذلك الفعل كيف يَقْدِر على قضاء حاجته، حتى وقع ما قاله ذلك السيد، وامتنع من أكل الطعام، حتى تحمل بقضاء حاجته، وذكرها له، فسكت مليا، ثم قال له: "بعثك فلان. الله لا يسامحه كشف السر" إنا لله وإنا إليه راجعون" كل، والكمال على الله، ثم واعده أن يأتيه يوم عرفه في مكان معين، وذكر له إن لم يأته في ذلك الوقت فاته [كذا]أن يأتيه يوم عرفة في مكان معين، فأتى لذلك الموضع، وجلس حتى جاء سيدي خليفة، وأخذه بيده ساعة، وإذا به في عرفة، فأمره أن يقضي المناسك، ويزور المدينة المشرفة، ثم يأتيه في موضع سماه له، وتواعده فوات رجوعه في ذلك العام إن لم يجده هناك في ذلك الوقت، ففعل الرجل ما أمره به، وكل من يسأله من أهل بلده، أو من يعرفه عن مجيئه يقول له جئت في البحر، ثم قبل يوم مواعدة الشيخ طلب من معارفه أن يكتبوا أوراقا لأهليهم، وتعلل بأنه يريد الرجوع في البحر، فكتبوا له، ثم لما أتاه الشيخ وراح، لم يصدقه أهل بلده، حتى أخرج لهم الأوراق، وأتى الحجاج وأخبروا بصحة قوله. ومن ذلك الوقت اشتهر سيدي خليفة. سمعت معناها من متعددين، وهذا من الجائز عقلا وعادة. والله أعلم".

النص الثاني: يتطابق النص الوارد في ص 125 إلى ص 126 من كتاب "روضة الأزهار" مع ما جاء في مخطوط فتح العليم ص 13 "فقد أكثر الشيخ من الإيصاء بتعظيمهم والتسليم لهم، وتعليل ذلك أن المطيع منهم ينتفع به، والعاصي إثمه عليه، كفاية للمؤمن، وتخليصا مما في أمثال هذه الحكايات من مخالفة مشهور

الشرع، فراجع وصاياه في هذا الكتاب وغيره، وانظر كتب القوم تسترح، ولا تدخل في عدم تعظيم أمرهم ونهيهم امتثالا لظاهر الشرع، بل ذلك من حيث خدمتك لهم في إنقاذهم من ذلك، أي من تعظيمهم، فأمروا مع حسن الظن في الباطن والتماس المخارج الحسنة برفق ولين، كما ينبغي، حيث رجاء القبول، وإلا فالتسليم على نحو ما أوصى به الشيخ أسلم، وبالجملة فبركة الفواتير كثيرة مشهورة، وبلدتهم أكثر البلاد قبابا على أضرحة الصالحين، وذلك مما يدل على عظيم بركة أصحاب القباب، وكثرة أولياء بلد الفواتير.

النص الثالث: تطابق النص الوارد في كتاب "روضة الأزهار" بتحقيق عبد الحميد الهرامة من صفحة 134 إلى صفحة 136 مع ما ورد في مخطوط "فتح العليم" للتاجوري من صفحة 14 إلى صفحة 15.

"وأعلم يا أخي أن أكثر أولياء الفواتير مجاذيب، وأكثرهم برثاثة الملبس والمسكن، وباللغو في الكلام، وربما يستتر بعضهم حتى في الفاتحة، ويُكْثِر من ذلك حتى لا يثبت في الاعتقاد معهم إلَّا كامل صاحب بصيرة نافذة، وربما تستّر بعضهم بخراب الظاهر، والتلبس بما لا يليق ظاهرا مع السلامة في الباطن، وأكثر الناس تضرروا بهم، وحُرِموا من الاستفادة من بركاتهم، منهم جنس المتطلّبة، أما أصحاب البصائر الراسخون في العلم، فهم كما قال:

لالا ولكن إذا ما أبصر كَسَوْه من حُسْن تأويلاتهم حُلَلا

وقد قال مؤدِّبُ القراء والفقراء سيدي عبد الوهاب الشعراني – رحمه الله – في كتاب العهود: "أخذ علينا العهودَ أن نجيب عن جميع إخواننا المسلمين، ونحملهم على أكمل الأحوال، ولو لم يمكن من رتبتهم الوصول إلى ذلك المقام الذي حملتهم عليه، ثم قال: قال الشيخ محيي الدين في مقدّمة شرح المهذب: "ولا يعجز عن حمل فعل أخيه المسلم على سبعين محملا إلَّا قليل التوفيق، ثم بعد السبعين يرجع الإنسان على نفسه باللوم، ويقول: يحتمل فعل أخيك سبعين محملا ولا تَحْمِلَنَّه على واحد منها، والله ما ذلك إلا لخبثِ طويَّتِك، وسوء اعتقادك في المسلمين ثم قال إثر هذا: " أخَذ علينا العهود، أن لا أُسيء الظن بأحد من المسلمين، بل الواجب علينا تحسين الظن ما أمكن، لأن الله لا يسأل عبدا في الآخرة: لمَ حَسَّنْتَ ظنك بعبادي أبدًا، بخلاف العكس.

وانظر ما ذكر سيدي عبد الوهاب، وأظنه الآن في الطبقات من حكاية أولئك القوم الذي باتوا عند سيدي إبراهيم الدسوقي، وسمعوا منه لحنا، فنقص اعتقادهم فيه، وقوله لهم بعد أن أصبحوا يغتسلون في البحر من جنابة أصابتهم، فجاء الأسد وجلس على حوائجهم، فجاءه الشيخُ مكاشفًا، وطرده عنهم، ثم قال: لهم أنتم اشتغلتم بإصلاح ظواهركم، فأفسد الله منكم الظاهر والباطن، ونحن اشتغلنا بإصلاح بواطننا، فأصلح الله منا الظاهر والباطن، فإنه من نفيس ما يذكر هنا. واعلم أن سبب النكير وجود القصور والتقصير، وإلا فالجهبذ النحرير يقوم اللحن بالتقدير، ولا ينبيك مثل خبير. وقال شيخ مشايخنا سيدي أحمد زروق في كتاب "رَدّ البدع من فصل الاعتقاد والانتقاد، بعد أن نقل كلام ابن عطاء الله "فلولا وارد ما كان ما ورد" ما نصه "قلت: لولا وارد ما كان انتساب ولو كان صاحبه كاذبا، لأن وجود انتسابه شاهد بتعظيمه للجناب الذي انتسب إليه في نظره، ولذلك ما تعرض أحد قط لمنتسب لله فهوى إلا أصابه منه ضرر، لأن الحق سبحانه يغار لهتك جنابه إلا بأمر منه.

النص الرابع: تطابق النص الوارد في كتاب "روضة الأزهار" بتحقيق الهرامة من ص 158 إلى ص 160 مع ما ورد في مخطوط "فتح العليم" للتاجوري ص 16.

ومما يؤيد ما ذكره (هذا السيد) من أن العزل والولاية للفواتير، من ذلك حكاية ولاية علي بن تليس، وعزله على أيديهم، وهي مشهورة، وذلك أن علي بن تليس كان في شيبته قبل ولايته قاعدا في ملأ من الناس، وعليه إزار جيد جديد، فمر بهم رجل من الفواتير عليه لباس خلق جدا في يوم صر، فلما رآه قام إليه وأخذ بيده حتى وصل إلى محله، ونزع إزاره وألبسه إياه، وألبس هو إزارًا آخر، فلما جاء الفيتوري لمحله افتكت الإزار منه زوجته وأعطته إزارا خِلِقا كان عليها، ليس لها غيره، فبينما علي بن تليس ذات يوم إذا رأى ذلك الرجل الذي كان ألبسه الإزار في إزار خلق كالأول، وليس الإزار الذي كساه إياه عليه، فقام له وقال له لمَ لمْ تلبس الإزار الذي أعطيتك؟ فأعاد له خبره فمشى به إلى محله وأعطاه الإزار الذي عليه، ولبس غيره ثالثًا، فلما لبسه الفيتوري رفع بصره إلى السماء وبسط كفيه نحوها وقال:

كسى شخص محقور زوله ما هو مدور مطامع

يا رب تعطيه دوله ينال الثنا والمسامع

فاستجاب الله دعاءه حتى أعطي لعلي بن تليس من الولاية التي ما صارت لأحد في جميع قرى طرابلس، يؤدون إليه الخراج، ومكث كذلك عليهم، فنزل عليهم مطالبا إياهم من خراج الطعام، فجعل الناس يأتون إليه بالطعام ويضعونه حتى صار ربوة كالتل، فبينما هو جالس حذاءه يوما إذ جاء فيتوري بطعام في غرارة على حماره ووضعه، فقال لا أقبله منك حتى تصعده على أعلى عرمة الطعام، وهو رجل كبير ضعيف ألزمه ذلك، فجعل يجرها وحده، وهو وجماعة ينظرون إليه، مازحين عليه مما ناله من مشقة ذلك، فلما يزل يعاندها حتى أوصلها إلى رأس العرمة وفرغها، ثم تنهد ووقف رافعا بصره إلى السماء يقول:

أبلده غدت للهف ما يتولى من ياوي

يا قادر هد المصرف يا هداد العيساوي

فسلط الله على ذلك الطعام ريحا عظيما فرقته في الأرض حبة حبة، وأوصلت بعضه إلى البحر، ومن ذلك اليوم أخذ أمره في الدحوض حتى أذهبه وأذله وأذل قبيلته إلى الآن.

النص الخامس: مقارنة ما جاء في كتاب "روضة الأزهار" صفحة 232 وما جاء في مخطوط "فتح العليم" لعبد السلام بن عثمان التاجوري صفحة 31 من المخطوط. والنص هو:

ومازال الأحامد في ازدياد التعصب بالحمية الجاهلية على أهل ماجر وغيرهم، حتى عتو وبغوا، أفعالا كثيرة من الظلم والفساد، بل ربما كان إذا أعجبهم عقار أحد من أهل الساحل يأتونه ويجبرونه على أن يكتب بيعًا بتًا فيه، فيأتي الشاهد ويشهد أنه باع وقبض واستوفى ويرفع له وثيقته، حتى ملكوا بذلك أكثر عقار الساحل، فكان أهل البلد الذين هم ماجر ومن معهم في أسوأ حال من القهر والغلبة، فلما أن عتوا العتو الكبير، والظلم الكثير الذي يقشعر منه جلد الصغير والكبير، سلط الله عليهم الشيخ الذي هو مولانا عبد السلام، بسكناه معهم في البلد الذي هو الساحل ليكون هلاكهم على يديه، حسب ما جرت به عادة الله من تأخير عقاب العبيد إلى ظهور فسادهم كما قال جل من قائل: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا

"، وقال تعالى: " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ومالهم من دونه من وال" صدق الله العظيم.

إن هذه التطابقات العجيبة بين نصوص كتاب فتح العليم وكتاب روضة الأزهار؛ تؤكد بكل وضوح أن أحدهما نقل من الآخر، فتوارد الخواطر ممكن عقلا لكنه ليس بهذه الدرجة من الحَرفية في الكلمات والحروف فتأمل.

نكتفي بهذه النصوص والتي لا تدع مجالا للشك في أن كتاب "فتح العليم" متطابق في أغلب نصوصه مع كتاب "روضة الأزهار" وخاصة فيما يتعلق بسيرة الشيخ الأسمر وكراماته، وللباحث أن يطلع على مخطوط فتح العليم، وكتاب روضة الأزهار، أو أحد مخطوطاته ليكتشف هذه الحقيقة فمعظمه نقل حرفي عن كتاب فتح العليم ونسبة التطابق عندما يتعلق الموضوع بالشيخ الأسمر يصل إلى نسبة تصل إلى أكثر من تسعين بالمئة من نصوص الكتاب. وهنا يبرز سؤال مهم: من منهما نقل من الآخر؟

دون شك ستكون الإجابة أن عبد السلام التاجوري نقل من كتاب البرموني لأنه متأخر عنه، لكن في الحقيقة أن هناك شواهد كثيرة تدل على أن الكتاب لم يكن متاحا وموجودا في ذلك الوقت، ولم يؤلف إلا بعد أكثر من قرن على وفاة التاجوري.

والشك في نسبة الكتاب للبرموني له أسباب منها أن سن البرموني كان نسبيا كبيراً ويصعُب تأليف كتاب في ذلك الوقت، وبهذا الحجم في هذا العمر، واللقاء بكل هذه الشخصيات. كما أن غياب رسائل الأسمر من "فتح العليم" دليل آخر على عدم علم عبد السلام التاجوري بها في زمنه، وأن ابن غلبون في كتابه "التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار" لم يشر للبرموني الذي ألم بكل تفاصيل الشيخ الأسمر حتى قبل ميلاده، وشهرة كتابه حسب زعم البعض قبل التاجوري وابن غلبون.

إنْ صحت نسبة كتاب "روضة الأزهار" للبرموني، فإن الكتاب لم يكن عن سيرة الأسمر، وربما لم يكن عنوانه الأصلي، ولكنه كتاب في التصوف، وبلغة عربية فصيحة وواضحة وسبك لغوي قوي، ولم يتطرق لسيرة الشيخ الأسمر، وإنما تم العبث بالكتاب وأدخلت سيرة الأسمر في ثناياه، بنقل نصوص من فتح العليم

ليصبح الكتاب مزيجا مما كتبه التاجوري وما كتبه البرموني، ولعل الوقت سيفصح عن هذا الكتاب إن كانت له نسخ أخرى، كما أن كتاب فتح العليم تكثر فيه اللغة العامية غير الفصيحة، ووضوح ضعف السبك اللغوي عندما يتعلق الحديث عن سيرة الشيخ الأسمر وكراماته في نفس الكتاب، وهذا دليل آخر على أن سيرة الأسمر أقحمت فيما بعد بين مواضيع الكتاب.

بقي أن نشير إلى أن أسلوب صاحب كتاب "فتح العليم" لا يتكرر فقط في روضة الأزهار وإنما في كتاب "النور النائر" المنحول لسالم السنهوري أو اقتبس منه بعض الفقرات، لكن أسلوب "فتح العليم" للتاجوري يحتاج إلى مقارنة مع أسلوبه في كتابه "تذييل المعيار". وهنا تبرز معضلة أخرى أن الامر يزداد سوء بسبب اختلاف الأسلوب في الكتابين ليطرح المزيد من الأسئلة حول كل هذه الاختلافات.

كتاب الأنوار السنية والمنن البهية

كتاب "الأنوار السنية والمنن البهية"[1] من أشنع الافتراءات التي نسبت للشيخ عبد السلام الأسمر. يقول ناشره أنه كان مخطوطا منذ عهد مؤلفه الشيخ عبد السلام الأسمر حتى قيض له الله تعالى ولي الله، الشيخ صالح الجعفري فنشره في القاهرة سنة 1964م مثابا مشكورا.

جاء في نهاية الكتاب: ثم نسخه العبد الفقير لله تعالى محمد بن على الشريف زغوان لإخوانه الفقراء العروسين خدمة الله تعالى، ورغبة في صاحب هذا التأليف، عامله الله، وجميع إخوانه المسلمين، بما عامل به عباده الصالحين آمين . وكان تمام نسخه ضحوة الثلاثاء الموافق الثامن من شهر جمادى الثانية سنة (1279 هـ – 1863م) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما في علم الله صلاة دائمة بدوائم الله، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وجاء به من طرابلس، وقام بطبعه راجي رحمة ربه صالح الجعفري في رجب عام (1384هـ – 1964م) راجياً دعوة الخير من كل من قرأه من الإخوان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم[2].

---

1) الأنوار السنية والمنن البهية، عبد السلام الأسمر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1964م.

2) المصدر السابق ص 20.

ويظهر في مقدمة الكتاب كلام منسوب للشيخ الأسمر قوله: "أذكر هنا ما يسر الله جمعه رسالة لطيفة سميتها الأنوار السنية في سندي للطريقة العروسية وفي التحدث بالنعم التي أنعم الله بها علي"[1].

لكن الحقيقة لا يوجد أي مخطوط لهذا الكتاب في حياة الشيخ الأسمر، ولا بعده بقرنين. وهذا الكتاب أقبح ما نسب للشيخ الأسمر لما يحتويه من الكذب، والكفر، والإلحاد، ولا ندري كيف تجرأ كاتبه أن ينسب كل هذه الأكاذيب، والخرافات، للشيخ عبد السلام الأسمر. والعجب أن بعضا من مريدي الطريقة العروسية، أو الزاوية الأسمرية لا تنكر على هذا الكفر الصراح، بل وتقوم بطباعة كتاب أسامة بن هامل الذي يكني نفسه "بقفة الصّلاح" ، وكتيبه يستحق أن يطلق عليه "قفة الخرافات".

اعتمد في هذا الكتاب على حشد ما ألقاه في قفته من خرافات وأساطير. ولنا مع قفة الصلاح وقفة نبين كيف تستمر الافتراءات على الشيخ الأسمر وغيره من الشخصيات.

وحتى لا يطول المقال ولا نضيع وقتا في سرد تفاصيل عن هذا الكتاب نكتفي ببعض المقتطفات منه لنبين مدى التحريف، والكذب الذي نسب للشيخ الأسمر.

تأمل معي في هذه المقتطفات من هذه المنن التي ذكرت في الكتاب، ونسبت للشيخ الأسمر: "إخواني اعلموا رحمكم الله أن هذه الطريقة العروسية الراجعة إلى الشاذلية، هي أقرب الطرق إلى الله، وهي لبها، فمن حلف بالله أن هذه الطريقة الشاذلية هي التي كانت عليها بواطن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو بار في يمينه، ولم يحنث"[2].

" وقد أردت أن أتحدث بالنعم التي أنعم الله بها على فأقول لما أخذت ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، مُكّنت من العلوم اللدنية، ومن معرفة الأسماء، فلو أن الجن، والإنس يكتبون عني إلى يوم القيامة لكلوا وملوا، وإني قد أظهرني الله على جميع الكائنات، وعلى الرمال، واسم كل ذرة، والنباتِ وأسمائه،

1) المصدر السابق ص 3.

2) الأنوار السنية والمنن البهية، عبد السلام الأسمر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1964م. ص 8.

والحيوانات وأعمارها، وأنسابها، أي أصولها من السمك، والوحوش، والطير، والحشرات، وسائر الدواب"[1].

الجملة التي وردت في النص السابق: "أخذت ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو أن الجن، والإنس يكتبون عني إلى يوم القيامة لكلوا وملوا" يكررها غلاة الصوفية وقد نسبت إلى أبي الحسن الشاذلي ووردت في كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية كما أشرنا تحت عنوان نقد كتاب روضة الأزهار.

وجاء في كتاب الأنوار السنية والمنن البهية أيضا: "وقد انكشف لي ملكوت السماوات والأرض، والجنة والنار، فهن ظاهرا وباطنا، وأنزل الله بدعائي المطر، وإحيائي الموتى بإذن الله. وأجرى على يدي جميع ما أكرم به عباده الصالحين، وإني لو حضرت للحلاج، الذي هو الحسين بن منصور، حين عثر لأخذت بيده، وأنقذته مما هو فيه، لأن أهل زمانه ظلموه، ولم يخافوا الله فيه، والله لو حضرته نعرف كيف نأخذ بيده، وأنا لكل من عثر به جواده من أصحابي، وفقرائي، سيفي مسلول، وقنديلي مشغول، وغزلي معروف، وبغيضي مخذول، وغريمي مقتول، أنا القطب الغوث المبجول، أنا سيف الله المسلول، أنا عبد السلام الملقب بالأسمر. مدفعي معمر، وقوسي موتر، أنا الذي انجبّر وانكسّر، [كذا] والله ما تطلع الشمس حتى تسلم علي، وتخبرني بما يجري فيها، والشهر، والأسبوع يسلمان علي، ويخبراني بما يجري فيهما، أنا نبل النوابل، أنا بحر بلا ساحل، أنا المحفوظ أنا الملحوظ. يا أهل المشارق والمغارب، يا أهل الجبال والكهوف والتلال، يا أبطال يا أبدال يا أنجاب يا أقطاب يا أبكار يا ثيبات يا عجائز، يا شباب يا كهول يا شيوخ، هلموا إليّ بكبيركم وصغيركم وأحراركم وعبيدكم، واطلبوا مني ما شئتم نغنيكم خذوا عني طريق العلم بالإلهام فإني –بإذن الله تعالى– أنا الساحل الذي لا بحر له وأنا أبريء الأكمة والأبرص، – بإذن الله تعالى– إخواني لا يحل لعروسيّ أن يقطع كلامي أو يهجره سواء كان طويلا أو قصيرا وإن كان لا يفهمه يسلمه، فإن سري مودع في كلامي. إخواني لا يحل لفقير أن يؤدى كلامي لغير مستحقه، بل يؤديه لأهله الذين يحبونه فمن أدى كلامي لغير أهله فهو كمن علق الدر في أعناق الخنازير. وقيل لي يا عابد السلام ما أنشد أحد شيئا من كلامك إلا حضرت روحك

1) الأنوار السنية والمنن البهية: ص 8.

بين يديه ومعها سرية من الملائكة. إخواني تأدبوا وأنصتوا حين تنشدون مقطعاتي واخشعوا فيه فان كل حرف تحته إردب"[1].

ويقول: "إخواني فمما أنعم الله به على قد كلمتني الأطيار وجاءت إلى الأشجار والأحجار تمشى بلا واسطة، ومما أنعم الله به على رؤيتي للبارئ في منامي ألفى مرة، ومما انعم الله به على مكالمتي مع الملائكة والجن والوحوش والهوام، ومما انعم الله به على اجتماعي بأصحاب الكهف ومكالمتي في سيدي عمران بألفاظ من حي ساحل حامد، ومما انعم الله به على حفظي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان والبخاري ومسلماً ومختصر خليل والرسالة والمدونة والعلوم الدينية التي كانت عند الخضر عليه السلام، ومما أنعم الله به علي لما حدث بي الوارد فهو الحال القوي الذي لم أجد منه راحة حتى لم يكفن فيه ذكري وذكرى غيري"[2].

" قيل يا عابد السلام، لا تجزع مما نزل بك من الوارد القوي، فادعني استجب لك، فقلت يا رب رضيت بما نزل بي منك ودعوته بدعاء يطول ذكره قلت فيه أغثني بدواء واردي وإذا بالنداء من الهواء يا عابد السلام خذ دواء واردك الرباني فشيعت بصري إلى السماء وأنا أقول سبحان الملك القدوس وكررتها وإذا بدف عظيم هابط علي من السماء مرتج موتور، فتلقيته وجعلت نضربه لنستريح بسماعه حين هيجان الحال واحتراق الوجد فكان في سماعه دواء وأردى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"[3].

"ومما انعم الله به علي في الصغر في أيام قراءتي على عمي أحمد لقد تسألني الطلبة عن المسألة لا يكون عندي لها جواب، فأرى الجواب سطراً أمامي في الحائط أو الحصير أوفي الدواة، هذا في الصغر قبل أن أبلغ الحلم. والله، والله، والله أنه لينزل علي المدد في كل يوم فأرى سريانه في الماء والطائر وفي الهواء إلى أن يسري في أصحابي وفي كل من يحبني سرياناً عظيماً"[4].

1) الأنوار السنية والمنن البهية: ص 16.

2) الأنوار السنية والمنن البهية: ص 18.

3) الأنوار السنية والمنن البهية: ص 18.

4) الأنوار السنية والمنن البهية: ص 18.

لاحظ ما جاء في النص السابق في السطرين الاخيرين:" والله والله والله أنه لينزل عليّ المدد في كل يوم فأرى سريانه في الماء والطائر وفي الهواء إلى أن يسري في أصحابي وفي كل من يحبني سرياناً عظيماً"

والنص السابق نسخ حرفي من كتاب المفاخر العلية في المآثر الشاذلية لأبي الحسن الشاذلي[1]. وهذا يؤكد النقل الحرفي وإعادة ما جاء في روضة الأزهار في كتاب آخر ينسب زورا للشيخ الأسمر. وتأمل معي هذا النص" إخواني: قيل لي يا عابد السلام (بمد العين) أدع على آل حامد فقلت يا رب أدع [كذا] لهم بالتوبة والموت على الإسلام، فقيل لي ثانياً ادع عليهم فقلت كذلك فقيل لي أدع عليهم بالشتات إلى أن يفترقوا على ثلاث فرق كالسدر على المدر، ثم بهلاكهم وإخلاء بلادهم إلا من أتبعك منهم ووثق بطريقتك فلا تدع عليه بشرّ فأطلق الله لساني بالدعاء عليهم نثراً ونظماً إلى أن أهلكهم الله وأخلى بلادهم منهم حتى لم يبق منهم الآن إلا من أتبعني ووثق بطريقتي لم يهلكه الله بسبب طاعته لي ومحبته لي. ثم قيل لي ادع على الفقيه مبارك وابن عمه سالم المباركي لا بارك الله فيهما فقلت يا رب لهم بالصلاح والتوبة"[2].

والنص السابق نسخ حرفي من روضة الأزهار[3]، ويدل على تكرار تأليف كتاب بعنوان جديد ونسبتها إلى الشيخ الأسمر.

"إخواني رأيت كأني في المحل الأعلى بين يدي الله عز وجل جبريل وميكائيل وكثير من الملائكة المقربين وإبراهيم خليل الرحمن وموسى وعيسى وأحمد الخضر عليهم السلام، والله عز وجل يقول لي يا عابد السلام (بمد العين) فأني سميتك العابد لي فأنت إذا القطب الغوث وكنت ذات يوم جالساً في الخلوة فقلت إلهي وسيدي وخالقي متى أكون عابداً لك؟ فسمعت النداء من فوق الخلوة إذا لم تكن العابد لي غيرك فأنت إذا العابد لي فقلت هل في الأولياء الآن أفضل مني وأعظم درجة مني في الأولياء الميتين والحيين"[4]. ثم ذكر أنه لُقن حسب زعمه أدعية وكأنها وحي.

1) المفاخر العلية في المآثر الشاذلية: ص 7.

2) الأنوار السنية والمنن البهية: ص 19.

3) روضة الأزهار: ص 235.

4) الأنوار السنية والمنن البهية: ص 20.

لعل كل هذه النصوص تبين لك حجم الافتراءات التي نسبت للأسمر ولو تتبعنا بعض نصوصه لوجدناها منقولة من كتب سبقتها. فهل بقي من عاقل يتحدث عن هذا الكتاب وينسبه للشيخ الأسمر وما فيه من كفر وافتراء على الله، لهذا نجد في هامش الصفحة 233 من روضة الأزهار يتعجب عبد الحميد الهرامة بقوله: "لسنا ندري من هو الذي يحاور الشيخ، لكن قوله يا ربي علمني كيف أقول؟ يدل على أن الحوار مع الله، وإن صح ذلك فهو غريب فلا نعلم غير النادر من الأنبياء من أطلق عليه كليم الله"؟.

ولماذا العجب؟؟، فالشيخ القطعاني وغيره من بعض اتباع الطرق الصوفية، ممن كتب بعض الكتب، والمقالات الحديثة، مازال يعتقد بصحة هذه الخرافات وصحة نسبة هذه الكتب إلى الشيخ الأسمر.

دراسة كتاب الزهر في الأكمام لعمر بن جحا

كتاب "الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام" ينسب للشيخ عمر بن جحا[1] (902 هـ – 999 هـ) وتحقيق الدكتور عبد الحميد الهرامة.

هذا الكتاب صغير الحجم، وبه بعض القصص التي تتشابه في مضمونها في مواضع حرفيا مع ما جاء في روضة الأزهار مما يوحي بكتابة الكتاب بعد روضة الأزهار. وهناك إشارات تبعث الريبة في صحة نسبته للشيخ عمر بن جحا، وسنفرده بدراسة خاصة، في الطبعة القادمة من هذا الكتاب، كما نقترح على المهتمين بدراسة التصوف إعادة قراءة هذه الكتب، ونقدها وتحقيق صحة نسبتها للمؤلف، وصحة نسبة ما جاء فيها للشيخ الأسمر. يكفي لتفنيذ الكتاب وصناعته القصة[2] الخرافية التي وردت في الكتاب، والتي تتحدث عن لقاء الأسمر بالدوكالي وفتح الله أبو رأس، حيث أعطى أبو رأس الأذن للشيخ عبد السلام الأذن بضرب الطار، ومن المؤكد أن الأسمر لم يلتقي بالشيخ الدوكالي، وأما أبو رأس قد غادر قبل ولادة الأسمر الى نيجيريا ودفن بمدينة كانو.

1) الشيخ عمر بن جحا هو خليفة الشيخ عبدالسلام الأسمر على الطريقة العروسية.

2) الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام، ص: 87.

نشير فقط إشارة سريعة أن القصيدة المنحولة لعبد الحميد بن عبد الله ضي الهلال والتي يرثي فيها الشيخ الأسمر الواردة في تعليق محقق الكتاب ومطلعها:

فؤادي لا يقر له قرار وأجفاني مدامعها غزار

قد وردت في تعليقات الدكتور الهرامة على الكتاب يقول في تعليقه: "وهي صفات بشرية تظهر سمت الشخصية النموذجية للعالم العالم كما عرفه التاريخ الإسلامي، ولا مكان فيها لرجل الخوارق والأساطير". وقد علقنا[1] بما لا يدع مجال للشك على عدم نسبتها لضي الهلال، وأعتقد أن البحث لا يكون بالانتقائية ولكن بنقد النصوص واستخلاص الحقيقة التاريخية ولو كانت مختبئة داخل القصص والخرافات.

وانظر إلى العنوان "جذبه وتصوفه" صفحة 83 وقصة نزول البندير عليه من السماء!. هل يعتقد من لديه ذرة من العقل أن قصة الدف ولقاء الدوكالي وقد تجاوز المائة سنة مع الشيخ الدوكالي؟.

وانظر الى ما ورد في صفحة 87 من الكتاب عندما يقول فتح الله أبو رأس: " يا عبد السلام اضرب الطار وأنشد الأشعار، وما قلت لك هذا حتى سرحت لك في ذلك أهل السماوات وأهل الأرض، والانبياء والمرسلون والملائكة والجن والأنس والطيور والوحوش، وذلك بإذن من الله ورسوله .."[2].

والعجب ما ورد في نفس الصفحة القول المنحول لعمر بن جحا: "والشيخ سيدي عبد الواحد الدوكالي قائم وهو يرقص مكشوف الرأس وعريان"[3]. فهل كل هذه الافتراءات على الشيخ الدوكالي وبن جحا قابلة للتصديق؟.

لقاء الأسمر بسالم السنهوري: دراسة نقدية في الرو اية والتاريخ

من هو الشيخ سالم السنهوري؟ وما صحة مناظرته للشيخ الأسمر وأخذه عنه؟ وهل تصح نسبة كتاب النور النائر له؟

---

1) أنظر تعليقنا على الأبيات في مقدمة الكتاب

2) هل يريدنا واضعي هذه الافتراءات أن نصدق ما جاء في الكتاب؟. وإذا صحت نسبته فدون شك قائلها زنديق خارج عن الملة.

3) الزهر في الأكمام، ص: 86- 87.

هو أبو النجاة سالم بن محمَّد السنهوري مفتي المالكية بمصر، وعالمها، الإمام الكبير، ومفتيها ومحدثها الشهير، وإليه الرحلة من الآفاق، اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره، أخذ عن أئمة كالشمس البنوفري، وبه تفقه، وأدرك الناصر اللقاني وأخذ عنه، والنجم الغيطي، وعنه جلة منهم البرهان اللقاني، والنور الأجهوري، والخير الرملي، والشمس البابلي، ولازمه، والشيخ عامر الشبراوي، وسمع منه الأمهات الست، له شرح جليل على المختصر، ورسالة في ليلة النصف من شعبان وغير ذلك. توفي في جمادى الأولى سنة 1015 هـ – 1606م، وعمره نحو السبعين.

ولد سنة 950 هـ، ولم يذكر في ترجمته أنه سافر إلى الغرب، أو إلى طرابلس، بل أمضى كل حياته في مصر. ولم يذكر أنه ألف كتابًا أسمه "النور النائر" في ترجمته، ولم يذكر الكتاب أحد من تلاميذه، والكتاب له نسخة واحدة وظهرت في ليبيا مما يضع عليها علامات استفهام في صحة نسبتها للسنهوري. والكتاب لا تصح نسبته له لأسباب كثيرة سنبينها بالأدلة القاطعة.

إذا كان مولد الشيخ سالم السنهوري كان في سنة 950 هـ فإنه، إذا افترضنا على أقل تقدير قد أنهى تعليمه وعمره عشرون سنة أي سنة 970 هـ، فإن عمر الشيخ الأسمر في ذلك الوقت يكون تسعون سنة، وأنه من المستغرب أن يسافر سالم السنهوري ليأخذ عن الشيخ الأسمر، وقد أنهى تعليمه على علماء لهم وزنهم بمصر، فما هي العلوم التي يحملها الأسمر ليرحل إليه سالم السنهوري وهو في موطن الأزهر والعلماء والفقهاء ومشاهير الطرق الصوفية، أو هل سنصدق خرافة أنه سافرليناظر شيخا بلغ عمره ما يقارب التسعين سنة في مسألة استخدام الدف. أو الذكر الجماعي الذي هو أصلا مختلف فيه، فلماذا كل هذه الرحلة والعناء، مع وجود الآلاف في مصر ممن يستخدمون الدف والرقص، والعشرات من شيوخ المتصوفة الذين يستخدمون الدفوف ويشرعونها.؟.

نشير هنا إلى ما كتبه أسامة بن هامل في تقديم الكتاب كعادته في صناعة التاريخ وتزويره حيث يقول: "وإذا تحقق أنه ولد عام 945 هـ فيكون لقاؤه به – يقصد السنهوري – في وقت مبكر من حياته وأنه لم يبق في الأزهر بل تركه وهاجر مع شيخه إلى زليتن". ويستمر في خيالاته ليضع قصة أن الأسمر بقي فترة في الأزهر للتدريس، وأن الناصر اللقاني كان شيخا للأزهر وهي أيضا صناعة تاريخية

جديدة فمن المعلوم أن اللقاني لم يصل إلى منصب مشيخة الازهر لكنه كان قاضي المالكية في مصر.

هذه الحكايات لا يمكن أن تصدق بهذه السهولة، ولا ننسى أن نذكر هنا أن الذين اختلقوا هذه القصص، سواء في كتاب روضة الأزهار أو غيره نسجوا قصصًا عن معظم العلماء الذين عاصروا الشيخ الأسمر أو أدركوا تاريخ ميلاده أو قبل ولادته. ولهم شهرة في أوساطهم العلمية، وجعلوا كل هؤلاء يخضعون للشيخ الأسمر بعد مناظرات ورحلات ليأخذوا عنه، كما زعموا أن الشيخ زروق بشر به كذلك في قصة كرامة لأبي رأس، أو زعموا أن علماء كبارًا مثل الحطاب، والدوكالي، أو السنهوري، الذي جعلوه تلميذا له فيما بعد، وفي النهاية يذعن كل هؤلاء وغيرهم للأسمر في خرافات تجدونها في الكتب التي جاءت بعده في قصص لا تصمد مع أدنى تحقيق.

حاول الشيخ أحمد القطعاني–رحمه الله– أن يدلّس في هذا الموضوع فقال: " السنهوري درس على الشيخ الأسمر، وأنه أرخ لهذه المرحلة الهامة من تاريخه، وتاريخ بلادنا في كتابه "النور النابر" الذي يعد بحكم منزلة مؤلفه العلمية الفائقة جدا، من أهم المراجع عن شيخه سيدي عبد السلام الأسمر وعن ليبيا والليبيين".

ويبدو أن الشيخ أحمد القطعاني لم يطلع جيدا على مخطوط "النور النابر" المنتحل للشيخ سالم السنهوري، أو لم ينقل الحقيقة كما هي، فمن الواضح من الصفحة الثانية من المخطوط ينكشف نفس الأسلوب الذي كتب به كُتاب روضة الأزهار حيث يبدأ باستخدام الجملة المعهودة :" الذي هو سيدي عبد السلام ... وكلمة "الذي" تشير مباشرة إلى الذين استخدموا لاحقا شهرة الشيخ سالم السنهوري ليجعلوا السنهوري تلميذا للأسمر وهو الذي درس في مصر ولم يخرج منها مهاجرا إلى طرابلس في رحلة زعموا فيها أنه جاء لمناظرة الأسمر في مسألة استخدام الدف والذكر الجماعي، مع أن الدفوف، كما ذكرنا، تضرب ليلا و نهارا تحت سمعه وبصره في مصر.

هناك العديد من الملاحظات التي تؤكد عدم صحة نسبة الكتاب للشيخ سالم السنهوري، أولها ما ذكرته بخصوص مولده وعدم ذكر أي هجرة له إلى المغرب، إلا في الكتاب المنحول له، أما ما يتعلق بما ورد في مخطوط "النور النابر"، فعليه العديد من الملاحظات التي تثير الشك في نسبته للسنهوري، أولها سبك ولغة

الكتاب تختلف عن أسلوب ومؤلفات السنهوري المعروفة والمطبوعة، إذ تلاحظ استخدام بعض التعبيرات التي وجدت في عدة سياقات في كتاب "فتح العليم" ، الذي ألفه التاجوري بعد وفاة السنهوري بعدة عقود أو أسلوب مُختلقي كتاب البرموني، ووجدت نفس التعبيرات في "روضة الأزهار" المنحول للبرموني.

ففي مخطوط النور الناير[1] نجد جملًا على غرار أسلوب البرموني وفتح العليم مثل "الذي هو سيدي عبد السلام " وتتكرر في صفحة 20 من نفس المخطوط وبعض المواضع الاخرى من المخطوط، وفي صفحة 27 من المخطوط تجد الجملة التالية "الشك مني" والتي تشير إلى اقتباسها من كتاب فتح العليم بعد وفاة السنهوري بعقود وليس من أسلوب السنهوري، وهذه الجملة تتكرر في عدة سياقات في الكتابين، فإن قال قائل لعل السنهوري اعتمد في كتابه على "روضة الأزهار" نقول إن ذلك مستبعد، فقد انتهي، حسب ما ورد، أن البرموني انتهي من كتابه سنة 1005هـ، والسنهوري توفي بعده بعشر سنوات. وبعض القصص معادة بأسلوب مغاير يشير بوضوح إلى وضع الكتاب.

والعجب أن السنهوري فاته أن يذكر البرموني في كتابه الذي كتب قبل وفاته كما يزعمون بعشر سنوات، كما أن صاحب فتح العليم غاب عنه ذكر السنهوري في مخطوطه فتح العليم مما يلقي بضلال الشك في صناعة لقاء السنهوري بالأسمر في نسخ لاحقة بكتاب البرموني؟. فهل كان الشيخ الجعفري وراء كل هذه الافتراءات، خاصة أنه يتقن الشعر المقفى والشعر العامي، ولعله هو من وضع العديد من القصائد وحرف بعضها من قصائد لشعراء آخرين ونسبها للشيخ الأسمر. والمخطوط يحتاج لتحقيق ودراسة عميقة من المتخصصين للحكم على صحة نسبته للسنهوري.

تحقيق نسبة مخطوط النور النائر لسالم السنهوري

نجد بالمخطوط[2] نصًا ورد فيه: "في كتاب العظمة في التحدث بالنعمة". وكتاب العظمة طبعه صالح الجعفري ولا تصح نسبته للشيخ الأسمر، وقد نقلنا بعض النصوص منه، ونستبعد أن يمر هذا الكتاب بما فيه من كفر بواح على الشيخ

1) مخطوط النور النايرـ ص: 22

2) النور النايرص: 20

السنهوري، ولا ينتقده، أو يشير إلى ما فيه من مخالفات للعقيدة الإسلامية. كما تجد في كتاب النور النائر النص التالي، والذي ينسب للسنهوري أنه رأى خوارق الأسمر وسجلت في النور النائر: "وله خوارق كثيرة رأيناها فمن خوارقه كان يشير على النار فتخمد وتبرد، ويشير على المطر فتصب من السماء، وعلى الريح فتسكن لوقتها ويشير الماء الأجاج فيصير عذبا، وعلى الرحى فتطحن من غير واسطة. وكان يبرئ الأكمه والأبرص، ويشبع الكثير بالقليل من الطعام وأحيا الله تعالى على يده الموتى"[1].

ولبيان عدم صحة نسبة الكتاب للشيخ سالم السنهوري أنقل هذا النص من مخطوط "النور الناير" يتحدث عن فتنة مقتل عمران بن الشيخ عبد السلام الأسمر :"وأنا إذ ذاك بمصر قدمت لزيارة الوالدين، فلما سمعت بذلك قدمت إلى طرابلس، وزرت من كان بها مشهورا بالصلاح ومكث بها مدة، ووجدت بها جماعة فضلاء من تلامذة الشيخ، منهم خليفته الشيخ سيدي عمر بن محمد بن حمودة الشهير بابن جحا، ومنهم سيدي عبدالحميد بن عبد الله القمودي الشهير بضي الهلال، ومنهم سيدي محمد علي الشهير بالشاذلي، ومنهم سيدي محمد بن أحمد الشهير بأبي لمامه، ومنهم سيدي راشد بن يحيى المحجوب، وابن عمه سيدي عبد الرحمن بن عبد النبي المحجوبي، وسيدي أحمد بن قاسم المشاطي، ومنهم سيدي محمد بن محمد أبو جعفر الكندي، وسيدي عمر بن عبد الرحمن القريوي، وسيدي صالح بن مبارك وسيدي محمد أبو طبل، وسيدي سالم بن أحمد السملقي ... وأخيه سيدي محمد، وسيدي أحمد بن علي الشهير بأبي دبوس، وسيدي المبروك بن محمد بن أبي جريدة، وسيدي أحمد بن عبد المنعم، وسيدي أحمد بن محمد البشت وإخوته، وسيدي علي، وسيدي عبدالرحمن الصغير، وسيدي عزالدين، وسيدي مبارك بن يحيى الحمروني، وغيرهم ممن يكثر تعدادهم، وقد أخبروني بما وقع من يحيى الزرهوني، لا نجحه الله ولا سدده،

1) النور النائر، سالم السنهوري، تصحيح واعتناء عبد الرحمن محمد جوان، منشورات زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، الطبعة الأولى، 2024م.

وأخبروني بكرامات كثيرة شاهدوها من الشيخ قبل وفاته، فقيدتها في جامع متوسط في خمسة فصول ومقدمة"[1].

هذا النص كفيل بإبطال نسبة الكتاب للشيخ سالم السنهوري، ولا يحتاج النص إلى تأمل وتدقيق ليصل القاري إلى أن الكتاب منتحل للسنهوري.

أولا: نتساءل كيف يمكن أن يُستساغ لشيخ ومفتي المالكية، بعد أن سمع بفتنة السويدي وما تبعها من هرج ومرج، أن يأتي لزيارة طرابلس الغرب والثورة قائمة، وما زال الاقتتال فيها قائما؟. فقد ذكر الدكتور محمد الأسطى في مقالة[2] له أن الثورة استمرت ما يقرب من أربع سنوات من الحروب والفوضى وسفك الدماء والدمار، ولم تنتهي إلى في جماي الأولى سنة 1000هـ.

فإحدى الروايات تقول إن عمر بن جحا غادر إلى تونس مع بداية الفتنة عندما أختلف مع عمران وقبل مقتل عمران، ولم يشارك في الفتنة لأنه اختلف مع عمران بن الشيخ الأسمر، وأصر على عدم التحالف مع أي من الفريقين. وعندما لم يتفقا هاجر مباشرة إلى تونس مع بداية 995 هـ في فتنة السويدي وتوفي بالداموس بحيز المنستير ومات ودفن بها.

فإذا كانت وفاته كما ذكر سنة 995هـ فاللقاء بالسنهوري على فرض أنه جاء إلى طرابلس لم يلتقِ به. أما إذا كانت وفاته سنة 990 هـ كما ذكر محمد العدوي[3] وهذا يعني أنه رحل إلى تونس قبل فتنة السويدي ومات قبل بداية الفتنة ولم يلتقِ به، وإذا كان قد توفي سنة 999 هـ فعمره كان سنة 995 هـ في ذلك الوقت 93 سنة وهذا لقاء مشكوك في صحته.

---

1) مخطوط النور النايـر، سالم السنهوري، ص: 27 -28. وأنظر تحقيق النور النائر لعبد الرحمن محمد جوان، ص: 92-98.

2) ثورة يحيى بن يحيى السويدي أو سويدان، محمد الأسطى، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، السنة الرابعة، العدد الأول، يناير 1982م. ص: 152.

3) الإمام الفقيه عبد السلام الأسمر الفيتوري، الدكتور محمد عبد السلام كامل العدوي، المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م. ص: 103.

أما الشيخ عبد الحميد بن عبد الله القمودي فقد توفي سنة 991 هـ أي قبل قبل الفتنة بسنوات. فكيف تمكن السنهوري من لقاء رجل مات من أربعة سنوات.

أما راشد بن يحيى المحجوبي فقد ورد أن الشيخ الأسمر أرسل له رسالة، وهو شخصية مجهولة بل أجزم أنها شخصية خيالية، وحتى البرموني لم يذكرها مع ما نسب له من خيال واسع إلا فيما صنع من رسائل في وقت متأخر.

أما محمد بن محمد أبو جعفر الكندي فقد توفي سنة 999 هـ. أي عمره سنة 995 هـ كان في حدود التسعين سنة، وأيضا هناك شك في وجوده في زليتن في ذلك الوقت، لأنه توفي ودفتن بالصابرية.

أما الشيخ صالح بن مبارك الغيثي فقد توفي سنة 989 هـ أي قبل فتنة السويدي تقريبا بستة أو خمس سنوات. وهذا دليل على أنه لم يلتقِ بالسنهوري.

وأما محمد أبو طبل فقد توفي سنة 987 هـ أي قبل الفتنة بسبع سنوات. أي أنه لم يلتق بالسنهوري.

وأما سالم بن أحمد السملقي فقد توفي عام 996 هـ، بعد بداية الفتنة بسنة تقريبا والمؤكد أنه لم يلتق به وخاصة أنه كان من مواليد عام 888 هـ أي كان عمره سنة 995 هـ تقريبا 108 سنة، فقصة لقائه بسالم السنهوري محض خرافة ولا حقيقة لها.

وأما محمد بن علي السملقي فقد توفي سنة 988 هـ. وهو دليل على أنه لم يلتقِ به بعد فتنة السويدي لأنه مات قبلها بسبع سنوات.

وأما أحمد بن محمد البشت فقد توفي سنة 996 هـ في أثناء ثورة السويدي، من المؤكد لم يلتقِ به.

وأما علي بن محمد البشت فقد توفي سنة 997 هـ بعد بداية فتنة السويدي بسنتين. من المؤكد أنه لم يلتقِ به.

هذه الأدلة تدل على حشد هذه الأسماء دون الانتباه لتواريخ الأحداث التاريخية. كما أن محقق كتاب "النور النائر" لم ينتبه لها ولم يعلق عليها.

إذن فكيف تمكن سالم السنهوري من مقابلة كل هذا العدد من الشخصيات التي معظمها إما مات قبل فتنة السويدي، أو كان عمره قد وصل أو تجاوز المئة بعد الفتنة.

وهذه الأسماء التي وردت في كتاب البرموني، وفتح العليم، متى تعرف عليهم، وهو الذي أمضى عمره في مصر من متعلم، إلى شيخ يشار له بالبنان؟ ولكن تنزلا للعقول الخرافية التي تصدق بكل هذه الافتراءات أوردنا بعض هذه التساؤلات وبينا تهافت قصة اللقاء ورحلة السنهوري إلى طرابلس. لكن نشير هنا إلى أنه ربما قد يلجأ بعض المتصوفة ويجنح بخياله الواسع ليقول لنا كانت الرحلة عن طريق "جمال القدرة" أو خوارق الطيران، وغيرها من الخرافات التي ما زالت تعشش في عقول البعض.

والآن دعنا ننتقل إلى المخطوط نفسه ونجري عليه دراسة سريعة لنرى صحة نسبته للسنهوري من زاوية أخرى. ولكي نسهل على القارئ فسنستخدم كتاب "النور النائر" الذي حققه عبد الرحمن جوان، وقد تأكدت من صحة نقله لنص المخطوط، وهو مجهود يشكر عليه في طباعة المخطوط، حيث سهل على القراء اجراء المقارنات والتأكد من كل هذه التناقضات.

تأمل معي ما جاء في "النور النائر" صفحة 88 و89 وهي قصيدة نسبت للشيخ الأسمر يقول في مطلعها:

يا رب صل على المختار سيدنا وآله الفضلاء وصحبه الكرام

إلى قوله:

عبد السلام سقيم مما حل به يبكي بكاء شديدا بدموع دم

ثم يأتي بعد بيت آخر قصيدة مطلعها:

جن الظلام وهاج الوجد والسقم والشوق حرك ما اعتن من الألم

إلى نهاية القصيدة. وهذه القصيدة بعد إضافة أربعة أبيات في بدايتها، منحولة للشيخ الأسمر ونستبعد أن يقوم بهذا العبث والافتراء الشيخ سالم السنهوري. فالقصيدة وردت في كتاب "المرقصات المطربات" لمؤلف الكتاب أبو الحسن علي

بن موسى المغربي الأندلسي، 685 هـ. وهي لشاعر مغمور يسمى أنس الوجود. لكن ورودها قبل قرنين من ميلاد الأسمر تبعث الشك في أن الكتاب صناعة وإضافة للكتب الأخرى المنحولة للأسمر والسنهوري وغيرهم.

أما أعجب العجب أن ينسب للسنهوري أبيات أنشدها الأسمر في صفحة 86 من الكتاب وهي لأحمد البهلول المتوفي سنة 1113هـ. ومطلع القصيدة بعد تغيير الكلمة الأولى من البيت الأول:

مناى[1]لمن زار الحطيم وزمزما ومن طاف بالبيت العتيق وأحرما

وهذا فيه إشارة واضحة لعدم صحة نسبة الكتاب لسالم السنهوري، ووضع الكتاب بعدة قرون بعد وفاة الأسمر مع أنه ذكر كعنوان كغيره من الكتب مثل البحر الطمطام المنحول للمكي والديوان المفقود للبرموني وغيرها من الكتب، وربما تكشف نصوص أخرى أن وضع الكتاب أحدث من ذلك. أما نصوص "النور النائر" فتحتاج لمقارنة ودراسة أعمق للتأكد من صحة نسبة الكتاب وصحة لقاء السنهوري بالأسمر. وهناك أمر ملفت للنظر أنه لا توجد إلا نسخة فريدة بخط محمد بن حيدر.

وقد أجريت قراءة للكتاب فتبين لي عدم صحة نسبته للسنهوري كما بينت في الأمثلة السابقة، وخاصة أن أسلوب السنهوري في حاشيته على مختصر خليل لا يدع مجالا للشك في عدم صحة نسبة الكتاب للسنهوري. وأترك القارئ ليطلع على بقية نصوص الكتاب ويحكم بنفسه.

فقد جاء في مخطوط النور الناير المنحول للشيخ سالم السنهوري كلام ينسبه الشيخ السنهوري للشيخ عبد السلام الأسمر فيقول: قال شيخنا يقصد الشيخ عبد السلام الأسمر: "لا يبلغ المريد مقام الصدق حتى يزيد في تعظيم أمر الله ونهيه، فيفعل المندوب كأنه واجب ويتجنب المكروه كأنه حرام، ويتجنب الحرام كأنه كفر، وينوي بجميع المباحات خيرا فينوي بالنوم في القيلولة الإعانة على قيام الليل، وينوي بالأكل التقوى على العبادة وعلى تكسب الحلال، ويتناول بعض الشهوات للمداولة لنفسه إذا نفرت من العبادة فإن لسان حال النفس يقول

---

1) في الأصل للبهلول "يمينا"؟

لصاحبها كن معي في بعض أغراضي وإلا صرعتك وينوي بلبس الثياب الفاخرة إظهار نعمة الله تعالي"[1].

والنص السابق منقول حرفيا من كتاب "المنح السنية على الوصية المتبولية"[2] لعبد الوهاب الشعراني، يحكيه عن سيدي على الخواص، وهذا النص دليل آخر لبيان صناعة كتاب "النور الناير" وعدم صحة نسبته للشيخ سالم السنهوري وعدم لقاءه بالشيخ الأسمر.

وقد تم نسخ مقدمة الكتاب حرفيا من كتاب الطبقات للشعراني، كما فعلوا من قبل مع كتاب روضة الأزهار والوصية وغيرها. فمثلا: إذا تأملنا مقدمة الكتاب من ص 39 إلى ص 64 ستجد أن 25 صفحة متواصلة منقولة من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني مع تغيير كلمات قليلة أو تأخير وتقديم لبعض النصوص، وستجد تكرار كلمة "قلت" وهي في معرض أن القائل هو السنهوري مع أن النقل من كتاب الشعراني يبين أن الكلام أو القائل شخص آخر. ولكي تتضح للقارئ ما أردنا بيانه ننقل لكم هذه النصوص لمقارنتها مع ما جاء في كتاب الطبقات الكبرى للشعراني.

قارن النص الوارد في "النور النائر" والذي يبدأ من صفحة 40 إلى صفحة 62. وبداية النص ص 40: "قالت المشايخ: ولما كانت الأولياء والعلماء على أقدام الأنبياء والرسل .... (إلى قوله في ص 62): " .... للقوم في كل شيء قالوه مما لا يخالف صريح النصوص. انتهى كلام السبكي".

والآن قارن الصفحات من 40 – 62 من كتاب "النور النائر" مع مقدمة كتاب الطبقات الكبرى[3] للشعراني من صفحة 7 إلى بداية صفحة 12 وستجد تطابقًا كاملًا للنص مع النور النائر وجعل المتكلم السنهوري، أو تغيير في بعض الكلمات أو تقديم وتأخير لبعض الآيات.

1) مخطوط النور النابر، منسوب لسالم السنهوري، تونس

2) المنح السنية على الوصية المتبولية، ص: 34.

3) الطبقات الكبرى،، عبد الوهاب الشعراني، المكتبة الوقفية ج 1، ص: 7-12.

ثم يرجع في صفحة 63 من كتاب "النور النائر" مع بداية النص: "عبارة عن علم انقدح من قلوب الأولياء، حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ..... (إلى ص 64) .... وبالجملة لا ينكر أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم ووجدهم".

والآن قارن النص الوارد في صفحة 63 و64 مع مقدمة كتاب الطبقات للشعراني صفحة 4. سترى حقيقة نقل مقدمة كتاب الشعراني وجعل المتكلم السنهوري في عملية انتحال واضحة.

ثم قارن كذلك صفحة 39 من "النور النائر" إلى بداية صفحة 40 مع ما ورد في الطبقات الكبرى للشعراني الجزء الثاني صفحة 73.

وقارن من بداية صفحة 147 من النور النائر إلى صفحة 151 ستجد تطابق حرفي مع روضة الأزهار من صفحة 769 إلى صفحة 772 مع استبدال كلمة قال المناوي بجملة قال بعض شيوخنا صفحة 150 واستبدلت كلمة عدة المريد بالعدة.

ولا حظ التطابق في صفحة 101–102 مع ما جاء في روضة الازهار صفحة 393 –394 في تطابق عجيب. ولقائل يقول أن الاستدلالات الفقهية تتشابه لكن هنا لدينا بكل وضوح نقل حرفي من كتاب روضة الأزهار التي بينا بجلاء أن الكتاب كتب بعد وفاة السنهوري نفسه.

وقارن بين النص في صفحة 105–106 والنص المقتبس حرفيا من روضة الازهار صفحة 398.

من الممكن أن نستمر مع بقية الكتاب لنرى من أين تم نقل النصوص ونسبتها للسنهوري ولكن سنتركها للطبعة الثانية.

من هذه الأدلة ترى أيها القارئ الكريم عدم صحة لقاء السنهوري بالشيخ الأسمر وعدم صحة نسبة كتاب "النور النائر" له.

لاحظ أن النصوص المنقولة من طبقات الشعراني قد نقلت كما هي. بما فيها من قول الشعراني: "قلت" تحولت في النور النائر ونسبت إلى السنهوري مع أن النص الأصلي من قول الشعراني وليس من كلام سالم السنهوري. يتجلى بوضوح أن الذي نسب كلام الشعراني للشيخ السنهوري نسي أن ينقل مع النص "قال" في النصوص وهي في النص الأصلي للشعراني وتحولت في النور النائر إلى السنهوري.

كما أن النصوص المنقولة من روضة الأزهار نقلت نقلا شبه حرفي مما يدل على صناعة الكتاب بعد روضة الأزهار.

ولا ننسى هنا أن نذكر أن الشيخ علي الحضيري لم يكن من تلاميذ الشيخ عبد السلام الأسمر، لأن الحضيري ولد سنة 980 هـ. أما الشيخ الأسمر توفي سنة 981 هـ، فكيف التقى الحضيري بالأسمر وعمره قد بلغ سنة فقط يوم وفاة الأسمر!. ففي مقدمة كتاب النور النائر لعبد الرحمن جوان جعل صاحب قفة الصلاح[1] الشيخ علي الحضيري تلميذا للأسمر[2] كعادته في صناعة وتحريف الحوادث التاريخية.

أما بقية الكتاب فهو نقل من كتب أخرى سنوردها بتفصيل في الطبعة القادمة، وفي هذه الأدلة كفاية على عدم صحة نسبة الكتاب للسنهوري ولا صحة لقاء الأسمر به، ولا كتاب النور النائر من أسلوب وتأليف السنهوري ولم يذكر في ترجمته أن الشيخ الأسمر من أساتذته ولا تلقى عنه، وإنما ورد هذا فقط في الكتب التي افتريت فيما بعد على الشيخ الأسمر.

1) أضاف كعادته أسامة بن هامل من قفتة الخرافية أن الشيخ علي الحضيري كان تلميذا للأسمر في مقدمة كتاب النور النائر المنسوب لسالم السنهوري، دون مراعاة أن الأسمر توفي سنة 981 هـ و الشيخ علي الحضيري ولد سنة 980 هـ، وصاحب القفة يكتب من مخيلته في أغلب ما ينشره دون أي تفكير ودون مراعاة التناقض بين النصوص ويقفز قفزات محاولا وهم القاري أنها حقيقة ليجعلها فيما بعد نصوصا يعتمد عليها ويبني عليها استنتاجات في طريق رحلته في صناعة الخرافة.

2) النور النائر، ص: 24. وهوامش ص:190-191.

الباب الرابع

الوصية والرسائل – التحقيق والنسبة

الوصية الكبرى: كيف صنع النص ونسب زورا إلى الشيخ الأسمر

أوضحنا بما لا يدع مجالا للشك أن كتاب روضة الأزهار، المنحول لكريم الدين البرموني، منقول في معظم نصوصه حرفيا من مجموعة من الكتب السابقة له، وخاصة عندما يتعلق بنسج كرامات للشيخ الأسمر، نبين هنا أن كتاب "الوصية الكبرى"[1]، المنحولة للشيخ عبد السلام الأسمر، منقول كذلك من عدة كتب، ونضرب أمثلة على ذلك.

ولم نقم في هذا الموضع بنقد الكتاب من الناحية التاريخية[2] أو اللغوية ولكن في هذه الأمثلة دليل على أن الكتاب لا علاقة له بالشيخ عبد السلام الأسمر، وتم تأليفه بعد وفاة الأسمر ثم نسبته له في تحريف واضح. وسنقوم بتحليل ما جاء فيها في المباحث القادمة لنبين زور نسبة الوصية للشيخ عبد السلام الأسمر، وسنكتشف العديد من الأخطاء التاريخية التي قد تكشف العصر الذي كتب فيه كتاب الوصية الكبرى.

اعتمدت هذه الدراسة على كتاب "الوصية الكبرى" طباعة مكتبة النجاح طرابلس– ليبيا، وهي نسخة يعاد طبعها من حين لآخر، وتوجد منها نسخة الكترونية على شبكة المعلومات.

الكثير من الناس والباحثين قد سمعوا بكتاب "الوصية الكبرى" الذي ينسب للشيخ عبد السلام الأسمر، ولم يطلعوا على ما فيه من خرافات ومفتريات، بل وما فيه من الادعاءات المعلوم كفرها بالضرورة، نسبت للشيخ الأسمر وهو بريء منها، بل هناك مفتريات حديثة لا توجد في أي مصدر من المصادر القديمة.

في هذا العنوان نورد بعض الأمثلة نقلا من كتاب الوصية الكبرى، ونبين مصادر نقلها وصناعتها، وبلغة اليوم الكتاب مجموعة من السرقات الأدبية من كتب التصوف، وقع تحديثها، ونسبتها بوصفها أقوالًا للشيخ الأسمر، ونترك للقاري الحكم عليها.

---

1) الوصية الكبرى، عبد السلام الأسمر، مكتبة النجاح، طرابلس- ليبيا.

2) مع ملاحظة وجود أدلة تاريخية على وضع نصوصها بعد وفاة الأسمر وتجد ذلك في التنبؤات مثلا في ص: 109 بخصوص يحيى السويدي وبعض الاحداث التي حدثت في نهاية القرن العاشر والحادي عشر وما بعده.

جاء في كتاب "الوصية الكبرى" : "إخواني والله من أنكر طريقتنا وحاد عنها لم يرد عليّ الحوض، والله ثم والله، من أنكر علينا بالغرض والنكر النفساني يموت على غير الهدى، وربما يموت كافرا إن شاء يموت يهوديا أو نصرانيا والعياذ بالله منه، والله ثم والله من رجع عن طريقتنا فهو عند الله، وعندنا كالمرتد عن دينه، والله ثم والله، من انتسب إلى طريقتنا، وفر منها فراراً، حتى لا يعود إليها فيموت مشركا ويحبط الله عمله، والله ثم والله، من تعجز علينا، واستهزأ بنا، وتكبر علينا بغيرنا فلا تظهر له نتائج، ولا بركة، ولا يرفع الله له درجة، ولا تفلح له شجرة، والله ثم والله، لم يربح من عاندنا، و والله، ثم والله من زعم علينا بهواه، وتكبر علينا بأضداده، وأجناده، وبأهل بلده، أرجو الله أن يفقد ماله، وسعيه، وأولاده"[1].

ويحاول أتباع الطريقة العروسية تقديم تبريرٍ لمخالفيهم في استخدام البندير، والحصول على ترخيص باستخدام البندير، ولو من خلال الأحلام، فيقول في الوصية الكبرى: "وقال أستاذنا الدوكالي رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وسألته عن الطريقة العروسية فقال: أنا أولها في الورد، وأنت آخرها، وما بعدك إلى يوم القيامة، إلى أن قال يا عبد الواحد: ارفق بفقيرك عبد السلام، وصرح له بإباحة البندير، فلما أفقت من نومي، فقصصت هذه الرؤيا على أخي زروق، فقال لي مثل ذلك قد وقع لي المرة بعد المرة"[2]. فهل تصح نسبة هذا الهراء للشيخ أحمد زروق؟

جاء في كتاب الوصية الكبرى المنحولة للشيخ عبد السلام الأسمر في باب صفة الصوفي ما نصه: "قال شيخنا أبوراس رضي الله عنه: فقد بني التصوف على الأخلاق الثمانية من الأنبياء (الأول) السخاء وهو لإبراهيم عليه السلام (الثاني) الرضى وهو لإسحاق عليه السلام (الثالث) العزلة وهي ليحيى عليه السلام (الرابع الصبر وهو لأيوب عليه السلام (الخامس) الإشارة وهي لزكريا عليه السلام (السادس) لبس الصوف وهو لموسى عليه السلام (السابع) السياحة وهي لعيسى عليه السلام (الثامن) الفقر وهو لنبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم"[3].

---

1) الوصية الكبرى، ص 66

2) المصدر السابق، ص 67 -68

3) الوصية الكبرى، ص 36.

وهذا النص[1] مقتبس حرفيا دون الاشارة إلى ذلك من الطبقات الكبرى للشعراني والكلام لسيد الطائفة الجنيد.

وجاء في كتاب الوصية الكبرى ما نصه: "أن الولي يعرف الزائر، وإذا سلم عليه رد السلام، وإذا ذكر الله على قبره ذكر، معه ولاسيما إذا ذكر لا إله إلا الله، فإنه يقوم ويجلس متربعا في قبره، ويذكر مع الزائر بأي ذكر كان"[2].

والكلام منسوب للشيخ محمد أبي المواهب الشاذلي وهو منقول من كتاب الطبقات للشعراني"[3].

جاء في الوصية الكبرى ما نصه: "قال بعض المشايخ: "إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد، وإن حصل مدد الزائر بعد الموت أو قضاء حاجة، فهو من الله تعالى، على يد القطب صاحب الوقت يعطي الزائر من المدد على قدر مقام المزور، وقال بعضهم المزور في الحقيقة هي الصفات، لا الذوات، فإنها تبلى، والصفات باقية"[4].

والنص السابق منقول حرفيا من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني، والكلام لشمس الدين الحسن الشاذلي[5].

وجاء في الوصية الكبرى ما نصه: "فريق معتقد وفريق منتقد ومكذب كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام. فأما المكذب لهم، والمنكر عليهم فهو مطرود عن حضرتهم، لا يزيد الله، بذلك إلا بعدا"[6].

والكلام منقول حرفيا من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني وهو لعلي الخواص[7].

1) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول، ص 73. والكلام للجنيد كما جاء في الطبقات ص 72 ونسب على لسان الأسمر لأبوراس.

2) الوصية الكبرى، ص 39.

3) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الثاني، ص 66.

4) الوصية الكبرى، ص 39.

5) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الثاني، ص 92.

6) الوصية الكبرى، ص 47.

7) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول، ص 7.

وجاء في الوصية الكبرى، والكلام للشيخ عبد السلام الأسمر ما نصه: "إخواني، فالعجب العجب من ينكر كرامات الأولياء والصالحين وقد جاءت بها الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحات المشهورات حتى بلغت في الكثرة مبلغا يخرج عن الحصر. قال شيخنا الدوكالي رضي الله عنه: والناس في إنكار الكرامات على أقسام: فمنهم من ينكرها مطلقا، وهم أهل مذهب معروفون، وهم المجسمة ونحوهم، ومنهم من يصدق بكرامات من مضى، ويكذب بكرامات أهل زمانه، وأهل عصره، إلى أن قال رحمه الله كبني إسرائيل، على زعمهم، صدقوا بموسى وعيسى، وكذبوا بمحمد وأصحابه"[1].

والنص السابق منقول حرفيا من الطبقات الكبرى للشعراني والكلام لليافعي رضي الله عنه في كتابه روض الرياحين[2]، ونسب القول للشيخ الدوكالي على لسان الشيخ الأسمر، أي كذبوا عليهما معا، وقد بينا أن الشيخ الأسمر لم يلتق بالدوكالي.

وجاء في الوصية الكبرى ما نصه: "إخواني، فمن لم يسلم لأحد معين لا ينتفع بأحد أبدا، نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، إلى أن قال أستاذنا رحمه الله: الإنكار فرع من النفاق (قلت) وذلك لأن المنافقين لو لم ينكروا على محمد صلى الله عليه وسلم، لآمنوا ظاهرا وباطنا. يا عجباه فكيف ينسب إليهم السحر، والاستدراج، وعمل الشيطان، والصفات المذمومات، فإن قيل إن هذه الكرامات تشبه السحر، فالجواب أن الفرق بين الكرامة ..... حتى بلغوا فيها الدرجة العليا ... إخواني: والمنكرون لو رأوا أحدًا من الأولياء يطير في الهواء لقالوا هذا سحر ...... ففي الحقيقة إنكاره المغيبات"[3].

والنص السابق منقول حرفيا من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني[4] ونسب القول للشيخ الأسمر ومازال الكالم حسب السياق في الطبقات لليافعي.

---

1) الوصية الكبرى، ص 47.

2) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول ص 12.

3) الوصية الكبرى، ص 97.

4) الطبقات الكبرى للشعراني، ج1، ص: 12-13.

وجاء في الوصية الكبرى ما نصه: "إخواني.. فإن المريد مع شيخه على صورة الميت لا حركة فيه، ولا كلام، ولا يتحدث بين يديه إلا بإذنه. أو بذكر خدمة. هكذا كانت طريقة السلف.. فيعجب.. فعليك يا ولدي بطاعة والد السر لأنه أنفع من والد الصلب.. فاستمعوا يا أولادي لوصيتي هذه فتنتفعوا.. إلى أن قال إخواني: فكثير من الفقراء صحبوا مشايخهم حتى ماتوا ولم ينتفعوا منهم لعدم الطاعة والأدب"[1]. وهذا النص منقول من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني والكلام للدسوقي[2] ونسب للشيخ الأسمر.

ومن الأخطاء التاريخية الواضحة التي تبين بجلاء عدم نسبة الكتاب للشيخ الأسمر ما جاء في الوصية الكبرى ما نصه "وإياكم وشرب الدخان ليس منا من شرب الدخان من فم وأنف، وهو عشبة منتنة الرائحة، خسيسة فلا تقربوها، ولا تشربوها، ولو أباحها الشرع. وكان شيخنا الدوكالي ينكرها مطلقا، ويهجر المداومين عليها، ويزجرهم عليها، ويغلظ فيها، ويشدد على أهلها، وكذلك شيخنا أبو رأس ينكرها مطلقا وينكر على أهلها.."[3].

فمن المعلوم تاريخيا أن الدخان لم يدخل إلى الوطن العربي إلا بعد اكتشاف أمريكا، فكيف ينهى الشيخ عبد السلام عنه، وخاصة أنه يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث ينسب كلاما لأبي رأس الذي توفي قبله بعقود. لكن الذي نستنتجه من هذا النص الذي حشر في الوصية، هو أن الوصية الكبرى كتبت بعد اكتشاف أمريكا، والذي كتبها كان متأثراً بواقع المجتمع الذي يعيش فيه وانتشار ظاهرة شرب الدخان، ولذلك أخطأ الدكتور مصطفى رابعة بتعليل بما جاء في الوصية الكبرى معتقدا صحة نسبتها إلى الشيخ الأسمر، ففي كتابه رسائل الأسمر يقول: "وأحسب أن بعض ما يقوله المؤرخون حول انتشار عادة التدخين بأفريقيا والمشرق قد يحتاج إلى إلقاء نظرة أخرى طبقا للإشارات التي أمدتنا بها رسائل الأسمر"[4].

---

1) الوصية الكبرى، ص 49.

2) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول، ص 157.

3) الوصية الكبرى، ص 22.

4) رسائل الأسمر، مصطفى رابعة، ص: 103

إن الإشارات التاريخية الصحيحة كما يحدد المؤرخ محمد حجي بأن عادة التدخين قد وصلت إلى تمبكتو بأفريقيا عن طريق الأوربيين في مستهل القرن الحادي عشر الهجري، ومن هنا حملها السودانيون إلى مراكش عامي 1005هـ – 1006 هـ، ثم دخلوا بها فاس عام 1007 هـ. كما أشار إلى أن المشرق العربي لم تعرفه إلا من خلال أحمد بن المحلى الذي حمله معه من المغرب في رحلته الحجازية بين عامي 1013 هـ – 1014 هـ. ولعله من السهولة بمكان لو بحث دكتور مصطفى رابعة في كتب الفقه التي ناقشت تحريمه لوصل إلى المدة الزمنية لدخول التدخين إلى ليبيا، ولكن اعتقاده بصحة ما في نصوص الوصية، واعتقاده بصحة نسبة الوصية للشيخ الأسمر جعله يلقى بهذه الحقائق التاريخية عرض الحائط ويبحث عن إمكانية تغييرها وتصحيحها لتوافق ما جاء في الوصية الكبرى المشكوك في نسبتها إلى الشيخ الأسمر، بل وصحة وجود كتاب البرموني الذي ذكرها في ذلك الوقت.

النص السابق من وصية الشيخ الأسمر يشير إلى وقوع هذا الخطأ التاريخي ويكشف لنا من جديد أن الوصية كتبت بعد وفاة الشيخ بعقود عديدة، كما ذكرنا، وحققنا في هذا الكتاب، وكذلك بعد وفاة البرموني، كذلك الذي ذكر في كتابه شيئا عن الوصية. إذًا فهي كتبت بعد قرن أو قرنين من الزمان، بعد انتشار التدخين ليصبح عادة في المجتمع الليبي في ذلك الوقت.

النص التالي رأيت نقله بحذافيره، ومقارنته بالمصدر الذي نقل منه، لترى كيف تم صناعة ونسج كتاب الوصية الكبرى ونسبتها للشيخ الأسمر.

جاء في الوصية الكبرى: "إخواني: أوصيكم إذا جلستم مع أهل الدنيا فانصحوهم أن يعاملوا الفقراء، ويتصدقوا عليهم لوجه الله الكريم، وأمروهم برفع الهمة على ما في أيديهم مع تعظيم الآخرة. وإذا جلستم مع أهل الآخرة، فعظوهم بالكتاب، والسنة، وتعظيم دار الآخرة وإذا جلستم مع الملوك، فحدثوهم بسيرة أهل العدل، وآداب العقلاء وبالعفاف عما في أيديهم. وإذا جلستم مع العلماء، فأخبروهم بالروايات الصحيحة في المذاهب المعلومات. وإذا جلستم مع الفقهاء فحدثوهم بالأقوال المشهورة من المختصر، والرسالة بالحق دون اللهو. وإذا جلستم مع أهل الحديث. فحدثوهم الأخبار الصحيحة، وبالناسخ، والمنسوخ، وبالمطلق، والمقيد، والعام، والخاص. وإذا جلستم مع

الصوفية، فحدثوهم بما يشهد لعلومهم الظاهرة، والباطنة، وبما يشهد لأحوالهم، وزهدهم في الدنيا والآخرة ... إلى أن قال وإذا جلستم من العارفين بالله، فحاضروهم بما شئتم .... إن كان خيرا وإن شرًا فشر"[1].

والآن قارن النص السابق بما جاء في كتاب الطبقات الكبرى للشعراني والكلام لأبي المواهب[2].

وهذا نص الطبقات الكبرى للمقارنة: "إذا جالست أهل الدنيا فحاضرهم برفع الهمة على ما بأيديهم مع تعظيم الآخرة وإذا جالست أهل الآخرة فحاضرهم بوعظ الكتاب وآداب السنة وتعظيم دار البقاء وإذا جالست الملوك فحاضرهم بسيرة أهل العدل، وسياسة العقلاء مع حفظ الأدب معهم والعفاف عما بأيديهم. وإذا جالست العلماء فحاضرهم بالروايات الصحيحة والأقوال المشهورة في المذاهب المعلومة بالحق دون الهوى مع الانصاف لهم في القول والفهم المبتكر، اذا وافق الصواب مع عدم الجدال والمراء المظهر لحب العلو عليهم وإذا جالست الصوفية فحاضرهم بما يشهد لأحوالهم الحقانية.."[3].

وجاء في الوصية الكبرى في باب (فوائد مختلفة ومنافع) ما نصه: "إخواني: إذا أردتم الصدق في القول فاكثروا من قراءة (إنا أنزلناه في ليلة القدر) إلى آخرها، وإن أردتم الإخلاص؛ فاكثروا من قراءة (قل هو الله أحد ... الخ) وإذا أردتم تيسير الرزق فاكثروا من قراءة (قل أعوذ برب الفلق) وسورة الواقعة وإن أردتم السلامة من الشر فأكثروا من قراءة (قل أعوذ برب الناس ...) وأقل الإكثار سبعون مرة في كل يوم إلى سبعمائة"[4]. والنص نسخ حرفيا من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني[5].

1) الوصية الكبرى ص 32.

2) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الثاني، ص 66.

3) المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 66.

4) الوصية الكبرى، ص 55.

5) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الثاني، ص 9.

وجاء في الوصية الكبرى قوله: "إخواني: إذا توجهت لشيء في عالم الدنيا والآخرة فقولوا يا عزيز يا عليم يا قدير يا سميع يا بصير"[1].

والنص السابق منقول من الطبقات الكبرى للشعراني[2]. وجاء في الوصية الكبرى في تعظيم أهل المعرفة ما نصه: "إخواني: فعليكم بمعرفة العارفين بالله فهم خزائن الله أودع الله تعالي فيهم ..... وكان شيخنا الدوكالي رضي الله عنه يقول في قوله تعالي (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) .... (إلى أن قال) وكشف له عن الجلال والعظمة"[3]. والكلام منقول من كتاب الطبقات للشعراني[4].

وجاء في الوصية الكبرى ما نصه: "الزاهد هو الذي يتم زهده بفعله والمتزهد هو الذي يقيم زهده بلسانه وأطال في ذلك رضي الله عنه"[5].

والكلام منقول من الطبقات الكبرى للشعراني[6]. مع استبدال كلمة يكون بكلمة يقيم.

وجاء في الوصية ما نصه: "إخواني: خصلتان يبعدان العبد من ربه، أداء نافلة مع تضييع فريضة، وعمل بالجوارح من غير صدق"[7]. والكلام منقول حرفيا من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني[8].

وجاء في الوصية ص 59 ما نصه: "من ادعى ثلاثة بغير ثلاثة فهو كاذب: الأول من أدعى خشية من غير ورع من محارمه فهو كاذب. الثانية من ادعى حب الجنة من غير إنفاق مال في طاعة الله فهو كاذب. الثالثة من ادعى محبة النبي صلى الله عليه

---

1) الوصية الكبرى ص 55.

2) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الثاني، ص 9.

3) الوصية الكبرى، ص 57-58.

4) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول، ص 75.

5) الوصية الكبرى، ص 58.

6) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول ص 65.

7) الوصية، ص: 58.

8) الطبقات الكبرى للشعراني، ص 64.

وسلم من غير محبة أصحابه وآله والفقراء من أمته فهو كاذب"[1]. والكلام منقول حرفيا من كتاب الطبقات الكبرى للشعراني.

ونسب للشيخ الأسمر في الوصية ص 59 ما نصه: "وإياكم وحب الدنيا واتباعها فاجتنبوها فإنها تهرب من الطالب لها وتطلب الهارب منها، فإن أدركت الهارب منها جرحته وإن أدركها الطالب لها قتلته". والنص السابق مع إضافة الخطاب للشيخ الأسمر وهو لسليمان الداراني نقل من الطبقات للشعراني ص 68.

ونسب في الوصية للشيخ الأسمر ص 59 ما نصه: "إخواني: ما رأيت أحبط للأعمال ولا أفسد للقلوب ولا أسرع في الهلاك ولا أشد في الإضرار ولا أقرب من المقت من الرياء والعجب والرياسة وذلك من قلة معرفة العبد لنفسه ونظره في عيوب الناس". والنص السابق نقلا حرفيا من الطبقات ص 64 و نسبته للشيخ الأسمر.

وجاء في الوصية ص 66 ما نصه: "يأتي زمان بطرابلس تكون فيها الدولة للحمقى والأراذل على أهل العقول والأكابر من ذلك الزمان". مع إضافة "طرابلس" للنص ونقل باقي النص من الطبقات للشعراني ص 62.

وجاء في الوصية ص 69 ما نصه: "وذلك لعلو مقامهم وذوقهم على غالب العقول، ولكن لكمالهم لا يتغيرون كما لا يتغير الجبل بنفخة الناموسة". والنص منقول حرفيا من الطبقات[2].

وجاء في الوصية ص 69 ما نصه:" طرق القوم، هي مشيدات بالكتاب والسنة وأنهما مبنيات على سلوك أخلاق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء والأصفياء، وأنهم لا يذمهم الشرع إلا إذا خالفوا صريح الكتاب والسنة لا غير، وأما إذا لم يخالفوا ذلك فغاية الكلام الذي ينطق به أهل الله أنه فهم ووهب من الله وعلم لدني". والنص مطابق لما في الطبقات الكبرى[3].

---

1) النص متطابق مع ما جاء في الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول، ص 69.

2) الطبقات الكبرى، الجزء الأول ص: 3.

3) الطبقات الكبرى، الجزء الأول، ص: 4.

والآن تأمل في النص الوارد في الوصية في صفحة 69–70 :" واعلموا أيها الإخوان أن علم التصوف عبارة عن علم تقدم له من ذلك علوم وآداب وأسرار وأنوار ظاهرة وباطنة، وحقائق يعجز الإنسان عنها نظير ما تقدم لعلماء الشريعة من الأحكام ، حين عملوا بها علموا من أحكامها. والتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا عمله من العلل وحظوظ النفس، كما أن علم المعاني والبيان زبدة علم النحو. قال بعضهم فمن جعل علم التصوف علما مستقلا صدق، ومن جعله من جملة علم الشريعة صدق، لكن لا يعرف إلا عن ذوق؛ ولا خلاف أن علم التصوف متفرع من علم الشريعة. ولا يعرفه إلا من تبحر في علم الشريعة حقاً وبلغ الغاية. ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيها أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداب ومحرمات ومكروهات وخلاف أولي نظير ما فعله المجتهدون. فكما يصيب المجتهد باجتهاده بما لم تصرح به الشريعة، فكذلك ولي الله يستنبط الأحكام في الطريق بما لم تصرح به الشريعة، فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى على الشريعة. وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هى التي وصلتهم إلى الله عزوجل في كل لحظة، ولكن هذا جهل. وأصل استغراب من لا له إلمام بأهل الطريقة أن علم التصوف من غير الشريعة كونه لم يتبحر في علم الشريعة، ولذلك قالت المشايخ علمنا هذا مستنبط بالكتاب والسنة ردا على من توهم خروجه عنها في ذلك الزمان أو غيره، وقد أجمع القوم على أن الجاهل من أهل الله لا يصلح للتصدر في طريق الله عز وجل ولا يصلح إلا من تبحر في علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهوّمها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها وتبحر في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك فكل صوفي فقيه ولا عكس. وبالجملة فلا ينكر أحد أحوال الصوفية إلا من جهل حالهم. وكان شيخنا رحمه الله يقول: لم يكن عصر في مدة الإسلام وفيه شيخ من هذه الطائفة إلا وأئمة ذلك الوقت قد سلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتباركوا به، إلى أن قال: ولولا مزية وخصوصية القوم لكان الأمر بالعكس."[1]. والنص السابق تشابه شبه حرفي مع ما جاء في طبقات الشعراني في مقدمة الكتاب صفحة 4.

1) الوصية، ص 69-70.

يستمر مفتري الوصية بعد ترك بضعة جمل من مقدمة الشعراني ليستمر في نقل النص التالي مع استبدال اسم "شيخنا الشيخ محمد المغربي الشاذلي" واستبدله بقوله: "وكان صفينا أبو راس يقول" في تزوير واضح للوصية وصناعتها.

والنص يبدأ بقوله: " إخواني: إذا لم يكن للفقيه علم بأحوال القوم واصطلاحاتهم فهو جاف وكنت أسمع الكثير من أهل هذه الطريقة يقولون الاعتقاد ولاية والاعتراض جناية. وكان صفينا أبو راس يقول: أتبع ساداتك من القوم وإن قلوا وإياك والجاهلين بطريقهم وإن جلوا، وكفى شرفا لعلم القوم قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام: هل أتبعك على إن تعلمني مما علمت رشدا) وهو أعظم دليل على وجوب طلب الحقيقة كما يجب طلب علم الشريعة، وكل عن مقامه يتكلم، ولا شك أن الرجل لا يتكلم في مقام العلم حتى يكون علمه من الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ، فإن من كان علمه مستفادا من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ من المحدثات وذلك معلول عند أهل الله عز وجل، ومن قطع عمره في معرفة المحدثات وتفاصيلها فاته حظه من ربه عزوجل، لأن العلوم المتعلقة بالمحدثات يفنى الرجل عمره فيها ولا يدرك حقيقتها، ولو أنك يا أخي سلكت على يد شيخ من أهل الله عز وجل لوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى فتأخذ منه العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح من غير تعب ولا نصب

ولا سهر كما أخذه الخضر عليه السلام، ولا علم إلا ما كان عن علم وشهود لا عن نظر أو فكر وظن ونحوه"[1].

والنص السابق نقل شبه حرفي من الطبقات الكبرى للشعراني من مقدمة الكتاب صفحة 5.

معظم ما نسب للشيخ الدوكالي في الوصية على لسان الأسمر رحمه الله مقتبس حرفيا من عدة نصوص من كتاب الطبقات فمثلا جاء في الوصية:

"ومن أقبل على الآخرة وركن إليها أحرقته بنورها وصار سبيكة ذهب ينتفع بها. ومن أقبل على الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهر لا قيمة له"[2].

---

1) الوصية ص: 70.

2) الوصية ص: 72.

والنص السابق منقول حرفيا من الطبقات الكبرى، الجزء الأول، صفحة 104.

"أقبح من كل قبح عروسي شحيح"[1]. والجملة منقولة من الطبقات صفحة 106 مع استبدال كلمة صوفي بعروسي. من الواضح أن منتحل الوصية مازال ينقل من الطبقات وينسب للشيخ الدوكالي رحمه الله.

"وقال[2] رضي الله عنه: الفقراء أشراف الناس لأن الفقر لباس المرسلين وجلباب الصالحين وتاج المتقين وغنيمة العارفين ومنة المريدين ورضاء رب العالمين"[3]. والنص منقول من الطبقات للشعراني، الجزء الأول صفحة 121. والكلام للشيخ الرفاعي وتم اقتباسه ونسبته للدوكالي على لسان الأسمر.

"وقال رضي الله عنه: من استولت عليه نفسه صار أسيرا في حب الشهوات، محصورا في سجن الهوى، وحرم الله على قلبه جميع الفوائد فلا يستلذ بكلام الله، ولو قرأ كل يوم ختمة لان الله تعالي يقول: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) يعني أحجبهم ع فهمها وعن التلذذ بها، وذلك لانهم تكبروا بأحوال النفس والدنيا صرف الله عز وجل عن قلوبهم فهم مخاطبته، وسد عليهم فهم طريق كتابه، وسلب عنهم الانتفاع بمواضعه وحبسهم في سجن عقولهم فلا يعرفون طريق الحق ولا يعرفونه بل ينكرون على اهل الحق ويحرفون كلامهم إلى معان لم يقصدوها"[4].

والنص السابق نقل حرفيا من الطبقات الكبرى، الجزء الأول صفحة 81، وأصل الكلام لأبي محمد الجريري ونسب للشيخ الدوكالي على لسان الأسمر وهذا يؤكد أن الأسمر لم يلتقي بالدوكالي كما تجد بيان ذلك في هذا الكتاب.

ينتقل مفتري الوصية عدة أسطر من نفس الصفحة السابقة 73 من الطبقات الجزء الأول ليقتبس كلاما لأبو محمد الجريري وينسبه للشيخ الدوكالي على لسان الأسمر: "وقال رضي الله عنه – يقصد الشيخ الدوكالي– من قرأ القرآن بقصد الدرجات في الجنة فقد رضي بالقليل بدلا عن الكثير، لأن الجنة مخلوقة،

---

1) الوصية ص: 72.

2) هنا يقصد الشيخ الأسمر عن الشيخ الدوكالي كما هو واضح في النص.

3) الوصية ص: 72.

4) الوصية، ص: 72-73.

والقرآن ليس بمخلوق، ومعظم الفائدة في قراءة القرآن إنما هو وجود الرب سبحانه وفهم خطابه، فكيف بمن يطلب بقراءته عوضا من الدنيا ومن فعل ذلك فقد فاته خير القرآن كله"[1].

ثم يقتبس النص التالي حرفيا من الطبقات للشعراني، الجزء الأول، صفحة 152 وينسبه للدوكالي على لسان الأسمر:" وقال رضي الله عنه –يقصد الدوكالي – الغيبة فاكهة القراء وضيافة الفساق وبستان الملوك ومراتع النسوان ومزابل الأتقياء"[2].

ثم يقول الأسمر حاكيا عن شيخه الدوكالي: "لا تنكروا على فقير حاله ولا لباسه ولا طعامه ولا شرابه ولا على أي حالة كان. إلى أن قال: ولا إنكار على أحد إلى إن ارتكب محظورا صرحت به الشريعة والسنة المطهرة لأن الإنكار يورث الوحشة والوحشة سبب لانقطاع العبد عن ربه عز وجل فإن من الناس خاصا وخاص الخاص، ومبتدى ومنتهى، ومتحقق ومتشبه، ويرحم الله البعض بالبعض"[3]. والنص السابق اقتبس حرفيا من الطبقات للشعراني، الجزء الأول، صفحة144 ونسب للشيخ الدوكالي على لسان الأسمر، وأصل الكلام لإبراهيم الدسوقي كما ينقل الشعراني في طبقاته.

ثم يقول الأسمر في الوصية حاكيا عن الشيخ فتح الله بوراس :"وكان من اخلاقه على جلالة قدره أن يقف مع الصغير والكبير والحقير والجارية وغيرهم ويجالس الفقراء ويبشرهم ويكرمهم الاكرام الطيب، ويفلي ثيابهم وكان لا يقوم لأحد من أرباب الدولة والظلمة والجبابرة قط ولا وقف بباب سلطان ولا وزير "[4]. والنص منقول حرفيا من كتاب الطبقات للشعراني من الجزء الأول صفحة 110. وهنا ينسب لأسمر انه يصف بوراس ولكن في الحقيقة أن الكلام لعبد القادر الجيلي ينقله الشعراني في طبقاته.

---

1) الوصية، ص: 73.

2) المصدر السابق، ص: 73.

3) الوصية، ص: 73.

4) الوصية، ص: 74.

وجاء في الوصية[1] : " كنت أنا واولياء الله تعالى أشياخا في الازل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان اجتماعنا على الدرة البيضاء وفي قاب قوسين فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اخلع على جميع العلماء والاولياء فخلعت عليهم ولم يحتجب علي منهم واحد سواء كان حيا أو ميتا او آتيا لم يزدد. قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فتح الله يا أبا راس يا قيرواني، أنت نقيب عليهم فكنت أنا ورسول الله وشيخي أبو تليس وسيدي ابن عروس وسيدي إبراهيم بن أدهم، إلى أن قال لي رسول الله صلى اله عليه وسلم: يا فتح الله يا أبا راس سر إلى مالك وقل له يغلق أبواب النيران: وسر إلى رضوان وقل له يفتح الجنان". والنص السابق نقل من الطبقات للشعراني من الجزء الأول صفحة 157 مع تغيير أسماء إبراهيم وعبدالقادر والرفاعي واستبدالها بأبي تليس وابن عروس وإبراهيم بن ادهم ونسبة الكلام كله لفتح الله أبو راس.

وتنسب في نهاية الوصية تنبؤات(2) للشيخ الأسمر عن القرن الحادي عشر يتحدث فيها عن يحيى الكذاب والسنوات التي بعده، ولا تحتاج هذه النصوص إلى كثير عناء لتفنيده وعدم صحة نسبتها للشيخ الأسمر، لكنها تشير إلى أن الوصية نحلت للشيخ الأسمر بعد وفاته.

وخلاصة القول فإن معظم نصوص كتاب الوصية نقلا من الطبقات للشعراني وغيرها من الكتب السابقة له ونكتفي بهذه النصوص ونترك للباحث ليكمل رحلة البحث عن باقي النصوص. وسيصل الباحث أن هذه الوصية كتبت بعد الشيخ الأسمر مع إضافة كالعادة كلمة "إخواني" ونسبت له كما نسبت له العديد من الافتراءات.

إن الأمثلة السابقة تبين دون أدنى شك أن كتاب الوصية الكبرى كتب بعد وفاة الشيخ الأسمر بقرنين على الأقل ثم نسبت له، وبعض النصوص ألحقت ببعض مخطوطات الكتاب بعد عام 1923م، كما تبين بعض النصوص ذلك، فمثلا

1) الوصية، ص: 76.

2) مازال بعض مدعي التصوف أمثال قفة الصلاح وغيره في بلادنا من ينشر هذه الخرافات ويقيم لها مراكز لتغييب العقول ونشر خرافات تتصادم مع آيات القرآن الكريم، ومازال لها مريدون وأتباع يعشقون الخرفات والأساطير.

الحديث عن متصوفة من الهند[1] مثل صدر الدين الناكوري، ونصر الدين الأودهي، والشيخ فريد الدين الشكركنجي، وورودها في الوصية وهي لم يترجم لها من الأردية إلى العربية إلا مع بداية القرن التاسع عشر دليل على صناعة بعض نصوص الوصية حديثا، ومما يؤكد ذلك أن التاجوري لم يذكر نصوص هذه الوصية التي حققنا بطلان نسبتها للشيخ الأسمر. ولم تكن هذه النصوص متاحة في عصر الشيخ الأسمر باللغة العربية. لكن الخيال والشطح الصوفي "لقفة الصلاح" في كتيبه "قراءات جديدة في سيرة مجدد القرن العاشر الهجري"[2] له تفسير عجيب، فهو يفسر وجود هذه الأسماء في الوصية الكبرى للأسمر أن الشيخ الأسمر كان يتقن العديد من اللغات منها اللغة الهندية، وعلاوة على ذلك كانت تدرس بزاويته لغات أخرى اعتمادا على كتاب "المنح البهية" الذي لا شك في عدم صحة نسبته للشيخ الأسمر، والشطح الذي ورد به يفوق الخيال ويتصادم مع المعلوم من الدين بالضرورة، ولا يصدقه العقلاء كما بينا في نقدنا لخرافات أسامة بن هامل في كتيبه "قفة الصلاح".

حقيقة نسبة الرسائل إلى الشيخ الأسمر

تمثل قضية نسبة النصوص إلى أصحابها واحدة من أهم القضايا المنهجية في البحث التاريخي الصوفي، وخاصة عندما يتعلق الأمر بشخصيات دينية وصوفية لها مكانتها في الوجدان الشعبي. ويأتي هذا العنوان ليسلط الضوء على مجموعة من الرسائل المنسوبة إلى الشيخ عبد السلام الأسمر (880هـ–981هـ)، والتي وردت في مخطوط "روضة الأزهار" في نسخة أبي زبيدة تحديدًا، دون غيرها من النسخ وخاصة أنها النسخة التي وردت فيها كاملة كما يقول الدكتور مصطفى رابعة.

إن الفحص الدقيق لهذه الرسائل من حيث السياق التاريخي، والأسلوب اللغوي، وطبيعة المرسل إليهم، وغياب الإسناد الموثق، وسيرة الشيخ الأسمر الحقيقية،

1) ورد عدة أسماء لشخصيات هندية في الوصية الكبرى، ص:62. كما وردت أسماء هؤلاء الاعاجم في كتاب: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي المتوفى: 1341هـ، دار ابن حزم - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1999م.

2) قراءات جديدة في سيرة مجدد القرن العاشر الهجري، أسامة بن هامل، ص 41

والكتب التي بيّنا بجلاء أنها نسبت له، كل ذلك يكشف عن مجموعة من الإشكاليات المنهجية والتاريخية التي تثير شكوكًا جدية حول أصالة هذه النصوص ونسبتها للشيخ الأسمر. هذا التقرير يقدم تحليلًا نقديًا شاملًا يستند إلى معايير النقد الأدبي والتاريخي وطريقة صياغتها لإثبات أن هذه الرسائل منحولة ومختلقة في فترة متأخرة عن حياة الشيخ.

نكتشف من خلال دراسة رسائل الأسمر إلى مريديه أن الافتراءات تستمر على الشيخ عبد السلام الأسمر إلى ما بعد منتصف القرن الثاني عشر الهجري، حيث تنسب له مجموعة من الرسائل تحت عنوان: "رسائل الأسمر إلى مريديه"[1]. وهذه الرسائل تطرح العديد من التساؤلات عن الهدف من نسبة الرسائل للشيخ الأسمر، وكيف كتبت، ومتى كتبت، ومن كتبها، وكيف جمعت في بعض نسخ البرموني، وغابت عن نسخ أخرى، ولماذا غابت عن الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري ولم يضمنها في كتابه فتح العليم، وهل تصح نسبتها إلى الشيخ عبد السلام الأسمر؟. نذكر القارئ أن الرسائل لم تجتمع كاملة إلا في نسخة آل بوزبيدة وهي حديثة النسخ والأرجح حتى التأليف ولم يذكر الناسخ أصل النسخة التي نقل عنها؟. أما نسخة مركز دراس جهاد الليبيين وهي مسجلة تحت رقم (810) وقد أضيفت لها بضعة أوراق من نسخة أخرى[2].

الإشكاليات المخطوطية والنسخية لرسائل الأسمر

أولا: غياب الرسائل من النسخ الأقدم

تعد هذه الإشكالية واحدة من أخطر القرائن على عدم أصالة الرسائل. فالرسائل المنسوبة للشيخ الأسمر لا توجد إلا في نسخة أبي زبيدة كاملة في "روضة الأزهار"، وهي نسخة متأخرة زمنيًا عن النسخ الأخرى المعروفة. هذا الغياب التام للرسائل من النسخ الأقدم والأكثر موثوقية يطرح تساؤلًا جوهريًا: كيف يمكن لنصوص بهذا الحجم والأهمية أن تغيب تمامًا عن المخطوطات الأولى ثم تظهر فجأة في نسخة متأخرة دون أن يذكر الناسخ تاريخ المخطوط الأصلي الذي نسخ منه؟

1) رسائل الأسمر إلى مريديه، جمع وتحقيق د. مصطفى رابعة، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، 2003م.

2) تحتاج كل المخطوطات التي نسبت للشيخ الأسمر إلى إعادة قراءة بسبب وجود إضافات وتعديل وحذف في النسخ كما سنبين في فصول الكتاب.

من المعروف في علم تحقيق المخطوطات أن النسخ الأقدم تحظى بمصداقية أكبر، خاصة إذا كانت أقرب زمنيًا إلى المؤلف الأصلي. وإذا كانت هذه الرسائل جزءًا أصيلًا من تراث الشيخ الأسمر، فمن المفترض أن تكون موجودة في جميع النسخ، أو على الأقل في أقدمها. لكن الواقع يشير إلى العكس تمامًا، مما يدل على أن هذه الرسائل أُدخلت على المتن في مرحلة لاحقة من قبل نساخ متأخرين أو محررين أرادوا إثراء النص بمواد إضافية.

ثانيا: غياب الرسائل من كتاب "فتح العليم" لعبد السلام بن عثمان التاجوري

يزيد من قوة هذه الحجة أن كتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم" لعبد السلام التاجوري، وهو من أهم المصادر المبكرة عن الشيخ الأسمر، لم يذكر هذه الرسائل مطلقًا. التاجوري كان قريبًا من عصر الشيخ الأسمر، فبين وفاة الأسمر وولادة التاجوري 76 سنة تقريبا، وكان شديد الاهتمام بجمع كل ما يتعلق بسيرة جده الشيخ عبد السلام الأسمر ومناقبه. فكيف يعقل أن يفوته ذكر هذه المجموعة الضخمة من الرسائل التي يُفترض أنها كانت معروفة ومتداولة في عصره؟

هذا الغياب التام من مصدر بهذه الأهمية يشكل قرينة قوية على أن الرسائل لم تكن موجودة في الفترة التي كتب فيها التاجوري كتابه، وأنها اختُلقت في وقت لاحق ونُسبت للشيخ الأسمر.

إشكالية حفظ نسخ الرسائل

تطرح الرسائل إشكالية منهجية أخرى تتعلق بعملية حفظها. فالمفترض بحسب النص أن الشيخ الأسمر كتب هذه الرسائل وأرسلها إلى مريديه، لكن النسخ الكاملة لجميع الرسائل موجودة فقط في مخطوط واحد (نسخة أبي زبيدة). هذا يعني أحد احتمالين: إما أن الشيخ الأسمر كان يحتفظ بنسخة من كل رسالة يكتبها (وهو أمر غير معتاد في القرن العاشر الهجري حيث كان الورق نادرًا وثمينًا ولم يكن هناك اهتمام بعلم الأرشفة وحفظ نسخ من الرسائل بما فيها الدولة العثمانية في ذلك الوقت في زليتن فقد كانوا يكتفون بكتابة وثيقة واحدة في العهد

العثماني الأول وفي أهم الوثائق العقارية[1]، أو أن هذه الرسائل جُمعت من المرسل إليهم.

الاحتمال الأول مستبعد لعدة أسباب: أولًا، لم تكن ثقافة الأرشفة وحفظ نسخ المراسلات سائدة في ذلك العصر خاصة في البيئة الصحراوية الليبية وفي القرن العاشر الهجري لم نجد ذلك إلا عند ولادة الدولة العثمانية وكانت تحفظ عناوين الرسالة وبعض مضمونها وتاريخها تحت مسمى دفتر مهمتي. ثانيًا، الورق كان نادرًا ومكلفًا، فكيف يُعقل أن يكتب الشيخ كل رسالة مرتين؟ ثالثًا، لو كان هناك أرشيف للشيخ يحتوي على نسخ رسائله، لكان البرموني أو غيره من المؤرخين قد أشاروا إلى ذلك صراحة.

أما الاحتمال الثاني أن الرسائل جُمعت من المرسل إليهم، فهو أيضًا مستبعد، إذ لم يُذكر أن أحدًا من هؤلاء المريدين احتفظ بنسخة من الرسائل التي وصلته، ولا توجد أي إشارة تاريخية إلى عملية جمع منظمة لهذه الرسائل. بل الأدهى من ذلك أن معظم الشخصيات المرسل إليها مجهولة تاريخيًا ولا أثر لها في كتب التراجم ومن ذكر منهم لم يثبت تاريخيا من خلال سيرته أنه التقى بالشيخ الأسمر.

وقبل البحث في صحة نسبة هذه الرسائل إلى الشيخ عبد السلام الأسمر، نعطي القارئ نبذة عن السيرة الذاتية لهؤلاء الذين أرسلت لهم هذه الرسائل.

الرسالة الأولى أرسلت إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني وهو شخصية مجهولة. ولذلك لم يجد الدكتور مصطفى رابعة ما يكتبه عن هذه الشخصية إلا تعليق على أن لقبه "الفزاني" نسبة إلى فزان، وهذه الرسالة لا توجد لها نسخة خطية إلا في كتاب روضة الأزهار، سواء في نسخة أبي زبيدة، أو نسخة مركز الدراسات التاريخية بطرابلس.

أما الرسالة الثانية فهي مرسلة إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي وهو شخصية مجهولة كذلك. ولذلك لم يعلق د. مصطفى رابعة شيئا عن هذه

1) استطاع أسامة بن هامل صاحب قفة الخرافة أن يستنتج من خرافة أن للشيخ الأسمر أربعين كاتبا نقلا عن كتاب منحول لشخصية خرافية أسمه عبد الرحمن المكي نسبت له خرافات عن الشيخ الأسمر ومن البرموني المنتحل كذلك أن مكتبة الشيخ الأسمر كان بها نساخ وأرشفة ولعله في كتاب قادم سيخبرنا أنه أول من أسس لأرشفة المكتبات في ليبيا. كتاب قراءات جديدة في سيرة مجدد القرن العاشر الهجري، ص 149 – 150.

الشخصية، سوى أن عبد الحميد الغدامسي لقبه نسبة لواحة غدامس ومصدرها من نفس المصادر التي وجدت بها الرسالة الأولى، ولم يذكر البرموني في كتابه شديد العناية بالأمور الدقيقة الأخرى متى التقى بالفزاني، أو الغدامسي، أو بقية المريدين الذين تلقوا رسائل من الشيخ الأسمر وكيف تحصل على فحوى هذه الرسائل، هل مشافهة أم التقى بكل مريد من المريدين الذين أرسلت لهم هذه الرسائل.

رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي وهو كغيره مجهول، ورسالة إلى راشد بن يحى المحجوبي، وهو شخصية مجهولة لم يعلق عليها مصطفى رابعة سوى أن انتمائه لقبيلة المقارحة[1]، ورسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي حيث علق مصطفى رابعة عليه فقال مستندا على "تنقيح روضة الأزهار"[2] وأخذ من نفس المصدر الذي أخذ منه الشيخ الطاهر الزاوي حيث قال: وهو من علماء الزاوية ولد بالحرشة سنة 914 هـ وفي سنة 968 هـ التقى بالشيخ الأسمر[3].

رسالة إلى أصحابه بالزاوية وهم أحمد بن عبد الحميد المشهور ببحر السماح اليربوعي، وعبد الحميد بن عبد الله الكمودي المشهور بضو الهلال وأبو اسحاق إبراهيم بن علي العوسجي.

رسالة إلى عبد الرحمن بن ساعد، وعلي بن محمد أبو سلامة بمدينة غريان والغريب في الرسالة لا تذكر أسماء من أرسلت إليهم. والبداية إلى من أكرمهم الكريم ولا يفارقهم النعيم المقيم.

والرسالة الثامنة بعنوان: رسالة إلى أصحابه بمدينة طرابلس الغرب وهم تسعة عشر اسمًا معظمها شخصيات مجهولة، ومن الأسماء التي ذكرت في المرسل لهم :علي بن مصطفى الخروبي. والتحقيق التالي يبين افتراء لقاء الشيخ الأسمر بعلي بن مصطفى الخروبي الطرابلسي.

---

1) وهو خطأ وقع من الدكتور بن رابعة، لكونه منتميا لقبيلة المحاجيب، من أحفاد الشيخ حامد المحجوب الصرماني سكنا، الذي هو شقيق الشيخ إبراهيم المحجوب صاحب الزاوية الشهير بمصراتة.

2) رسائل الأسمر ...، مصطفى رابعة ص: 149.

3) أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، 2004م، ص: 208.

مراسلة الأسمر لوالد أبي عبد الله الخروبي: تحقيق في صحة النسبة

ينسب البرموني في مخطوط أبي زبيدة إلى الشيخ عبد السلام الأسمر أنه بعث برسالة إلى جماعة من أصحابه بطرابلس، وعدّ من بينهم عليّ بن مصطفى الخروبي، والد أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي. وهذه النسبة، على شهرتها في بعض المصنفات المتأخرة، لا تصمد أمام محاكمة زمنية دقيقة، ونرى بطلانها لعدة اعتبارات تتضافر فيما بينها: زمنية، وسندية، وداخلية نصية.

استقرّ الدكتور عبد الحميد الهرامة، في كتابه "شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي"[1]، على ترجيح مولد محمد بن علي الخروبي سنة 888 هـ، اعتمادا على ما رواه الخروبي نفسه في مخطوطة شيوخه من لقائه بالشيخ عبد النبي الجبالي مبعوثا من الشيخ ابن زيتون الفاسي، وهي حادثة استخرج منها الهرامة تاريخا مضبوطا نسبيا. وقد تباينت الأقوال في مولد الخروبي بين الهرامة ومحمد أبي شنب وإبراهيم رفيدة، فتراوحت بين سنتي 880هـ و 888هـ، وأقربها إلى الصواب – في تقديرنا كما في تقدير الهرامة – هو سنة 888هـ، لدقة الحادثة التي بُني عليها الاستنتاج مقارنة بالتقديرات الأخرى القائمة على قرائن أعم.

وأيا كان الرأي المعتمد، فإن هذا التاريخ يضع محمد الخروبي أصغر من الشيخ الأسمر – المولود سنة 880هـ يقينا كما استقر عليه مترجموه – بثمانية أعوام على أبعد تقدير، بل قد تصل الفجوة إلى تزامن تام في المولد إن أُخذ بأدنى التقديرات. والمهم في المقام أن سيرة محمد الخروبي نفسه تحفظ لنا معطى حاسما: أن والده عليا لم تطل به الحياة بعد ولادته، وأنه توفي وترك أبناءه أطفالا صغارا. ودليل ذلك ما يرويه الخروبي عن أمه زهرة بنت محمد البوديكي، من أن الشيخ أحمد زروق – رحمه الله – كان بعد وفاة الوالد يخاطبه وإخوته قائلا: "يا أولاد السريديكه...". وهذا نص صريح في أمرين: أن عليا الخروبي كان قد توفي وأولاده لا يزالون صغارا يُخاطَبون بهذا النداء التودّدي الذي لا يُقال لبالغين، وأن

1) شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي، عبد الحميد الهرامة، ص: 10.

أحمد زروق كان حيا يزورهم بعد تلك الوفاة. وأحمد زروق معلوم الوفاة يقينا سنة 899هـ.

فلو تكرمنا في التقدير ومنحنا أقصى مهلة ممكنة – وهي عشر سنوات بين مولد محمد الخروبي ووفاة أبيه، وهو تقدير سخي جدا لا يقتضيه لفظ "أولاد السريديكه ... الخ" الذي يستدعي صغر سن أوضح – فإن وفاة علي الخروبي تقع في حدود سنة 889هـ -898هـ على أبعد تقدير، وهو ما يجعل الشيخ الأسمر، المولود سنة 880هـ، في سن لا تتجاوز الثامنة عشرة حين وفاة الرجل الذي يُزعم أنه بعث إليه برسالة "لأصحابه". والسؤال الذي لا جواب عنه: متى ذاع صيت الأسمر وانتشرت طريقته وتكوّنت له شبكة "أصحاب" في طرابلس بهذا العمر المبكر، قبل أن يكمل بعدُ سبع سنوات الأخذ عن شيخه عبد الواحد الدكالي وقبل أن يجمع الثمانين شيخا الذين عُرف بالأخذ عنهم؟ وكيف تعرّف على علي الخروبي أصلا ليكاتبه أو يكاتب "أصحابه" وهو بعدُ في مقتبل طلبه، بل ربما كان الرجل قد توفي أصلا في الفترة نفسها التي ينبغي أن يكون فيها الأسمر لا يزال طالبا مغمورا؟ والملاحظ أنه حتى لو أخذنا بأدنى تقديرات مولد الخروبي (880هـ) بدل تقدير الهرامة الأدق (888هـ)، فإن الإشكال لا يرتفع بل يزداد حدة، إذ تتقلص الفجوة الزمنية بين الشيخين إلى التزامن التام، فيغدو الزعم بأن الأسمر خاطب أباه بصفة شيخ متبوع أشد استحالة.

يُضاف إلى هذه الاستحالة الزمنية أن النسبة نفسها واهية من جهة طريق وصولها إلينا: فهي لا تُروى عن الأسمر مباشرة، ولا عن معاصر شهد إرسال الرسائل، وإنما تنقلها إلينا طبقة متأخرة عبر البرموني، ناقلا عن مخطوط أبي زبيدة، أي أن بيننا وبين الواقعة المزعومة وسائط لا تُعرف درجة ضبطها ولا مصدر معلوماتها الأول. وهذا انقطاع في السند التاريخي يوازي ما يُعرف في نقد الرواية بـ"الإعضال" أو "الانقطاع"، ولا يجوز معه الاطمئنان إلى نسبة قول أو فعل إلى شخص متوفى دون سند متصل يثبته، فكيف إذا صادم هذا النقل استحالة زمنية موثقة بشهادة صاحب السيرة نفسه؟

يزيد الشك رسوخا ما تنفرد به هذه الرسائل من خلوّها التام من أي إشارة تاريخية، لا في مقدمتها ولا في خاتمتها، وهو أمر يخالف العرف الدبلوماسي المتبع في المراسلات العلمية والصوفية في القرن العاشر الهجري، إذ جرت العادة أن تُختم الرسائل غالبا بتأريخ أو ما يقارب مقام صاحبها الزمني. وخلوّ هذه الرسائل من كل ذلك ليس سهوا عابرا يمكن التغاضي عنه، بل هو مؤشر داخلي على أنها لم تُكتب في زمانها الحقيقي المفترض، وإنما وُضعت لاحقا بعد أن غابت عن واضعها المعطيات الدقيقة التي تمكّنه من تأريخها تأريخا يصمد أمام المحاكمة، فلجأ إلى إسقاط التاريخ إسقاطا كليا تفاديا للتناقض الذي كان سيقع فيه لو حدد تاريخا.

هذه المعطيات مجتمعة – الاستحالة الزمنية، والانقطاع في النسبة، وخلوّ النص من كل تأريخ – تقود إلى نتيجة واحدة: أن هذه المراسلات من صنع طبقة لاحقة على وفاة الشيخ الأسمر، لم تكترث بضبط التواريخ ولم تطّلع على تفاصيل سِيَر من نُسبت إليهم هذه المكاتبات، وإنما توخّت من وراء ذلك غاية معروفة في أدب المناقب المغربي: إلحاق طائفة من العلماء الذين ذاع صيتهم في تلك الحقبة بسلسلة تلاميذ الأسمر ومريديه، تعزيزا لمكانته ولانتشار طريقته، عبر توسيع شبكة انتسابه الروحي بأسماء وازنة لم يكن بينه وبينها في الحقيقة أي تلاقٍ. وهذا نمط معروف تكرر في مصنفات كثيرة من هذا الجنس الأدبي، حيث يُستدعى الماضي لخدمة حاضر المؤسسة الصوفية لا لتوثيق واقعة تاريخية.

وخلاصة القول: إن لقاء الشيخ عبد السلام الأسمر بعلي بن مصطفى الخروبي، أو مراسلته إياه ضمن "أصحابه" بطرابلس، دعوى لا تصمد أمام محاكمة السيرة الذاتية لمحمد الخروبي نفسه، التي تثبت أن أباه توفي وهو لا يزال طفلا بينما لم يكن الأسمر قد جاوز بعدُ عتبة الشباب، فضلا عما يعتري سند هذه النسبة من انقطاع، وما يعتري متنها من خلوّ مريب من كل تأريخ. فالأصوب أن تُعدّ هذه الرسائل، ومن ضمنها الرسالة المزعومة إلى علي الخروبي، من موضوعات ما بعد وفاة الأسمر، لا من صحيح ما صدر عنه.

رسالة إلى أصحابه بتمبكتو بمالي غرب أفريقيا؟ وهم أحمد ابن أقيت وأصحابه وجماعته، مع أن ابن أقيت كتب سيرته، ولم يذكر أي لقاء له مع الشيخ الأسمر، ولم يذكر أنه تلقى أي طريقة منه.

رسالة إلى أصحابه بتونس وعلق مصطفى رابعة أنه لم يقف على تراجم لهم.

رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى وعلق مصطفى رابعة بأنه لم يقف على تراجم لهم. والسؤال هل سافر البرموني إلى سوس الأقصى ليتحصل على نسخة من هذه الرسالة، أم أنه وجد منها نسخة في محفوظات الزاوية؟ والرسالة الحادية عشرة طويلة حيث تمتد بعد طباعتها من صفحة 285 إلى صفحة 372 في تحقيق دكتور مصطفى رابعة، ومن الواضح من سبكها اللغوي والأسلوب الذي كتبت به لا علاقة لها بأسلوب الأسمر، والتأليف وغير معتاد في بيئة الأسمر. من الممكن طرح العديد من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة قبل البدء في نقدها منها: الشخصيات المرسلة أليهم شخصيات مجهولة لم يرد لهم أي ذكر في فتح العليم، وغياب ذكرهم في النسخ القديمة. فمتى التقى بهم الشيخ الأسمر، ولماذا خصّهم بهذه الرسائل دون غيرهم، وهل كان هؤلاء بحاجة إلى كل هذه النصائح المرتبة بطريقة حديثة، والتي اجتمعت فيها مصادر من كتب كثيرة؟. أم أن من كتب هذه الرسائل كان يقلد في ذلك ما كتبه أصحاب الطرق الصوفية من كتابة الرسائل والوصايا كالشاذلي والبدوي وغيرهم؟

الأمر الأكثر غرابة هو أن البرموني، الذي يُنسب إليه تأليف "روضة الأزهار"، لم يترجم لأي من أصحاب الرسائل في كتابه، مع أنه ترجم لشخصيات أقل أهمية بكثير وذكر عنهم كرامات وتفاصيل دقيقة بل وذكر تفاصيل فرس الشيخ الأسمر سعيدة وقدراتها الفائقة في معرفة قبور الأولياء والصالحين الذين غابت معالمهم. فإذا كان هؤلاء المريدون بهذه الأهمية بحيث يستحقون رسائل مطولة من الشيخ، فكيف لا يستحقون ترجمة في كتاب مخصص لمناقب الشيخ ومريديه؟

هذا التناقض الصارخ لا يمكن تفسيره إلا بأن هذه الشخصيات لم تكن معروفة للبرموني نفسه، وأن الرسائل أُضيفت إلى الكتاب في مرحلة لاحقة من قبل نساخ آخرين. لو كان البرموني هو من جمع هذه الرسائل وأدرجها في كتابه، لكان من الطبيعي أن يترجم لأصحابها ويذكر كيف حصل عليها.

كما أن اختلاف مقدمة كل رسالة تشير بوضوح على تعدد أسلوب الذين كتبوا هذه الرسائل ونسبوها إلى الشيخ الأسمر. ولعل المتخصصين في اللغة يستطيعون تحقيقها، واكتشاف اختلاف الأسلوب من رسالة إلى أخرى. كما أن طول بعض الرسائل ووجود نسخة منها في بعض نسخ روضة الأزهار، وخاصة عندما نكتشف تباين خط ناسخ المخطوط الذي كتبت به وغيابها من النسخ الأخرى. والسؤال الأهم لماذا بقيت الرسالة عند المرسل وهو الشيخ الأسمر ؟، قد يقول قائل: ربما كتبها ولم ترسل؟ وهنا نتساءل، وماذا عن الرسائل الأخرى، لماذا بقيت نسخ منها ولم تنتشر نسخة منها في أي مكان آخر؟، وهل من طبيعة العصر أن تكون الرسالة بهذا الطول؟.

وللبحث عن حقيقة نسبة هذه الرسائل إلى الشيخ الأسمر، نتساءل كيف تمكن البرموني في هذا العمر من جمع كل هذه الرسائل التي ربما كتبت في فترات مختلفة؟ واختلاف كل رسالة عن الاخرى في مقدمتها ومضمونها وأسلوبها؟ هنا نتساءل هل كان الشيخ عبد السلام الأسمر يكتب نسختين من كل رسالة ويحتفظ بواحدة في أرشيف الرسائل الصادرة إلى مريديه، كما يحدث في العصر الحديث ليجد البرموني بعد هذا العمر أرشيف هذه الرسائل ويضمنها في كتابه. والإجابة الطبيعية، بدون أي شك، أنه أمر مستبعد، ومخالف لعادات ذلك الوقت كتابة نسختين من الرسالة ترسل نسخة، ويتم الاحتفاظ بالأخرى في أرشيف الزاوية، كما يحدث في العصر الحديث.

قد يحاول البعض في التبرير بأنه بعد مقتل عمران أحرقت زاوية الشيخ، وضاعت هذه الكتب وضاعت هذه الرسائل؟ وما دام قد أحرقت المؤلفات، فهل من المعقول أن تبقى الرسائل في الزاوية أم أنها عند المرسل لهم، إذن كيف تحصل البرموني على نسخة منها؟ أم أن الرسائل كانت قد حفظت ونقلت من الذاكرة مع أن بعضها تجاوز الخمسين صفحة؟ وهو أمر مستبعد جدا، ونتساءل كذلك كيف استطاع كريم الدين البرموني أن يلتقي بأصحاب هذه الرسائل بعد أن بلغ من العمر عتيا، وهذا لم يخبرنا به كريم الدين البرموني نفسه، مع أنه يذكر في كتابه تفاصيل أقل أهمية من ذلك بكثير؟ ولم يذكر أنه التقى بهذه الشخصيات، مع أنه تناول في مواضع أخرى تفاصيل دقيقة عن اللقاء بشخصيات أخرى

معروفة؟ فكيف ظهرت هذه الرسائل فجأة في آخر الكتاب ولم تظهر كما ذكرنا في مصادر أخرى؟

من المعلوم من طبيعة العصر الذي عاش فيه الشيخ عبد السلام الأسمر أن نسخة واحدة من الرسالة تكتب وترسل إلى المرسل إليه. وليس هناك أرشيف كما هو في العصر الحديث، فالورق أو جلد الكتابة كان عزيزا. وهذا يلقى بظلاله على الشك في صحتها، وصحة نسبة هذه الرسائل إلى الشيخ عبد السلام الأسمر. ولم تظهر هذه الرسائل مبعثرة، أو نسخ منفردة منها في المناطق التي أرسلت لها، أو على الأقل نسخت بتاريخ قديم يقترب من زمن الشيخ الأسمر. كما أن هذه الرسائل جمعت في كتاب روضة الأزهار، وسقطت من نسخ أخرى، وهذا يبعث الشك في صناعتها ونسبتها إلى الشيخ الأسمر. ومن الجاذب للانتباه أن وجود نسخ من هذه الرسائل في نسخ قديمة، مثلا يظهر بجلاء اختلاف خطوط النساخ وأضافتها فيما بعد للنسخ القديمة مثل نسخة الظفير، ونسخة بخط الأزدوي[1].

فمثلا هناك العديد من الملاحظات على مخطوط الظفير:

تكشف المقارنة الباليوغرافية بين الصفحتين عن تباين واضح في عدد من الخصائص الخطية، وهو تباين قد يُعزى إلى اختلاف يد الناسخ، أو إلى انتقال عملية النسخ بين أكثر من ناسخ، كما قد يكون نتيجة لاختلاف الزمن أو ظروف الكتابة. ومن ثم فإن هذه الملاحظات تمثل قرائن باليوغرافية على اختلاف الناسخ، وتحتاج إلى استكمالها بدراسة بقية أوراق المخطوط.

وتظهر أبرز مظاهر هذا التباين في رسم بعض الحروف، ولا سيما الهاء والتاء المربوطة؛ إذ تبدوان في الصفحة اليمنى أكثر استدارة وانضغاطًا، في حين تتخذان في الصفحة اليسرى هيئة أكثر انفتاحًا، وتميلان أحيانًا إلى الشكل البيضاوي أو شبه المثلث. كما يلاحظ اختلاف في معالجة الحروف الصاعدة، كالألف واللام، حيث تميل في الصفحة اليمنى إلى انحناء خفيف عند القمة مع سرعة أوضح في

1) انظر إلى صورة الصفحتين من مخطوط الظفير المرفقتين في الصور آخر الكتاب

حركة القلم، بينما تبدو في الصفحة اليسرى أكثر استقامة وانتظامًا، بما يوحي بعناية أكبر في تنفيذ الضربات الرأسية.

ويشمل الاختلاف كذلك البنية العامة للنص؛ فالصفحة اليمنى تتسم بتقارب الكلمات وكثافة الأسطر، الأمر الذي يمنحها نسيجًا خطيًا متماسكًا، في حين تبدو الصفحة اليسرى أكثر اتساعًا في المسافات الفاصلة بين الكلمات، وهو ما يحقق قدرًا أكبر من الوضوح البصري. كما تختلف طريقة رسم الحروف النازلة عن السطر، مثل الحاء والجيم والخاء والميم النهائية؛ إذ تأتي في الصفحة اليمنى بانحناءات أوسع وأكثر استدارة، بينما تبدو في الصفحة اليسرى أكثر إحكامًا وأقل امتدادًا.

ومن المظاهر الجديرة بالملاحظة أيضًا طريقة توظيف الحبر الأحمر؛ إذ استُخدم في الصفحتين للتمييز بين المتن وبعض العناوين أو الكلمات ذات الوظيفة التنظيمية، غير أن تنفيذه في الصفحة اليمنى يبدو أكثر سماكة واندماجًا مع المتن الأسود، في حين يظهر في الصفحة اليسرى أدق رسمًا وأكثر انتظامًا، مع تباعد أوضح عن متن الكتابة.

وتشير هذه الفروق مجتمعة إلى وجود اختلاف في الخصائص التنفيذية للخط، ناتجة عن تعاقب أكثر من ناسخ، وهي مؤشرات فنية نستأنس في الحكم على إضافة نصوص في فترات مختلفة.

كما أن كتاب "الزهر في الأكمام" لخليفة الشيخ الأسمر عمر بن جحا، لم يشر لها، وهو أقرب الناس إلى الشيخ الأسمر كما يحكي البرموني. كما لم يوجد لها ذكر في مخطوط عبد الرحمن المكي. لذلك فإن الشكوك أن هذه الرسائل قد كتبت في مدة متأخرة ونسبت للشيخ عبد السلام الأسمر أمر شبه مؤكد.

كما أننا لا نجد ذكرًا أو إشارة لهذه الرسائل في كتاب فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم لعبد السلام بن عثمان التاجوري مما يؤكد أن هذه الرسائل كتبت فيما بعد وإلا كيف غابت عن التاجوري المهتم بأدق تفاصيل حياة الأسمر والشخصيات الصوفية في عصره ولم يذكر لنا هذه الشخصيات المجهولة.

بمقارنة هذه الرسائل مثلا بكلامه في روضة الأزهار، وفي كتاب الوصية نجد فرقا واضحا في أسلوب كتابة الرسائل وفرقا وسبكا لغويا واضحا في كلام الشيخ الأسمر وما نسب له في هذه الرسائل. فمن المعروف أن الشيخ الأسمر كان مجذوبا يقول الشعر باللغة العامية، ولا توجد له قصائد باللغة العربية الفصحى، وحتى التي بالفصحى قد بينا كيف أخذت من مصادر قديمة ونسبت له، وحتى التي ذكرت بالبرموني من السهل أن تكتشف أنها لبعض الصوفية المتقدمين عن عصره.

من خلال دراستنا لهذه الرسائل يتبين بوضوح أنها أخذت عن عدة كتب ومخطوطات ويتضح أسلوب صياغتها أنها لم تكن مما هو سائد في عصر الشيخ الأسمر مقارنة بالطريقة السائدة في ذلك الوقت وخاصة في طرابلس. فالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث لم يكن متداولا بهذه الطريقة. لعله شعر من وضع هذه الرسائل بحاجة إلى تحديث خطاب الأسمر والسير على ما سبقه من الأولياء الذين اشتهروا بإرسال رسائل فكتبت ونسبت له.

ولعلنا لا نحتاج أن نبحث كثيرا في تحقيق صحة نسبة هذه الرسائل إلى الشيخ الأسمر، فبمقارنة رسالة الشيخ عبد السلام الأسمر إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي، نجد أن الرسالة قد نسخت في بعض جوانبها نقلا حرفيا لصوفية من المشرق على أشهرهم رسالة منقولة عن عمر الجيلاني وهذا يؤكد أن الرسائل كتبت وأضيفت لروضة الأزهار، ونسبت للشيخ الأسمر بعد نهاية القرن الثاني عشر الهجري.

وبمقارنة ما جاء في رسالة الأسمر لسعيد الغدامسي[1]من بداية قوله: " ثم إن نصيحتي لك أن تكون بمولاك مكتفيا وواثقا ومتعلقا، وبمكارم الأخلاق متخلقا، وللدنيا مطلقا، ولنفسك من أشراك الحظوظ مطلقا، ومن رقها معتقًا ولأبواب الشهوات مغلقا، وللحق موافقا، وللصدق مرافقا، وعلى باب الله واقفا، ولهوى نفسك مخالفا، ولأوامره ممتثلا، وعلى طاعته مقبلا، ولكل ما يشغلك عنه مجانبا، ولمن يدلك عليه طالبا، ولعاصيه مباعدا، وللمقبلين عليه مساعدا، ولحرماته، ولشعائر دينه معظما، ولأوليائه المشغوفين بمحبته، المشغولين

1) رسائل الأسمر إلى مريديه، مصطفى رابعة، ص 130.

بخدمته خادما، ولأحكامه مسلما، ومع الحق ثائرا، وإليه صائرا، وداوم على تلاوة كتاب الله، وثابر على ذكر الله، وقم إذا جن الظلام، وهجع الأنام بين يدي الله، وأحسن المحافظة على الصلوات الخمس التي هي من الدين العماد والرأس، وأشعر قلبك على كل حال اطلاع مولاك عليك، وإحاطة علمه بك، وكن مع إقباله تعالى مع اللحظات والأنفاس، وكن مع الخير وأهله، وأطلع الله من قلبك على محبة الحق، وصحبة القيام به، وأصلح نيتك فيما بينك وبينه سبحانه؛ يكفك فيما بينك وبين خلقه، وخذ من نفسك لربك، ومن دنياك لآخرتك، وقدر نزول الموت بك في كل وقت، وتزود لمعادك وخير الزاد التقوى، ونق قلبك من كل خلق مذموم، وأضمر الخير لجميع المسلمين، واصبر على من آذاك ، ولا تجف من جافاك".

فالنص السابق من الرسالة نسخ حرفي مطابق من كلام الشيخ عمر بن أحمد الجيلاني[1].

وقد علق الدكتور مصطفى رابعة[2] عن هذه الرسالة بقوله أنها نسخة فريدة من ص 297 إلى ص 299 من مخطوط آل أبي زبيدة لروضة الأزهار، كما شغلت الورقتان 128 و129 من مخطوط مركز الدراسات التاريخية.

ولقائل أن يقول أن نسخة أبوزبيدة كتبت، ونسخت سنة 1321 هـ، فكيف يحتمل أن تكون إضافة الرسالة نقلا عن كلام عمر الجيلاني ونسبتها للشيخ عبد السلام الأسمر؟، لكن الحقيقة أن الرسالة متوافقة مع أسلوب عمر الجيلاني، ومختلفة كثيرا عن أسلوب الشيخ عبد السلام الأسمر.

لكن هناك سؤال آخر، وهو أن نسخة مركز الدراسات التاريخية التي ذكرها الدكتور عبد الحميد الهرامة نسخت سنة 1185 هـ أي سابقة لمولد عمر الجيلاني فكيف يصح أن نقول أن الرسالة لعمر الجيلاني؟، هنا نكتشف أن هذه الرسالة أضيفت للبرموني في مدة لاحقة، كما حدث مع النسخة المعروفة بنسخة الظفير، والتي أضيفت لها في مدة لاحقة. ويظهر اختلاف خط الناسخ في

---

1) الشيخ عمر بن أحمد الجيلاني ولد بالعراق سنة 1239 هـ وتوفي سنة 1329 هـ.

2) رسائل الأسمر ص: 129.

المخطوط عندما يتعلق الموضوع برسائل الأسمر، واختلاف خط النساخ، واضح بين المخطوط عموما، وخط إضافة الرسالة.

ولعل من أضافها معتقدا أنها يجب إضافتها للمخطوط، كما يفعل الذين يحققون بعض المخطوطات بالبحث عن الأوراق الناقصة من نسخ أخرى للمخطوط، لكن الحالة هنا مختلفة نظرا لأن المخطوط مشكوك في صحته ونسبته.

وبمزيد من البحث نجد أن أجزاء الرسالة قد اقتطعت بعض مقتطفاتها من كتب تصوف كتبت بعد وفاة الشيخ الأسمر بأكثر من قرن وهو ما يؤكد ما ذهبنا إليه من غيابها عن التاجوري وبن جحا ومخطوط المكي. فبمقارنة النص الوارد في رسالة الغدامسي نجد ما يلي:

معظم الاقتباسات من كتاب "اللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الاحسانية الجبروتية في رسائل الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني"[1]. فالنص المقدَّم يعود تقريباً بشكل شبه حرفي إلى "الرسالة الثالثة" من رسائل الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني (ت. 1224هـ – 1809م)، الصوفي المغربي الشاذلي الدرقاوي. وهو ما يُشير إليه النص صراحةً في مطلعه: "الرسالة الثالثة" المذكور أسفل النص، وهو ترقيم يطابق ترتيب الرسائل في مجموعة ابن عجيبة.

أولاً: القسم الأول من النص الوصايا المتسلسلة

النص الأصلي في رسائل ابن عجيبة: "نصيحتي لك أن تكون بمولاك مكتفياً وواثقاً ومتعلقاً، وبمكارم الأخلاق متخلقاً، وللدنيا مطلِّقاً، ولنفسك من أشراك الحظوظ

1) اللطائف الإيمانية الملكوتية والحقائق الإحسانية الجبروتية في رسائل العارف بالله الشيخ أحمد بن عجيبة الحسني، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي (1160-1224هـ) الرسالة: الرسالة الثالثة (وصية للمريد)، الطبعة: محققة بتحقيق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية

مطلقاً، ومن رقها معتقاً، ولأبواب الشهوات مغلقاً، وللحق موافقاً، وللصدق مرافقاً، وعلى باب الله واقفاً، ولهوى نفسك مخالفاً..."

النص المُقتبَس: (نفس العبارة حرفياً وبنفس الترتيب، مما يقطع باليقين بنسبتها إلى ابن عجيبة)، فنسبة الاقتباس: شبه حرفية 100% لهذا المقطع.

ثانياً: قسم الحج ومعانيه الباطنية

النص الأصلي في رسائل ابن عجيبة: "وللحج ظاهر وباطن، فظاهره شريعة، وباطنه حقيقة، فلا تشغلك إحداهما عن الأخرى تكن جامعاً. واعلم أن لله في باطنك بيتاً، وقد أمر إبراهيمَ علمَك، وإسماعيلَ عقلَك أن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود، وحوله من الملائكة الروحانيين. وكل من لم يكن له إبراهيم ولا إسماعيل فهو جاهل أحمق تصلى به النار..."

النص المُقتبَس: (نفس العبارة تماماً، وهو تأويل صوفي خاص بابن عجيبة لمعاني الحج الباطنية، ولا يوجد في غير كتبه بهذه الصياغة)

نسبة الاقتباس: حرفية تامة.

ثالثاً: مقطع الغوث والخليفة الفرد

النص الأصلي في رسائل ابن عجيبة: "...وهذا لا يستقيم على وجهه في كل زمان، وهو الخليفة الفرد الغوث، مرآة الحضرة الإلهية والواسطة بين الله وبين خلقه في إفاضة الإمدادات الربانية والروحانية والجسمانية، فهو عبده المؤمن المشار إليه، قلبه عرش الرحمن، وصدره كرسيه الذي وسع السماء والأرض."

النص المُقتبَس: (نفس العبارة حرفياً)

نسبة الاقتباس: حرفية تامة. هذه الصياغة مصطلح صوفي خاص ببيئة ابن عجيبة والطريقة الشاذلية الدرقاوية.

رابعاً: الاقتباس من مصدر ثانوي داخل النص للغزالي

المقطع المتعلق بباطن الحج وتأويل إبراهيم وإسماعيل يستند في أصله الفكري إلى كتاب "أسرار الحج" من "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي (ت. 505هـ)، حيث تحدث الغزالي عن الأبعاد الروحانية للحج وأن لكل ركن ظاهراً وباطناً. غير أن

صياغة ابن عجيبة أكثر تفصيلاً وتحديداً في ربط إبراهيم بالعلم وإسماعيل بالعقل.

والخلاصة أن النص برمته هو في الحقيقة رسالة ابن عجيبة نفسها وليس اقتباساً منها، وقد أُدرجت في المتن بكاملها تقريباً.

ونجد أن الأمر يتكرر مرة أخرى في رسالة أخرى من الرسائل المنحولة للشيخ الأسمر وهي رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي، والرسالة كما ذكر مصطفى رابعة عبارة عن نسخة فريدة من مخطوط آل أبي زبيدة من ص 267 إلى ص 276. وقد ضمنها مصطفى رابعة في كتابه رسائل الأسمر إلى مريديه[1].

والسؤال: كيف وصلت رسالة راشد بن يحيى إلى مخطوط آل أبي زبيدة، خاصة أنها نسخة فريدة لشخص مجهول؟ والشك مؤكد في صناعة محتواها نقلا من رسائل أخرى، وكذلك مخالفتها للأسلوب الذي جاء في الوصية مثلا ولأسلوب كتاب روضة الأزهار مما يضع حولها العديد من الشكوك.

من الملاحظ على هذه الرسالة[2] أنها تحوي تقريبًا عدة صفحات نقلا حرفيا من كتاب: متن المقدمة لمحمد بن يوسف السنوسي تبدأ من ص 141 إلى ص 144. والرسالة طويلة ليس هناك من شك في صناعتها الحديثة وليس من طبيعة الرسائل النقل بهذه الحرفية دون الإشارة للقائل، ويرجح انتحالها مع نهاية القرن الثالث عشر الهجري، والوقت كفيل بظهور الكتب التي نقلت منها، وجعلت منها رسالة بهذا الطول.

وبدراسة تفصيلية لرسالة راشد بن يحي المحجوبي إليك المقارنة التفصيلية:

النصوص المقتبسة من "متن المقدمة" للإمام السنوسي:

1. تعريف الحكم وأقسامه، النص الأصلي (السنوسي):

الحكم إثبات أمر أو نفيه، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرعي وعادي وعقلي. فالشرعي خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب والإباحة والوضع

---

1) رسائل الأسمر إلى مريديه ص: 139

2) رسائل الأسمر إلى مريديه، الرسالة الرابعة ص: 141 -144. لم يشر د. رابعة أنها نقل حرفي من متن المقدمات للسنوسي مع أنه عرف به في هامش الرسالة لذكر اسمه في الرسالة كأمام ولم يبين أن أصل الكلام منقول منه حرفيا.

لهما. ويدخل في الطلب أربعة: الإيجاب وهو طلب الفعل طلبًا جازماً كالإيمان بالله وبرسوله وكقواعد الإسلام الخمسة، والندب وهو طلب الفعل طلبًا غير جازم كصلاة الفجر ونحوها، والتحريم وهو طلب الكف عن الفعل طلبًا جازماً كالشرك والزنا ونحوهما، والكراهة وهي طلب الكف عن الفعل طلبًا غير جازم كقراءة القرآن في الركوع والسجود. وأما الإباحة فهي إذن الشرع في الفعل والترك معاً من غير ترجيح لأحدهما على الآخر. وأما الوضع فهو عبارة عن نصب الشارع إمارة على حكم من الأحكام الخمسة وهي السبب والشرط والمانع. فالسبب ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم لذاته كزوال الشمس لوجوب الظهر. والشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته كتمام الحول لوجوب الزكاة. والمانع ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته كالحيض لوجوب الصلاة.

النص المقتبس (من راشد بن يحيى المحجوبي):

(اعلم يرحمك الله أن الحكم: إثبات أمر أو نفيه وينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرعي وعادي وعقلي. فالشرعي هو: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما، ويدخل في الطلب أربعة: الإيمان والندب والتحريم والكراهة، فالإيمان هو: طلب الفعل طلباً جازماً كالقواعد الخمس ونحوها، والندب هو: طلب الفعل طلباً غير جازم كصلاة الفجر ونحوها، والتحريم هو: طلب الكف عن الفعل طلباً جازماً كشرب الخمر والزنا ونحوهما، والكراهة هي: طلب الكف عن الفعل طلباً غير جازم كالقراءة في الركوع والسجود ونحوهما. وأما الإباحة فهي: إذن الشرع في الفعل والترك معاً من غير ترجيح لأحدهما على الآخر. وأما الوضع لهما فهو: عبارة عن نصب الشارع أمارة على حكم من تلك الأحكام الخمسة وهي: السبب والشرط والمانع. فالسبب ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود بالنظر إلى ذاته كزوال الشمس لوجوب الظهر مثلاً. والشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته كتمام الحول لوجوب الزكاة مثلاً. والمانع ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته كالحيض لوجوب الصلاة.)

2. الحكم العادي، النص الأصلي (السنوسي):

وأما الحكم العادي إثبات الربط بين أمر وأمر وجودًا أو عدمًا بواسطة التكرر مع صحة التخلف وعدم تأثير أحدهما في الآخر البتة. وأقسامه أربعة: ربط وجود بوجود كربط وجود الشبع بوجود الأكل، وربط عدم بعدم كربط عدم الشبع بعدم الأكل، وربط وجود بعدم كربط وجود الجوع بعدم الأكل، وربط عدم بوجود كربط عدم الجوع بوجود الأكل.

النص المقتبس: (وأما الحكم العادي فهو: إثبات الربط بين أمر وأمر وجوداً أو عدماً بواسطة التكرر مع صحة التخلف وعدم تأثير أحدهما في الآخر البتة وأقسامه: ربط وجود بوجود كربط وجود الشبع بوجود الأكل، وربط عدم بعدم كربط عدم الشبع بعدم الأكل، وربط وجود بعدم كربط وجود الجوع بعدم الأكل، وربط عدم بوجود كربط عدم الجوع بوجود الأكل.)

3. الحكم العقلي، النص الأصلي (السنوسي):

وأما الحكم العقلي فهو إثبات أمر ونفيه من غير توقّف على تكرر ولا على وضع واضع. وأقسامه ثلاثة: الوجوب، والاستحالة، والجواز. فالواجب ما لا يتصور في العقل عدمه إما ضرورة كالتحيّز للجرم، وإما نظراً كوجوب القدم لمولانا جلّ وعزّ. والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده إما ضرورة كتعري الجرم عن الحركة والسكون وإما نظراً كالشريك لمولانا جلّ وعزّ. والجائز ما يصح في العقل وجوده وعدمه إما ضرورة كالحركة لنا، وإما نظراً كتعذيب المطيع وإثابة العاصي.

النص المقتبس: (وأما الحكم العقلي فهو: إثبات أمر أو نفيه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع. وأقسامه ثلاثة: الوجوب والاستحالة والجواز. فالواجب ما لا يتصور في العقل عدمه، إما ضرورة كالتحيّز للجرم مثلاً. وإما نظراً كوجوب القدم لمولانا عز وجل. والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده إما ضرورة كتعري الجرم عن الحركة والسكون، وإما نظراً كالشريك لمولانا عز وجل. والجائز ما يصح في العقل وجوده وعدمه. إما ضرورة كالحركة لنا، وإما نظراً كتعذيب المطيع وإثابة العاصي.)

4. المذاهب في الأفعال، النص الأصلي (السنوسي):

المذاهب في الأفعال ثلاثة: مذهب الجبرية ومذهب القدرية ومذهب أهل السنة. فمذهب الجبرية وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط من غير مقارنة لقدرة

حادثة. ومذهب القدرية وجود الأفعال الاختيارية بالقدرة الحادثة فقط مباشرة أو تولّداً. ومذهب أهل السنة وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط مع مقارنة الأفعال الاختيارية لقدرة حادثة لا تأثير لها لا مباشرة ولا تولّداً. وأما الكسب فهو عبارة عن تعلق القدرة الحادثة بالمقدور في محلها من غير تأثير.

النص المقتبس: (والمذاهب في الأفعال ثلاثة: مذهب الجبرية، ومذهب القدرية، ومذهب أهل السنة. فمذهب الجبرية وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط من غير مقارنة لقدرة حادثة. ومذهب القدرية وجود الأفعال الاختيارية بالقدرة الحادثة فقط مباشرة أو تولّداً. ومذهب أهل السنة وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط مع مقارنة الأفعال الاختيارية لقدرة حادثة لا تأثير لها لا مباشرة ولا تولّداً. وأما الكسب فهو عبارة عن تعلق القدرة الحادثة بالمقدور في محلها من غير تأثير.)

5. أنواع الشرك الستة، النص الأصلي (السنوسي):

وأنواع الشرك ستة: شرك الاستقلال وهو إثبات إلهين مستقلّين كشرك المجوس، وشرك التبعيض وهو تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى، وشرك تقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية، وشرك تقليد وهو عبادة غير الله تعالى تبعًا للغير كشرك متأخري الجاهلية، وشرك الأسباب وهو إسناد تأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك، وشرك الأغراض وهو العمل لغير الله تعالى. وحكم الأربعة الأول الكفر بإجماع، وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم الخامس التفصيل: فمن قال في الأسباب العادية أنها تؤثر بطبائعها، فقد حكي الإجماع على كفره، ومن قال أنها تؤثر بقوة أودعها الله تعالى فيها، فهو فاسق مبتدع، وفي كفره قولان.

النص المقتبس: (وأنواع الشرك ستة: شرك استقلال وهو: إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس. وشرك تبعيض وهو: تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى. وشرك تقريب وهو: عبادة غير الله تعالى ليقربوا إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية. وشرك تقليد وهو: عبادة غير الله تعالى تبعاً للغير كشرك متأخري الجاهلية. وشرك الأسباب وهو: إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم بذلك. وشرك الأعراض وهو: العمل لغير الله تعالى. وحكم

الأربعة الأول الكفر بالإجماع، وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم الخامس التفصيل فمن قال في الأسباب العادية أنها تؤثر بطبعها فقد حكى الإجماع على كفره. ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان.)

6. أصول الكفر السبعة، النص الأصلي (السنوسي):

وأصل الكفر والبدع سبعة: الإيجاب الذاتي وهو إسناد الكائنات إلى الله تعالى على سبيل التعليل والطبع من غير اختيار، والتحسين العقلي وهو كون أفعال الله تعالى وأحكامه موقوفة عقلاً على الأغراض وهي جلب المصالح ودرء المفاسد، والتقليد الرديء وهو متابعة الغير لأجل الحمية والتعصب من غير طلب للحق، والربط العادي وهو ثبوت التلازم بين أمر وأمر وجوداً وعدماً بواسطة التكرر، والجهل المركب وهو أن يجهل الحق ويجهل جهله به، والتمسك في عقائد الإيمان بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير تفصيل بين ما يستحيل ظاهره منها وما لا يستحيل، والجهل بالقواعد العقلية التي هي العلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وباللسان العربي الذي هو علم اللغة والإعراب والبيان.

النص المقتبس: (وأصول الكفر سبعة: الإيجاب الذاتي وهو: إسناد الكائنات إلى الله تعالى على سبيل التعليل أو الطبع من غير اختيار. والتحسين العقلي وهو: كون أفعال الله وأحكامه موقوفة عقلاً على الأغراض وهو: جلب المصالح ودرء المفاسد. والتقليد الرديء وهو: متابعة الغير لمجرد الحمية والتعصب من غير طلب للحق. والربط العادي وهو: ثبوت التلازم بين أمر وأمر وجوداً أو عدماً بواسطة التكرر. والجهل المركب بأن يجهل الحق ويجهل جهله به. والتمسك في عقائد الإيمان بمجرد ظاهر الكتاب والسنة من غير تفصيل بين ما يستحيل ظاهره منها وما لا يستحيل، والجهل بالقواطع العقلية التي هي العلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، وباللسان العربي الذي هو علم اللغة والإعراب والبيان.)

7. أنواع الموجودات وصفات الله

النص الأصلي (السنوسي): الموجودات بالنسبة إلى المحل والمخصص أربعة أقسام: قسم غني عن المحل والمخصص وهو ذات مولانا جلّ وعزّ، وقسم مفتقر إلى المحل ولا مخصص وهو الأعراض، وقسم مفتقر إلى المخصص دون المحل وهو الأجرام، وقسم موجود في المحل ولا يفتقر إلى مخصص وهو صفات مولانا جلّ وعزّ. الممكنات المتقابلات ستة: الوجود والعدم، والمقادير، والصفات، والأزمنة، والأمكنة، والجهة. والقدرة الأزلية عبارة عن صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة. والإرادة صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه. والعلم صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به. والحياة صفة تصحح لمن قامت به الإدراك. والسمع الأزلي صفة ينكشف بها كل موجود على ما هو به انكشافاً يباين غيره ضرورة. والبصر مثله، والإدراك على القول به مثلهما. والكلام الأزلي وهو المعنى القائم بالذات المعبّر عنه بالعبارات المختلفات، المباين لجنس الحروف وللأصوات، المنزّه عن البعض والكل والتقديم والتأخير والسكوت واللحن والإعراب وسائر التغيّرات، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات. والكلام يتقسم إلى خبر وإنشاء. فالخبر ما يحتمل الصدق والكذب لذاته. والإنشاء ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته. والصدق عبارة عن مطابقة الخبر لما في نفس الأمر، خالف الاعتقاد أم لا. والأمانة حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهي عنه نهي تحريم أو كراهة. والخيانة عدم حفظها من ذلك.

النص المقتبس: (والموجودات بالنسبة إلى المحل والمخصّص أربعة أقسام: قسم غني عن المحل والمخصص وهو: الأعراض. وقسم مفتقر إلى المخصص دون المحل وهو: الأجرام. وقسم موجود في المحل ولا يفتقر إلى مخصص وهو: صفات مولانا عزّ وجلّ. والممكنات المتقابلات ستة: الوجود، والعدم، والمقادير، والصفات، والجهات، والأزمنة والأمكنة. والقدرة الأزلية عبارة عن صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة. والإرادة عبارة عن صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه. والعلم صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به. والحياة صفة تصحح لمن قامت به أن يتصف بالإدراك، والسمع الأزلي صفة ينكشف بها كل موجود على ما هو به انكشافاً يباين ما سواه ضرورة، والبصر مثله والإدراك على القول به مثلهما، والكلام الأزلي ليس بحرف ولا صوت وهو: المعنى القائم بالذات، المعبر عنه بالعبارات المختلفات، المباين لجنس الحروف والأصوات، المنزه عن البعض والكل والتقديم والتأخير والتحدد والسكوت

واللحن والإعراب وسائر أنواع التغييرات، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات. والكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء، فالخبر ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، والإنشاء ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته. والصدق: عبارة لمطابقة الخبر في نفس الأمر خالف الاعتقاد أم لا. والأمانة: حفظ جميع الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهي عنه نهي تحريم أو كراهة. والخيانة: عدم حفظها من ذلك.)

والخلاصة أن نص رسالة راشد بن يحيى المحجوبي يقتبس من متن المقدمة للسنوسي اقتباساً شبه حرفياً يكاد يكون نسخاً تاماً في سبعة مقاطع متتالية تشمل كل الجزء العقدي من الرسالة، مع إدخال تعديلات طفيفة في بعض الصياغات، أو إضافة كلمة "مثلاً" أو "وهو" أو تقديم وتأخير بسيط في الجمل، دون أي إشارة إلى المصدر.

أما رسالته إلى عبد الحميد بن علي العوسجي، فهي خليط من مقتبسات من بعض كتب التصوف، فمثلا تجد في ص 158 إلى ص 159 كما وردت في رسائل الأسمر بتحقيق مصطفى رابعة، والنص مقتبس عن حزب الإشراق للشاذلي ومنقول حرفيا ومتطابق معه.

وأقترح هنا استخراج نسخ الكترونية من هذه الكتب، ومقارنتها بكتب التّصوف عن طريق برامج الكشف عن الاقتباسات للكشف عن هذا التزوير، ودراسة أسلوبها.

أما رسالة الفزاني فهناك اقتباسات توصلت لها هذه الدراسة كالتالي:

نص الرسالة بوصفه "نصاً جامعاً" استند فيه الكاتب إلى أدبيات المدرسة السلوكية الحضرمية، وتحديداً مؤلفات الإمام عبد الله بن علوي الحداد (ت 1132 هـ).

أولاً: توثيق الفقرات المتعلقة بالعبادات والسلوك

تتطابق هذه الفقرات حرفياً مع كتاب "آداب سلوك المريد".

المصدر الموثق: الحداد، عبد الله بن علوي. آداب سلوك المريد[1].

نص المقارنة: "وعليك بإقامة الصلوات الخمس المكتوبة كما أُمرت، واجتهد في حضور قلبك مع الله... وحافظ على الجماعة وعلى الصلاة أول الوقت بكليتك". حيث تصل نسبة الاقتباس في الرسالة إلى تطابق حرفي بنسبة 95% تقريبا.

ثانياً: توثيق الفقرات المتعلقة بالعشرة والآداب الاجتماعية

تستند هذه الفقرات إلى كتاب "رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة".

المصدر الموثق: الحداد، عبد الله بن علوي. رسالة المعاونة والمظاهرة والمؤازرة[2].

نص المقارنة: "وعليك بسعة الصدر، وطلاقة الوجه، وطيب الكلام، وخفض الجناح... وكن كثير الاحتمال، دائم العفو والصفح عن عثرات الإخوان".

وهو اقتباس شبه حرفي بنسبة 90% (مع تعديلات طفيفة في صياغة الروابط).

ثالثاً: توثيق الفقرات المتعلقة بالتزكية والزهد

تعد هذه الفقرات تلخيصاً لأصول وردت في "الوصية الجامعة" و"إحياء علوم الدين"، والمصدر الموثق: الحداد، عبد الله بن علوي. الوصية الجامعة (ضمن مجموع رسائل الإمام الحداد)[3].

نص المقارنة: "ومن آذاك بفعل أو قول... فلا تقابله بمثل ما جرى منه، فإما أن تعفو عنه... وذلك من إخلاص الصديقين".

تصل نسبة الاقتباس إلى 85%. وهذا يشير إلى تلاعب بالنص.

رابعاً: توثيق فقرة حب أهل البيت والختام

1) تحقيق: محمد علي البار. جدة: دار الحاوي، ط1، 1414هـ-1993م.موضع الاقتباس: ص 25-28.

2) جدة: دار المنهاج، ط2، 1423هـ، موضع الاقتباس: باب آداب العشرة، ص 114-116.

3) صنعاء: مكتبة الإرشاد، الموضع: ص 42.

تظهر هذه الفقرة بوضوح في وصايا تلاميذ الإمام الحداد، ولا سيما الإمام أحمد بن زين الحبشي.

المصدر الموثق: الحبشي، أحمد بن زين. المقاصد الصالحة في الحقوق الواجبة[1].

نص المقارنة: "وعليك بحب أهل البيت النبوي وتعظيمهم جداً... فقلما تظاهر بذلك أحد عن صدق إلا ووفقه الله... والمرء مع من أحب". حيث تصل نسبة الاقتباس إلى 95%.

نلاحظ أن كاتب الرسالة قام باختيار جمل مفتاحية من كتب الإمام الحداد وربطها بسياق وعظي واحد. ومنتحل الرسالة لم يبتكر عبارات جديدة، بل أعاد تدوير نصوص القرن الثاني عشر الهجري (مدرسة الإمام الحداد) بصيغة الموجه لشخص محدد "أوصيك أيها العبد الصالح". وبهذا التحقيق يتبين أن الرسالة لم تكن من أسلوب الأسمر ولا من عصره ويؤكد ما ذهبنا إليه انها كتبت بعد وفاته بأكثر من قرن من الزمان.

كما أن رسالته المنحولة إلى أصحابه بالزاوية الغربية وأولهم أحمد بن عبد الحميد المشهور ببحر السماح اليربوعي، فاليربوعي قد توفي بحسب رواية البرموني سنة 979 هـ أي بعد بناء الأسمر لزاويته بسبع سنوات، كما ذكر في فتح العليم، فكيف قرأ في هذه الزاوية وتلقى عن الأسمر بعد أن وصل إلى هذا القدر من العمر وحفظ فيها القرآن؟، أما ضي الهلال فقد ذكرنا ما نسب له من شعر ليس من كلامه أصلًا، بل نقلا عن صوفي آخر في الطبقات الكبرى للشعراني ولم يلتقي بالأسمر دون شك.

---

1) مخطوط مطبوع ضمن مجموع الوصايا العلوية، تريم: دار العلم والدعوة، موضع الاقتباس: فصل في حقوق القرابة النبوية، ص 312.

مخطوط روضة الأزهار "مخطوط 1250هـ"

تنتشر نسخة من مخطوط "روضة الأزهار"، المنحول لكريم الدين البرموني، وهي محفوظة ضمن مخطوطات الزاوية الأسمرية على يد ناسخها سالم بن عمران بن علي بن عمران، وسنة نسخها ألف ومئتين وخمسين 1250 هـ.

النسخة لا تختلف عن النسخ الأخرى كثيرا، لكنها تحتوي على رسائل الأسمر إلى مريديه، مما يبعث الريبة هنا في إضافة رسائل الأسمر إلى مريديه بعد هذا التاريخ. ولكن بعد دراسة، وتدقيق للخطوط التي كتبت بها المخطوطة، نجد اختلافا في الخط بين الصفحات التي وردت فيها رسائل الأسمر لمريديه، والخط العام الذي نسخ به المخطوط، مما يبعث الشك في أن الرسائل أضيفت إلى هذه النسخة في مدة ما بعد نسخ الكتاب، وألحقت بها.

وهنا أدعو المهتمين بتاريخنا دراسة هذه النسخة والتأكد مما أوردناه من الشك في إضافة الرسائل لها، واختلاف خط الناسخ مع الخطوط الأخرى في المخطوط.

ملاحظات على رسائل الأسمر إلى مريديه

نسخ هذه الرسائل كاملة موجودة فقط في نسخة أبي زبيدة، ولا توجد في النسخ الأخرى، وأسلوب كتابتها يدل على أنها اختلقت في القرون التي تلت الشيخ الأسمر، وهي بعيدة كل البعد عن كلام وأسلوب الشيخ الأسمر الظاهر في شعره غير الفصيح وتختلف عن أسلوب من ألفوا كتاب البرموني كذلك.

لم يكن سائدا في ذلك الوقت أن كاتب رسالة يضع نسخة منها في أرشيف مكتبته، فهل كان الشيخ الأسمر يكتب رسالة ويكتب نسخة منها لحفظها في محفوظات أرشيف الزاوية.؟ هذا أمر مستبعد بمقاييس ذلك الزمن؟

أغلب الشخصيات التي أرسلت لها الرسائل شخصيات مجهولة، وغير معروفة تاريخيا، ولم يوثق لها في كتب التراجم، فكيف توصل البرموني مع هؤلاء الشخصيات ويتحصل على الرسائل التي وصلت لهم من الشيخ الأسمر، كما أن البرموني ترجم في الروضة لشخصيات غير مهمة وذكر عنهم تفاصيل كرامات وخوارق لهم ولم يعرف بأصحاب الرسائل. وهذا مستغرب جدا ويطرح أسئلة على وجودها تاريخيا.

سبك الرسائل اللغوي وأسلوبها وديباجة مقدمتها المتغيرة، على الأرجح أنها ليست من أسلوب الشيخ الأسمر حتى لو سلمنا جدلا ببعض ما نسب له في روضة الأزهار أو فتح العليم. لكنها أدخلت على روضة الأزهار في النسخ المتأخرة عن النسخ الأقدم، لتباين تاريخ نسخها وتداخل أيدي متأخرة من النساخ وإضافة الرسائل لها كما يبدو ذلك واضحا في نسخة أبي زبيدة. كما أن بعض الرسائل طويلة جدا وتتكون من عدة صفحات وهذا غير معتاد في ذلك الوقت لقلة الورق والخروج عن المألوف السائد في ذلك الوقت.

لم نجد رسالة واحدة حفظت من قبل هؤلاء المريدين، ولا حتى نسخة عنها، في حين نجد نسخة من جميع الرسائل في نسخة أبي زبيدة، فمن أين نسخت هذه النسخ وكيف وصلت في نسخة أبي زبيدة مع عدم وجودها في نسخ روضة الأزهار أو فتح العليم الأقدم منها نسخًا، وعدم ذكرها أو حتى الإشارة لها في هذه الكتب أو المخطوطات.

قد يقول قائل أن الدكتور الهادي المبروك الدالي قد أورد رسالة للشيخ الأسمر من وثائق تمبكتو مرسلة لأحمد بن اقيت التنبكتي وجماعته في كتابه تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء[1]. نؤكد أن مخطوط الرسالة التي أرفقها بالكتاب ص: 184، مقتطعة من مخطوط روضة الازهار وليس رسالة منفردة وصلت إلى ابن اقيت ودليلنا على ذلك هو الصفحتين الأخيرتين من مخطوط الرسالة ص:194-195، حيث تلحق الرسالة لأهل الزاوية بعدها مباشرة وبدايتها "وكتب لجماعة من أهل الزاوية.." فالرسالة جزء مقتطع من مخطوط البرموني وبنفس الخط مما يدل على أنها ليست موجهة لأحمد بن اقيت وخاصة. ولو كان كذلك لما وجد في صفحات بعض الصفحات الكلمة المفتاحية للصفحة التي بعدها. أنظر مثلا ص: 191 و193 تجد كلمة حلاوة وكلمة جبار وهي تستخدم عند كتابة الكتب لتعبر عن الكلمة التي في أول السطر من الصفحة التي تليها.

إحدى الرسائل منقولة حرفياً، مع بعض التصرف، من وصايا الشيخ عمر الجيلاني، وهو شيخ صوفي شهير من العراق.

---

1) تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء، دراسة وثائقية، الهادي المبروك الدالي، ص: 43. 2008م.

أسلوب مقدمة الرسائل يتغير من رسالة إلى أخرى، كما ذكرنا وخاصة في المقدمة وهو غير معتاد.

الواضح لنا أن جميع الرسائل مختلقة، وهي تحتاج إلى دراسة تاريخية، وأسلوبية، وأيضا تحتاج البحث عن المصادر التي نقلت منها والبحث عن شبيهاتها في كتب التراث الصوفي.

1- إذا لم يكن الشيخ الأسمر هو من كتبها فمن كتب هذه الرسائل وما مصلحته من وراء نسبتها إليه؟

2- من المعلوم أن ما تركه الشيخ الأسمر، لا يتجاوز أوراد الطريقة العروسية وبعض القصائد باللهجة العامية، التي كان ينشدها بالضّرب على الدف، ونقلت مشافهة، كما أن الكثير من القصائد أضيف لها على فترات ونسبت له، وهذه الإضافات أوضح من الشمس، وخاصة فيما يتعلق بنعي ابنه عمران الذي قتل بعده بخمسة عشر سنة تقريبا.

3- معظم المريدين الذين زعموا أن الشيخ الأسمر أرسل إليهم رسائل شخصيات مجهولة، والشخصية المعلومة الوحيدة هو أحمد بن أقيت، ولم ترد في ترجمته أنه كان عروسيًا، أو التقى بالشيخ عبد السلام الأسمر. الشخصية الوحيدة المعروفة تاريخيًا من بين المرسل إليهم هي شخصية أحمد بن أقيت. لكن المفارقة أن ترجمة ابن أقيت في المصادر التاريخية لا تذكر أنه كان عروسيًا (منتسبًا للطريقة العروسية) أو أنه التقى بالشيخ الأسمر أو كانت بينهما مراسلات. هذا الصمت التام عن علاقة ابن أقيت بالشيخ الأسمر في جميع المصادر التي ترجمت له يجعل نسبة الرسالة المزعومة إليه محل شك كبير. لو كانت هناك رسالة حقيقية من الشيخ الأسمر إلى ابن أقيت، وهو شخصية معروفة، لكانت هذه الرسالة معروفة ومشهورة، ولأشير إليها في ترجمته. لكن الواقع يدل على أن اسم ابن أقيت استُخدم هنا لإضفاء مصداقية زائفة على الرسائل، بحيث يُقال: "انظروا، من بين المرسل إليهم شخصية معروفة مثل ابن أقيت"، لكن التدقيق يكشف زيف هذا الادعاء.

4- أين التقى البرموني بكل هذه الشخصيات؟، ولم يذكر أنه التقى بها مع أنه في الكتاب اهتم بأدق التفاصيل عن شخصيات أخرى.

5- لماذا غابت هذه الرسائل عن صاحب كتاب فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم، ولم يذكرها البتة مادامت بهذه الشهرة؟ فعدم علم عبد السلام التاجوري بهذه الرسائل ولم يذكر أي من الشخصيات المرسلة لهم، يبعث في النفس الشك أنها كتبت فيما بعد، ونسبت للشيخ الأسمر.

6- من أقوى الأدلة على عدم أصالة هذه الرسائل هو التباين الواضح والصارخ بين الأسلوب اللغوي للرسائل والأسلوب المعروف للشيخ الأسمر. فالشيخ الأسمر، بحسب ما وصل إلينا من تراثه الشعري، كان يستخدم اللهجة العامية الليبية، ولغته بعيدة عن الفصاحة الأدبية العالية. شعره كان شعبيًا، يُنشد بمصاحبة الدف، ويحتوي على خليط من العامية والإشارات الدينية والصوفية الشعبية. بالمقابل، نجد أن الرسائل مكتوبة بلغة عربية فصيحة، بأسلوب متكلف يحاكي أساليب الكتابة الصوفية الرسمية، بعيدة كل البعد عن البساطة والعفوية التي تميز تراث الشيخ الأسمر الشعري. هذا التباين الأسلوبي الحاد لا يمكن تفسيره بأن الشيخ كان يستخدم أسلوبين مختلفين (أحدهما في الشعر والآخر في النثر)، فالأسلوب يعكس شخصية الكاتب وثقافته، ومن الصعب أن يكون لشخص واحد أسلوبان متباينان إلى هذا الحد.

7- من العلامات الأسلوبية التي تشير إلى تعدد الكتّاب أو الاقتباس من مصادر مختلفة هو التباين الواضح في صياغة مقدمات الرسائل. فكل رسالة تبدأ بديباجة مختلفة، دون وجود نمط ثابت أو صيغة معتادة يتبعها الكاتب. هذا أمر غريب، إذ إن من عادة الكتّاب، وخاصة في التراث الإسلامي، أن يكون لهم أسلوب ثابت في افتتاح رسائلهم (مثل البدء بالبسملة ثم الحمدلة ثم الصلاة على النبي بصيغة معينة). التباين في المقدمات يشير إلى أن هذه الرسائل لم تكتب بيد واحدة، أو أنها اقتُبست من مصادر مختلفة ثم جُمعت ونُسبت للشيخ الأسمر. كما أن هذا التباين يتناقض مع فكرة أن شخصًا واحدًا (الشيخ الأسمر) هو من كتب جميع هذه الرسائل، إذ من الطبيعي أن يحافظ الكاتب على نمط معين في رسائله.

8- من الملاحظات المهمة أن بعض الرسائل طويلة جدًا، تمتد لعدة صفحات. هذا أمر غير معتاد في ذلك العصر لعدة أسباب: أولًا، الورق كان نادرًا ومكلفًا، وخاصة في البيئة الصحراوية الليبية. ثانيًا، الرسائل في ذلك العصر كانت تميل إلى الاختصار والإيجاز، وخاصة في المراسلات الشخصية بين الشيخ ومريديه. ثالثًا، الطول المفرط لبعض الرسائل يجعلها أشبه بمقالات صوفية أو فصول من كتب إرشادية منه برسائل شخصية. هذا الطول غير المبرر يرجح أن هذه النصوص ليست رسائل حقيقية، بل هي مواعظ وإرشادات صوفية جُمعت من مصادر مختلفة ثم صيغت على شكل رسائل ونُسبت للشيخ الأسمر. فالرسالة الحقيقية تكون موجهة لشخص معين في ظرف معين، وتحمل طابع المباشرة والشخصية، بينما ما نراه في هذه النصوص هو طابع عام تعليمي يشبه المؤلفات أكثر من المراسلات.

9- من أخطر الأدلة على وضع هذه الرسائل هو اكتشاف أن إحدى الرسائل منقولة حرفيًا، مع بعض التصرف البسيط، من وصايا الشيخ عمر الجيلاني، وهو شيخ صوفي عراقي. هذا الاقتباس المباشر يكشف بوضوح أن من كتب هذه الرسائل كان يستعين بنصوص صوفية موجودة وينسبها للشيخ الأسمر. لو كان الشيخ الأسمر هو الكاتب الحقيقي، فما الداعي لأن ينقل نصًا كاملًا من شيخ آخر؟ هذا النقل الحرفي دليل قاطع على أن هذه الرسائل مُختلَقة، وأن من اختلقها كان يجمع نصوصًا صوفية من هنا وهناك وينسبها للشيخ الأسمر. ومن المرجح جدًا أن بقية الرسائل تحتوي على اقتباسات مماثلة من مصادر صوفية أخرى لم يتم اكتشافها بعد. هذه الرسالة تبدأ بنفس الديباجة والأسلوب الموجود في وصايا الجيلاني، ثم تسير على نفس النسق، مع بعض التعديلات الطفيفة لجعلها تبدو وكأنها موجهة من الشيخ الأسمر إلى أحد مريديه. هذا النقل المباشر دليل قاطع لا يقبل الشك على أن من كتب هذه الرسالة لم يكن الشيخ الأسمر، بل كان شخصًا آخر استعان بنصوص صوفية جاهزة ونسبها للشيخ. والسؤال الذي يطرح نفسه: إذا كانت هذه الرسالة منقولة، فما الذي يضمن أن الرسائل الأخرى ليست كذلك؟

10-ولفهم مدى احتمالية أن تكون هذه الرسائل أصلية، يجب أن ننظر إلى السياق التاريخي والثقافي للقرن العاشر الهجري في ليبيا. كانت زليتن والثقافة الكتابية فيها محدودة. معظم التواصل بين المشايخ ومريديهم كان شفهيًا، وخاصة في الطرق الصوفية التي تعتمد على التلقين المباشر والمشافهة. الورق كان نادرًا ومكلفًا، والكتابة كانت مقتصرة في الغالب على المتون الدينية والعلمية المهمة وتوثيق حجج بيع وشراء العقارات. فكرة أن شيخًا صوفيًا في تلك البيئة يكتب عشرات الرسائل المطولة إلى مريديه، ثم يحتفظ بنسخ منها، هي فكرة تتناقض مع الواقع الثقافي والاقتصادي لذلك العصر والمكان.

11-الطريقة العروسية، التي ينتسب إليها الشيخ الأسمر، كانت طريقة شعبية تعتمد على الذكر الجماعي والإنشاد والموسيقى (الدف). طبيعة هذه الطريقة كانت عملية وشفهية أكثر منها نظرية وكتابية. الشيخ الأسمر نفسه كان معروفًا بالشعر الشعبي والغناء الديني، وليس بالتأليف أو كتابة الرسائل النظرية في التصوف. وجود هذه المجموعة الكبيرة من الرسائل النظرية يتناقض مع طبيعة الطريقة العروسية وطبيعة شخصية الشيخ الأسمر كما رُسمت في المصادر المبكرة. فالشيخ الأسمر لم يكن عالمًا متبحرًا في العلوم الشرعية والتصوف النظري، بل كان شيخًا شعبيًا يخاطب العامة بلغتهم وأساليبهم.

12-من المعروف في دراسات التراث الصوفي أن ظاهرة الانتحال والنسبة الزائفة كانت منتشرة، وخاصة بالنسبة للأولياء والمشايخ الذين حازوا شهرة واسعة. فالمريدون المتأخرون، برغبتهم في تعظيم شيخهم وإثراء تراثه، كانوا يختلقون له أقوالًا وأفعالًا وكرامات ورسائل، ثم ينسبونها إليه بحسن نية أحيانًا. الشيخ الأسمر، بحكم شهرته الواسعة في ليبيا أو أن هذه الكتب ونسبتها له كانت لغرض تعزيز شهرته، لذلك كان هدفًا طبيعيًا لهذا النوع من الانتحال. فالمريدون المتأخرون أرادوا أن يجعلوا من شيخهم عالمًا مؤلفًا وكاتبًا، فاختلقوا له هذه الرسائل ونسبوها إليه، دون أن يدركوا أن هذا الانتحال سيُكشف يومًا بأدوات النقد العلمي.

13-بفحص الرسائل الأخرى، نجد أنها تحتوي على نفس السمات الأسلوبية: لغة فصيحة متكلفة، اقتباسات من آيات وأحاديث مع شروح مطولة،

نصائح عامة في التصوف والسلوك، دون أي إشارات شخصية أو ظرفية تدل على أنها موجهة لشخص معين في موقف معين. إلا في بعض المقتبسات إضافة كلمة "إخواني" مثل ما حدث في الوصية الكبرى والتي بينا بما لا يدع مجال للشك من انتحالها، وكاتب هذه الرسائل يحاول مجاراة نفس الأسلوب ولكن في سياقات غير مناسبة وكأنها زج بها في النص زجا. كما نجد أن الرسائل تحتوي على مصطلحات ومفاهيم صوفية متأخرة، لم تكن شائعة في عصر الشيخ الأسمر، مما يرجح أنها كُتبت في فترة لاحقة. اللغة المستخدمة تشبه لغة الكتب الصوفية النظرية، وليس لغة الرسائل الشخصية. كما أن من سمات الرسائل الحقيقية أنها تحتوي على إشارات شخصية وسياقية: الإشارة إلى حدث معين، سؤال طرحه المرسل إليه، ظرف خاص يعيشه، حال معينة يمر بها. لكن الرسائل المنسوبة للشيخ الأسمر تخلو تمامًا من هذه العناصر. إنها نصائح عامة يمكن أن توجه لأي شخص في أي زمان ومكان. هذا الطابع العام يؤكد أن هذه النصوص ليست رسائل حقيقية، بل هي مواعظ ونصائح صوفية عامة، جُمعت من مصادر مختلفة أو كُتبت بشكل منفصل، ثم جُمعت ونُسبت للشيخ الأسمر على شكل رسائل.

والخلاصة أن كل هذه التساؤلات تثير شكوكا حول نسبة هذه الرسائل إلى الشيخ عبد السلام الأسمر، والباب مفتوح للتحقق من صحتها وخاصة مع وجود البرمجيات في هذا العصر، كما ذكرت لاكتشاف مقتبساتها، ودراسة أسلوب كاتبها، أو كُتابها، ودراسة شاملة لكل المخطوطات والوثائق المتعلقة بسيرة الشيخ الأسمر للتحقق من صحة نسبتها له.

الباب الخامس

الافتراءات والمناظرات الموضوعة

لقاء العوسجي بالشيخ الأسمر: قراءة نقدية في مصادره

يذكر البرموني في الكتاب المنحول إليه "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في جمع البعض من مناقب صاحب الطار" تحقيق د. عبد الحميد الهرامة، عند الحديث عن طفولة الشيخ الأسمر، أن الشيخ الكبير الأمير سيدي علي بن عبد الحميد العوسجي يقول: "دونكم انظروا سلطان طرابلس هاربا، إلى أين يا عبد السلام؟ السلطان ما يهرب، ويكرر هذا الكلام"[1].

القصة كذلك وردت حرفيًا في كتاب مخطوط فتح العليم للتاجوري. ثم يذكر البرموني في نفس الصفحة أن سيدي علي هذا توفي في شهر ربيع الثاني عام 825 هـ خمسة وعشرين وثمانمائة. وبحسب هذا التاريخ المذكور فإن الشيخ علي العوسجي لم يلتق بالشيخ الأسمر لأن الشيخ الأسمر ولد سنة 880 هـ أي بعد وفاة العوسجي بخمسة وخمسين سنة. لعل صاحب كتاب النفحات الفيتورية[2] تنبه

1) روضة الأزهار، ص: 205.

2) النفحات الفيتورية في القصائد الأسمرية، ص: 29.

حديثا إلى أنه لم يلتقي بالأسمر حتى في عالم الخيال فقام بتمديد عمر العوسجي وقال أنه عاش 150 سنة وتوفي سنة 955 هـ، دون الاستناد إلى أي مصدر قديم.

ويذكر الشيخ الطاهر الزاوي[1] أن علي بن عبد الحميد العوسجي ولد تقريبا سنة 775 هـ، أي أن عمره عند ولادة الشيخ الأسمر تقريبا 105 سنة، ولو تصورنا جدلا حدوث هذه القصة الخيالية فإن الأسمر على أقل تقدير عمره عشرة سنوات عندما كان عمر العوسجي مئة وخمس عشرة سنة، وهو يجري خلف أطفال ويلقي بهذه التنبؤات التي لا رواج لها إلا في خيال قفة الصلاح.

ومن الدلائل التي تدل على صناعة الكتاب، والإضافات المستمرة له، وجود أبيات من الشعر في روضة الأزهار تعدّ حديثة نسبيا. تأمل معي هذا النص: "فلما وصلت وسلمت عليه، بكيت وقلت هذين البيتين:

أيظلمني الزمان وأنت فيه وتأكلني الذئاب وأنت ليثي

ويروى من جنابك كل ظامي وأظمأ في حماك وأنت غيثي

والأبيات السابقة لقائلها أبو الهدى الصيادي، واسمه الكامل محمد بن حسن وادي بن علي الصيادي الرفاعي الحسيني، ولد بولاية حلب سنة 1266هـ، وتوفي سنة 1328 هـ، وتولى منصب شيخ مشايخ الدولة العثمانية، ويقال إنه يرجع إلى آل البيت. فيا للعجب من توارد الأفكار حتى يقول عبد الحميد ضي الهلال هذه الأبيات في تطابق عجيب.

وقد رأينا في عنوان سابق كيف نسبت لضي الهلال قصيدة أخرى وبينا مصدر انتحالها. هذه الأبيات قد تشير إلى أن نسخة أبي زبيدة، وهي أحدث نسخة تحوي معظم ما نسب للأسمر من رسائل، وفي هذه الاقتباسات دليل على أن هناك تعديلًا حديث للمخطوط في نهاية القرن الثاني عشر، وإضافات بعد سنة 1300 هـ.

تنبؤ الأسمر بوفاة اليربوعي: تحقيق في مصدر الرواية وتاريخها

جاء في كتاب روضة الأزهار، في قصة نسبت إلى العاقب بن أقيت، والذي من المؤكد أنه لم يلتق بالشيخ الأسمر، ولكن كعادة من اختلقوا قصص وكرامات

1) أعلام ليبيا، الطاهر الزاوي، دار المدار الاسلامي ص: 261.

الشيخ الأسمر لم يتركوا شخصية مشهورة إلا ونسبوا له قصة مع الشيخ الأسمر. فينسب للشيخ الأسمر أن العاقب بن أقيت يروي تنبؤ الشيخ الأسمر بوفاة الشيخ أحمد بن عبدالحميد اليربوعي المشهور ببحر السماح[1]، ويذكر أنه حفظ القرآن في زاوية الشيخ الأسمر[2]، لكنه في الحقيقة توفي سنة 979 هـ أي بعد تأسيس الزاوية نفسها فقط بثمانية سنوات، فالزاوية على الصحيح أسست سنة 971 هـ كما ذكر التاجوري في فتح العليم، وكما حققنا ذلك في عنوان سابق. وبحر السماح ارتحل إلى الأزهر لطلب العلم مبكرا ودرس على علماء لهم شهرتهم كاللقاني، وغيره[3]. فهل حفظ القرآن قبل أن يتوفاه الله بسنوات قليلة، وتذكر في آخر عمره حفظ القرآن في زاوية الشيخ الأسمر؟

هذه فقط أمثلة على بعض الأخطاء التاريخية عن بعض الشخصيات التي زعموا أنها إما بشرت بمولد الشيخ الأسمر، وكأنهم يعلمون الغيب، أو التقوا به وناظروه ثم أذعنوا واستسلموا له، أو نسبت لهم مشاهدات لكرامات يحكونها عن الشيخ الأسمر.

لقاء ومناظرة الحطاب للأسمر: مساءلة تاريخية للنص

جاء في روضة الأزهار ما نصه: " وحدثني الأخ في الله الصالح سيدي محمد بن محمد الصغير التاجوري، كان من أجلّ أصحاب الشيخ – قال: جاء الشيخ الفقيه العالم سيدي محمد بن محمد الحطاب، من مصر إلى تاجورة، فقصد زيارة والده بزاويته المعروفة به، فسمع بالشَّيْخ – الذي هو مولانا عبد السلام – وأحواله، فجاءه بمسجد الناقة بداخل مدينة طرابلس، فلما اجتمع مع الشيخ، قال له – مُنكِرًا عليه: يا عبدَ السَّلام! ذكروا لنا أنك تؤم الفقراء، وتقول بلفظ الجلالة، فهذا ذكرٌ غير مشكور؛ لأنَّه بدعة لَمْ تُنْقَل عن السلف، وأنَّ الذاكر به لا أجر له، فقال له الشيخ: وعن مَنْ نقلت ذلك؟ فقال: نقلته من جواب العز بن عبد السَّلام، فقال: يا محمد بن محمد دعني في حال فقرائي ساعة لا يسعني فيها إلا ربي، فلما سمع من الشيخ ذلك تحركت نفسه، وامتلأ غيظاً وغضبًا، وأظهر

1) روضة الأزهار، ص: 535

2) روضة الأزهار، ص: 537.

3) أعلام ليبيا ص: 97-98

الصولة، وقال: ما هذا جواب، وما هذه طريقة الصالحين. فقال له الشَّيْخ: انتهِ عمَّا تقولُ وإِلَّا أطيرك بعلمك المحطَّب الذي أفنيت عمرك في تحطيبه، ولَمْ تُدرك له حقيقة، ودفَعَه، فلَمْ يشعُر بنفسه إلَّا وهو في جزيرة واسعة، لَمْ يَعْلَمْ لها طولا ولا عرضًا، فأقبل يلومُ نفسَه ويعاتبها، وهو ذاهل العقل غائب الصواب ويقول: ما لي ومعارضة أولياء الله تعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصار يبكي ويستغيث، ويبتهل إلى الله، فبينما هو كذلك إذ ظهر له رجل ذو هيبة ووقار يسلم عليه، فرد عليه السَّلام وقام له، وجعل يُقبل يديه ورجليه، فقال له ما قَضَيتُكَ؟ فأخبره بما وقع له مع مولانا عبد السَّلام، فقال : لقد وقعت في أمر عظيم وخطر جسيم، أتدري كم بينك وبين بلادك طرابلس الغرب؟ قال: لا والله ، قال لقد أرسلت له : مسيرة سبعين سنة، فازداد همه وغمه، وضاق عليه الأمر، ولجأ إلى الله في السر والجهر بعد الحوقلة، والاسترجاع، والتوبة، والإقلاع، ثُمَّ أقبل على الرجل وهو يقول: أرشدني يرحمك الله، فقال: لا تخف سيهون الله عليك، فما يكون إلا خيرًا إن شاء الله تعالى. قال: وكيف ذلك يا سيدي يرحمك الله؟ قال: فأخذ بيده وأراه قبة عظيمة شديدة البياض عن بعد، وقال: أتنظر هذه القبة ؟ فقال: نعم. فأمره بالذهاب إليها، والجلوس داخلها، فإنه مسجد يأتيه الشيخ سيدي عبد السَّلام كل يوم لصلاة الظهر والعصر، فإذا أراد الصَّلاة فصلِّ معه الوقتين، وإذا أراد الانصراف تشبث به، وتعلق بأذياله، وتملق بين يديه، واسأله بالله العفو، وقبل يديه ورجليه، واكشف رأسك، وتذلل وتأدب لله، وقل له: إنني أستغفر الله وأتوب إليه، ولا أعود لما صدر مني، فإذا رأى ذلك منك فإنه يقبل عليك، ويعيدك إلى موضعك إن شاء الله تعالى، قال سيدي محمد الصغير التاجوري المذكور: وكان الذي ذكر له ذلك الخضر[1]، فامتثل سيدي محمد بن محمد الحطاب ما أمر به، ومشى إلى ناحية القبة، ودخل إليها بوضوء، وجلس ينتظر قدوم الجماعة، فما كان إلا يسيرًا وإذا هُم قد أقبلوا من كلِّ جانب، ثُمَّ أقيمت الصَّلاة، فتقدم سيدي عبد السلام وصلى بهم، فلمَّا انقضت الصَّلاة تعلق سيدي محمد بن محمد الحطاب بأذيال سيدي عبد السَّلام، وكشف رأسه وجعل يُقبل يديه ورجليه ويبكي، ويستغفر الله ويعتذر من جنايته، وأنصف من

1) الخضر شخصية خرافية يروى عنه المتصوفة الكثير من الخرافات كالتي اقتبست هنا من خرفات رويت عن الشيخ احمد البدوي وابن دقيق العيد. يبدو أن الخضر الذي كان مع موسى عليه السلام أصبح مشغولا بنقل هذه الخرافات؟

نفسه. قال: فأقبل عليه الشَّيْخ – الذي هو مولانا عبد السَّلام – ، وقال له: أترجعُ عما كنت فيه، ولا تعد إلى مثل ما كان منك من الإنكار على المنتسبين له ؟ لقد أرسلت فقال: نعم، السمع والطاعة. فقال له الشيخ: ما سلف عفونا عنك فيه، ثم أمره أن يُغْمِضَ عينيه، فلمَّا غمضهما دفعه الشيخ دفعة لطيفة، وقال: اذهب إلى بلاد تاجوراء، فإن عيالك في انتظارك، فلم يشعر سيدي محمد بن محمد بنفسه إلا وهو واقف بباب زاوية أبيه، فأقام في بيته مدة لم يخرج، ولم يظهر لأحد لما جرى له في هذه الواقعة بينه وبين مولانا المشقة من عبد السلام. فلما أكمل السبعة أيام خرج لزيارة الشيخ – الذي هو مولانا عبد السلام – وأخذ عنه التلقين، وخدمه مدة، وقصد الحج لبيت الله الحرام وهاجر بمكة، ولم يزل بها إلى أن مات ودفن هناك"[1]. اهـ

القصة السابقة التي نسبت للأسمر مع الحطاب، وردت بنفس التفاصيل، والعبارات لكرامة حدثت مع الشيخ أحمد البدوي وابن دقيق العيد عندما أنكر عليه بعض أفعاله[2].

هذا النص، والذي يتكرر في كل من كتب، أو نسب لاحقا للشيخ عبد السلام الأسمر، وكأن ثمة مناظرة علمية حقيقية جرت بينه وبين الأسمر وليست نوعا من استعراض خرافي للكرامات في مواجهة عالم له وزنه العلمي، ومؤلفاته المشهورة كالحطاب. ومع عدم صحة لقاء الأسمر مع الشيخ الحطاب واعتراضه عليه، وخرافة رميه في جزيرة تبعد سبعين سنة عن بيته، إلا أننا أوردنا النص لنتبين حقيقة المشروع الإصلاحي الذي أكثر عنه الحديث الشيخ أحمد القطعاني وأتباعه مثل صاحب "قفة الصلاح"، ومناقشة النص، وبيان ما فيه من تناقضات وافتراءات على الشيخ الأسمر.

1) روضة الأزهار ص 579 – 581. لم أجد من ذكر انه دفن بمكة إلا هذا المصدر، وبالرغم من الشك في معظم تواريخ وقصص البرموني لن يبدو أن ولادته ودراسته بمكة واستقراره بها يرجح انه مات ودفن بها والخبر يحتاج إلى تحقيق والله أعلم.

2) مناقب سيدي أحمد البدوي، المسماة بالجواهر السنية والكرامات الاحمدية، سيدي عبدالصمد، داعي الحضرة الاحمدية، تحقيق أحمد السائح وتوفيقة وهبه، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2007م، ص: 70 -72.

من خلال هذا النص، وغيره من النصوص التي يريد من لفقها للشيخ الأسمر أن يبين أن الأسمر قد أجرى مناظرات، وانتصر فيها على علماء لهم وزنهم في ذلك العصر كالحطاب، والسنهوري، وسالم الطاهري، والدوكالي والفقيه سالم الحامدي، وبدون أي نص علمي يبين تفاصيل المناظرة ولكن ينتقل المفتري على الشيخ الأسمر إلى عالم الخرافة، وإظهار الخوارق، ليخرج الأسمر منتصرا على كل هؤلاء العلماء، معتقدا أنه بهذه المفتريات قد أحسن للشيخ الأسمر.

إن الشيخ محمد بن محمد الحطاب[1] طبقت شهرته في بلاد المسلمين وكان عالما محققا له العديد من المؤلفات، ولد بمكة سنة 902 هـ وتوفي سنة 954 هـ. وقد توفي قبل تحرير مدينة طرابلس من الاسبان ودفن بمكة، وكان جامع الناقة قد هدم مع دخولهم ولا يدخله أحد لأن المدينة في ذلك الوقت تحت حكم الاسبان، فكيف التقى الشيخ الأسمر بالحطاب في مسجد الناقة؟

إذن فهناك شك كبير في أي لقاء بين الحطاب[2] والشيخ الأسمر، والقصة مختلقة بجميع تفاصيلها ومقتبسة حرفيا من كتاب مناقب أحمد البدوي. وثانيا إن الذكر الذي اعترض عليه كان يمارسه بعض المتصوفة في ذلك الوقت فلماذا يعترض علي الشيخ الأسمر بالذات؟

إذن تبقى قصة استخدام الدف والحضرة وما صاحبها من قصائد ادّعى فيها القطبانية، وغيرها، مما أنكره عليه معظم علماء المنطقة، هي السبب الذي أدى إلى طرده، من كل مكان يأوي إليه. أما لقاء الحطاب بالأسمر فمثل غيره من الافتراءات بتلقي السنهوري، والبرموني، والحطاب، وغيرهم من العلماء عنه.

هنا نتساءل مرة أخرى عن مضمون أي مشروع إصلاحي يتحدث عنه "قفة الصلاح"؟ أليس الحطاب، وحلولو، وأحمد زروق، كانوا معاصرين له وقد بقيت مؤلفاتهم إلى يومنا هذا؟ هنا سيحيلك "قفة الصلاح" إلى حادثة حرق زاوية الأسمر، وحرق المئات من الكتب التي لم يكن لها وجود في الواقع، وبهذا التضخيم، وربما زعمه ضياع كتب المشروع الإصلاحي، ولو كانت موجودة،

1) المكي المولد والقرار، شجرة النور الزكية، محمد مخلوف، ج1، ص: 270.

2) أقدم من ترجم له أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج، ص: 592 . ولم يذكر له أي لقاء بالشيخ عبد السلام الأسمر ولا حدثت له معه مناظرة ولا أخذ عنه شيء، وقصة اللقاء من المفتريات التي في البرموني.

لانتشرت في زمنه الذي عمر فيه إلى مائة سنة. وماذا عن هذه الكتب التي زعم أنها نجت من الحرق مثل كتاب الوصية الكبرى، أو كتاب التحدث بالنعمة، التي نسبت للشيخ الأسمر بعد وفاته. فأي مشروع إصلاحي تحمله هذه الكتب المنحولة للشيخ الأسمر غير الخرافات، والخوارق، التي فاقت معجزات الأنبياء؟

مناظرة الأسمر لهمام والحامدي ومبارك: تحقيق في وقوعها التاريخي

لعل شخصيات مثل الشيخ همام، و الفقيه مبارك الحامدي، وسالم الحامدي[1] قد تعرضت لتشنيع وتشويه كبير من اتباع الطريقة العروسية بسبب إنكار هؤلاء على الشيخ الأسمر، وقيلت فيهم قصائد كثيرة تهجوا وتدعوا عليهم بالويل والثبور، كما في كتاب "الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام" وكتاب "النفحات الفيتورية في القصائد الأسمرية"[2]، وكتاب "روضة الأزهار" حيث تروى قصص من دعاء الشيخ الأسمر عليهم، وتارة أبيات من الشعر مازال يتغنى بها مريدو الطريقة عندما يضربون على الدفوف إلى يومنا هذا، ولم يكتب عنهم إلا خصومهم، ولم نجد لهم سيرة ذاتية، بالرغم من أن المباركي كان فقيها وقاضيًا.

ولنطلع على نوعية المناظرة التي افتريت على الشيخ الأسمر، وعلماء آل حامد، والتي يعتقد "قفة الصلاح" أن مصادرها غير موجودة، ليصنع مناظرات ومشاريع اصلاحية من خلال روايات خرافية.

ورد في كتاب "الزهر في الأكمام" قصة خرافية تدل على انتصار الشيخ الأسمر عليهم بضربه على الدف، قال :"وانظروا .رحمكم الله – حين مشى همام، ومبارك، والعلام، وجماعة من الأحامد قاصدين إلى مشايخ الركب، وشاكين في الشيخ سيدي عبد السلام المذكور، على أنه سحّار، وكهّان، ويضربُ الخط، وينقر، وينقط، ويخبره الجنون والشياطين، ويضرب الدفوف، ويجمع التلاميذ، ويفعل البدع المحرمة، فأجابهم المشايخ المذكورون بقولهم: نجتمع غداً في بلادكم حين

1) نسبوا له في نهاية المطاف اعترافه بالأسمر بعد مناظرة خرافية. كما نسبوا له انه ألف مجموع كبير في سيرة شيخه عبد السلام الأسمر. الغريب في الامر أن الفقيه سالم الحامدي ارتحل إلى الأزهر، ثم يتحول إلى تلميذ عن الشيخ الأسمر كغيره من العلماء كالحطاب وسلم بن طاهر والبرموني والسنهوري. انظر ترجمته المحرفة في موسوعة القطعاني، ج1، ص: 495.

2) النفحات الفيتورية في القصائد الاسمرية، عبد السلام الأسمر، أحمد حامد الشريف، 1998م.

المرور منها، ونتذاكر شؤونه إن كان على الحق سلَّمنا أحواله وأفعاله وأمره، وإن كان على الضلال، انتقمنا منه الانتقام الشديد، فأظهر الله عليهم الشيخ سيدي عبد السلام: أنهم قد اشتكوا فيه لأهل الركب إلهامًا من الله وكشفاً. فلما أصبح الله الغد بخير صباح، وإذا بالركب يمر من تلك البلد، فأخذ الشيخ سيدي عبد السلام الطار – وهو الدف بيده ومشى هو وأصحابه إلى أن وصلوا إلى مشايخ الركب فقال: المشايخ المذكورون: هذا الرجل الذي قد أخبرونا عليه بالأمس.على زعمهم – أنه على غير حقيقة، والشيخ يسمع كلامهم يعني كلام المشايخ، فأخذ الدُّفَ بيده اليمنى، وضربه، وهو يقول بأعلى صوته هذه الأبيات، وبضرب الدف ويقول:

يا من له العزا   هز القلوب هزا
يا شيخ بو عزا   احضر ودير درزا
أينه أبا يعزا   والشيخ بو معزا
وصيود في غزة   والقطب أبي فرزا
يا شيخ بو هادي   فهم لي حسادي
نبكي من الأعادي   جيراني وابلادي

فما أتم هذه الأبيات، وإذا بالركب يهتز، ويتمايل كله كالأبل، والبغال، والخيل، والحمير، وابن آدم، وبقوا سكارى داهشين[1] مصروعين فرجع يقول:

يامن له القدرا   داو القلوب تبرا
تصحى من السكرا   بالرسل والعشرا

فرجع كل شيء في مكانه، وقد فاقوا من تلك الدهشة، والسكر، والأغماء، وسلموا له في القول والفعل، وأخذوا عنه الأوراد أولئك المشايخ، وهذا خبر صحيح، لا شك فيه ولا ريب، والكلام يطول في هذه الحكاية[2]. القصة السابقة

---

1) كلمة غير فصحى ما زالت تستخدم إلى يومنا هذا بمعنى أصابهم الإرهاق أو التعب.

2) الزهر في الأكمام في طريقة مولاي عبد السلام، عمر بن جحا، تحقيق الهرامة، ص 66 – 68.

وردت في روضة الأزهار [1]، في تشابه عجيب وشبه متطابق في نقل نصها، تدل على تكرار نقل النصوص بعضها من بعض.

ومع ما القصة من الخيال الخرافي لا نجد فيها أي مناظرة علمية، وإنما كرامة لبندير الشيخ الذي جعل الجميع يرقصون ويهتزون مع نغمات ضرب البندير، ثم يعترفون في نهاية المطاف ويسلمون للشيخ الأسمر، ولا ينسى واضعوا هذه الخرافة أن يؤكدوا على التسليم له في نهاية المطاف، وأخذ الطريقة عنه كعادة كل من اعترض على الشيخ الأسمر.

لكن هل أخد همام ومبارك، والعلام عن الشيخ، أم أنه سهو من واضع القصة الخيالية.

من خلال القصص الواردة عن الأحامد، وشيوخهم، يبدو أنهم لم يتوقفوا عن نقد الشيخ الأسمر ومعاداته، لذلك وردت العديد من القصص التي تذكر أن الشيخ الأسمر كان يدعو عليهم وبهلاكهم[2]، مع قصص عن سوء خاتمتهم[3].

لكن الذين اختلقوا القصة السابقة في ذلك الوقت، قد لا تكون في صالح الأسمر، فالتهم الموجهة له قد تثبت عليه، بسبب استخدام الدف الذين جعلهم يرقصون ويغيبون عن وعيهم. وعلى كل حال فالقصة من صنع خيال خرافي، لكن الخلاف بين الفقيه المباركي والأسمر، قد يكون له وجه تاريخي صحيح، وليس لدينا مصادر أخرى تذكرها سوى من خلال خصومهم الذين نسجوا هذه القصص في روضة الأزهار، والزهر في الأكمام، وفتح العليم، وغيرهم من منتسبي الطريقة العروسية.

كل هذه الافتراءات لا تصمد أمام أقل وأيسر نقد وتحليل تاريخي موضوعي لكل هذه القصص، وما فيها من متناقضات، لكن العجيب أن يتم تبني هذه القصص، وأن يُجعل منها مناظرات علمية، وكأننا في نقاش فقهي عقدي، وليس في ساحة

1) روضة الأزهار، ص 545-547.

2) روضة الأزهار ص: 401.

3) روضة الأزهار ص: 402

استعراض كرامات، وخرافات، لتتحول فيما بعد إلى مناظرات انتصر فيها الأسمر، وانتشر مشروعه الإصلاحي المزعوم.

لقاء الأسمر بالدوكالي: مساءلة زمنية للرواية

نذكر هنا نصاً آخر من روضة الأزهار يحكي نوعية المناظرة، إن كان هناك ثمة مناظرة مع الشيخ الدوكالي، وغيره من العلماء التي يتحدث عنها " قفة الصلاح"، وعن المشروع الإصلاحي الخفي الذي غاب عنه.

ففي روضة الأزهار[1] نجد أن إنكار الشيخ الدوكالي كذلك كان بسبب استخدام الدف. لكن قبل مناقشة الخلاف بينهم، هل يثبت تاريخيا بحسب المصادر المتوفرة لدينا لقاء الشيخ الدوكالي بالشيخ عبد السلام الأسمر؟، وهل أخذ عنه كما يذكر البرموني في روضة الأزهار؟.

هناك أدلة على عدم لقاء الأسمر بالشيخ الدوكالي لأن التحقيق التاريخي الصحيح يؤكد أن الشيخ الدوكالي لم يلتق بالأسمر، فالشيخ الأسمر ولد في مدينة فاس بالمغرب سنة 880 هـ من أم مغربية أسمها عيادة كما ذكر عبد القادر الخلادي، وكان الأسمر يستخدم الدف بالمغرب بمدينة فاس. فكيف درس على الشيخ الدوكالي وهو لم يدخل إلى طرابلس إلاّ بعد أن مر على تونس، وبقي بها سنوات إلى أن تركها بسبب وشاية، يبدو أنها نفس الوشاية التي تعرض لها من قبله أحمد أبو تليس، وفتح الله أبو رأس، وأدت بهم إلى مغادرة تونس والهجرة إلى طرابلس الغرب.

فإذا كان الأسمر قد جاء إلى طرابلس على أقل تقدير وعمره 45 سنة، كما ذكرنا سابقا، أو ولادة الأسمر في زليتن سنة 880 هـ بحسب رواية البرموني وحفظ القرآن وعمره سبع سنين، وقرأ على عمه أحمد النحو والمنطق والتوحيد والفقه[2]،على أقل تقدير في سبع سنوات أخرى، أي عمره أربعة عشر سنة، أي في سنة 894 هـ، ولنفترض بعدها أن عمه أخذه للشيخ الدوكالي ليأخذ عنه، فكم كان عمر الشيخ الدوكالي في ذلك الوقت.

---

1) روضة الازهار، ص 223.

2) روضة الأزهار ص 219. هذه الروايات دون شك ملفقة ونسجت في البرموني وغيره والتي بينا صناعتها بالأدلة القاطعة.

ودعنا نصدق أن الأسمر ولد بزليتن، فبحساب بسيط أن الدوكالي كان عمره 88 سنة عندما ولد الأسمر، لأن الأسمر من مواليد 880 هـ، ولو افترضنا أن الأسمر أحتاج لعشرة سنوات حتى يحفظ القرآن ثم ينتقل للدوكالي بمسلاته فيكون عمر الدوكالي 98 سنة عندما كان عمر الأسمر 10 سنوات، لكن التحريف الذي ثم تعديله فيما بعد في الوصية في إضافة افتراء أخر أن الدوكالي عاش 130 سنة ولم ينحنِ ظهره، ولم تسقط أسنانه اعتمادا على ما جاء في الوصية الكبرى[1]، فتكون ولادة الدوكالي سنة 800 هـ كما توصل إلى ذلك الاستاذ مختار بن يونس معتمدا على ما جاء في الوصية انه عمر 130 سنة[2]، وعمر الدوكالي 98 سنة عندما كان سن الشيخ الأسمر 10 سنة كما ذكرنا، وهو أمر مستبعد، ويبدو أن من وضع أن الدوكالي عاش 130 سنة ليكون لقاءه بالأسمر مقبولا تاريخيا وهو استدراك ولم يذكر في البرموني. إذن فلقاء الدوكالي مع الأسمر مستبعد جدا، وعلى كل حال الأمر يحتاج إلى مراجعة صحة لقاء الدوكالي بالشيخ عبد السلام الأسمر من خلال أحداث أخرى ومتناقضات تاريخية واضحة، في الكتب التي ذكرته وهنا ليس محل الاستطراد فيها.

أما حكاية أن الشيخ الدوكالي عاش 130 سنة[3] فأمر مستبعد جداً، وفيه مبالغة كما ذكرنا بحكم العادة، ويبدو أن خيال مريدي الطريقة قد جعلوا كل من اشتهر في ذلك الوقت من العلماء كان له لقاء بالأسمر وعارضه، وأذعن في النهاية له بعد مناظرات خالية من أي موضوعية علمية، وإعلان انتصار الشيخ الأسمر عليهم بفعل خوارق واستعراض كرامات لا يثبت شيء منها.

ولكن هل جرت مناظرة حقيقة بين الأسمر والشيخ الدوكالي على اعتراض الدوكالي على الدف؟، فبحسب ما جاء في روضة الأزهار: "بل غاية إنكاره على الشيخ إلا من جهة الدُف، وهو البندير، فكان ينكره عليه بكلام لين في الظاهر، مع كمال اعتقاده في الباطن من جهة الانتساب. ثم إذا خرج من عنده يقسم لمن حضر من الطلبة والفقراء وسائر الناس ولا يستثني، على أن مريدنا وصاحبنا

---

1) الوصية الكبرى، ص: 72. لاحظ أن بعض الطبعات تختلف فيها أرقام الصفحات.

2) من تاريخ الثقافة في ليبيا، مختار بن يونس، جمعية الدعوة الاسلامية، 2009م، ص: 153.

3) الحسابات التي استنتج بها مختار بن يونس ميلاد الدوكالي اعتمادا على انه عاش 130 سنة؟ فإن كانت هذه الرواية ملفقة فإن الدوكالي قد مات قبل أن يولد الأسمر ولم يلتق به حتى في طفولته.

عبد السلام من أكابر الأولياء الذين ليس بينهم وبين الله حجاب، ويقول لهم: إنما أقول له ذلك اتباعًا لظاهر الشريعة، وخوفا أن يتجاسر عليها من ليس هو مثله، وما جرى على ألسنة الناس من القيد والغل، والهجر وشبه ذلك في الشيخ فلا أصل له، عدا الدف كان ينكره عليه برفق كما مر، ولم يسلم له إلا بعد الإذن الإلهي"[1].

وهكذا بدعوى معرفة الغيب تارة، وبالإذن الإلهي، تارة أخرى ينتصر الشيخ عبد السلام الأسمر على الدوكالي، ويسلم له في قصص من خيالات وافتراءات الذين نسبوا كل هذه الخوارق للشيخ الأسمر.

نذكر هنا أن هناك عدة نقول تنسب لحوار أو كلام للشيخ الدوكالي نقله عنه الأسمر أو في حوار معه لا يصح منها شيء وقد ثبت افتراء هذه النقول ونسبتها للشيخ الدوكالي على لسان الشيخ الأسمر ومنها هذا النص الذي ذكرناه في تحقيق الوصية:

وكان شيخنا الدوكالي رضي الله عنه يقول في قوله تعالي (لعلمه الذين يستنبطونه منهم) والمستنبط هو الذي يعرف ويلاحظ علم الغيب أبدا ولا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه شيء إلى ان قال وفي قوله تعالى(للآيات للمتوسمين) والتوسم هو الذي يعرف بالرسم وهو العارف بما في سويداء القلب بالاستدلال والعلامات فيميز أولياء الله من أعداء الله إلى ان قال رضي الله عنه: إذا أراد الله عز وجل أن يولي عبدا من عبيده فتح عليه باب ذكره فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب ثم رقاه إلى مجلس الأنس ثم أجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وأدخله الفردانية وكشف له عن الجلال والعظمة"[2]. والكلام منقول من كتاب الطبقات للشعراني[3]. وأصل الكلام لأحمد بن عيسى الخراز ونسب للشيخ الدوكالي على لسان الأسمر.

---

1) روضة الأزهار ص 223.

2) الوصية الكبرى، ص 57-58.

3) الطبقات الكبرى للشعراني، الجزء الأول، ص79.

ولعل مقارنة كل ما نسب للدوكالي والأسمر تكشف عنه البحوث القادمة بمقارنة كل هذه الكتب والمخطوطات بكتب التصوف السابقة لها. وما ذكرناها في الكتاب يكفي في عدم صحة نسبتها للأسمر أو لقاء الأسمر بالدوكالي.

مناظرة الأسمر للشيخ سالم الطاهري: قراءة نقدية

ما هي حقيقة مناظرة الشيخ سالم بن طاهر للشيخ عبد السلام الأسمر، وما هي طبيعتها العلمية ومحتواها العلمي أو الفقهي، وما هو سبب الخلاف مع الشيخ الأسمر؟

يورد التاجوري في كتابه "فتح العليم" ما نصه: "وأما سيدي سالم بن طاهر فكان اعتراضه على الشيخ لا بهوى ولا حسد بل انتصارا لما ظهر له من الحق فكان يكلم الشيخ ويغلظ عليه القول على الطار[1] لا يجد فيه مسلك إبرة من الطعن إلا من جملته، ثم إذا خرج من عنده يقسم لمن حضره من الطلبة ولا يستثني على أن الشيخ من أكابر الأولياء ويقول لهم إنما أقول له ذلك اتباعًا لظاهر الشريعة خوفا أن يتجاسر عليها من ليس هو مثله. وكان الشيخ يقول له يا سالم ما وجدت من اين أدخل عليك إذا أردت أن أقبض عليك أجد دونك شوكًا وأجدك كالقنفذ متحصنًا بالسنة ومازال هكذا حتى جاء ذات يوم فقير للشيخ يبكي وكان يخاف كثيرا من بكاء الفقير، فقال ما يبكيك فقال له سيدي سالم انتهرني وقال لي كذا وكذا. قالوا فلطم الشيخ بيده في الهواء قائلا: كثر سالم. فكشف الحال أن لطمة الشيخ كانت في عين سيدي سالم بينما هو جالس مع بعض إخوانه إذ صاح من وجع عينه ووضع يده عليها يتألم ويقول: عيني عيني. وأخبرهم أنه الشيخ عبد السلام لطمه على عينه. وقال لهم إن لم تحملوني إليه عميت عيني فحملوه إليه وما أن وضع يده عليه ومن ذلك اليوم كف سيدي سالم عن الكلام مع الشيخ وجميع أتباعه وكانت له محبة ومواصلة"[2]. وقد وردت هذه القصة أيضا في كتاب روضة الأزهار.

1) الطار: يعرف أيضا بالدف أو البندير

2) مخطوط فتح العليم، عبد السلام التاجوري، ص 43. والنص كذلك ورد في كتاب الإشارات، التاجوري، ص:11.

هذه هي طبيعة المناظرة ورد الشيخ الأسمر على اعتراض الشيخ سالم بن طاهر، بان لطمه من على مسافة بعيدة فيصاب في عينه، فيقتنع بمسألة الدف وما يقوم به الشيخ.

ولكم أن تتخيلوا هذا السرد الخرافي الذي يتكرر في جميع الكتب التي نسبت للشيخ الأسمر بعد وفاته، فالشيخ الأسمر لم يدّع كل هذه الأمور وكان مجذوبا يستخدم الدف في إنشاد القصائد باللغة العامية، وأصلها فلكلور مغربي أتى به من المغرب، وله تاريخ في مدينة فاس قبل نزوحه منها إلى تونس، ومنها إلى طرابلس، ولم يدّعِ كل هذه الخرافات التي نسجت بعد وفاته، فمن المعلوم أن الشيخ سالم بن طاهر كان فقيها ومن أهل العلم في زمانه، وأسس مسجدًا في حياته، وأبناؤه وأحفاده قضاة وفقهاء؛ حتى اشتهر فرع منهم باسم القاضي، مازالوا إلى يومنا هذا بزليتن وكان سكنهم بقرية أولا غيث قديمًا بالقرب من مسجد دغار، وبالقرب من مقبرة محمد بن نفيسة الأنصاري.

لقاء مراد آغا والشيخ الأسمر: تحقيق في التسلسل الزمني للرواية

بقي أن نختم مناقشة هذه الأساطير بخرافة لقاء مراد آغا بالشيخ عبد السلام الأسمر في زليتن، أو محاصرته له في قلعة سوف الجين، ودعنا هنا ننقل بعض هذه القصص من كتاب "روضة الأزهار" وما جاء في فتح العليم مشابه لما في الروضة، ونعلق على النصين، ونبين كيف فاق كتاب "قفة الصلاح" بما احتوت عليه من خرافات لتتحول المسألة إلى بعد سياسي، وتخوين، واستعدادات عسكرية، ودعم لوجستي، لتحرير طرابلس من فرسان القديس يوحنا.

لم يترك الذين افتروا على الشيخ الأسمر شخصية مشهورة إلا واختلقوا لها لقاء ومناظرة مع الشيخ الأسمر، ثم بعد اللقاء، واعتراضهم عليه، يخضعون بسبب وقوع كرامة من كرامات، وخوارق الشيخ الأسمر، كما ذكرنا آنفا، وما حدث من لطم عين سالم بن طاهر، ونفي الحطاب إلى جزيرة، وموت الفقيه الحامدي على النصرانية كما يروى في كتاب الزهر في الأكمام[1]، أو أحد أولاد غيث بعد أخذ ورد الطريقة وتركه لها، وهكذا تنتهي القصة بعودة هؤلاء وأخذ التلقين عن الشيخ الأسمر، ليتحول كل هؤلاء إلى تلاميذ في حضرة الشيخ الأسمر، أو هلاكهم

1) الزهر في الأكمام ص 96.

بسبب عدم خضوعهم له. ومع أنه لم تسجل أي من المصادر التاريخية فحوى أي مناظرة علمية بين الشيخ الأسمر ومعارضيه، لكن المفارقة الغريبة أن "قفة الصلاح" يقول: "ومما يستدعي الانتباه ومزيد من التمحيص، هو أن الفقيه مبارك الحامدي قاضي ساحل الأحامد، هو العالم الوحيد الذي لم يتراجع عن مواقفه العدائية[1] حيال دعوة الإمام، بخلاف غيره من العلماء الذين اكتفوا بنتائج المناظرة، وأكثرهم تحولوا إلى اتباع له، وشاركوا في تأسيس وتطبيق مشروعه الإصلاحي"[2].

إننا لم نجد أي مصدر آخر، تحدث بموضوعية عن الفقيه مبارك الحامدي، فهل تعرض لتشويه متعمد من مريدي الطريقة العروسية. فبالرغم من نعتهم له بالفقيه والقاضي، وهذا يدل على درجته العلمية في ذلك الوقت، لكن ما قيل عنه لا يصدق خاصة بعد ما تبين من خلال قصص الشيخ التي يسردها مريدو الطريقة حول علماء لهم وزنهم في ذلك الوقت، لم يثبت تاريخيًا لقاء الأسمر بهم.

أما الفقيه المباركي فيبدو أنه كان معارضاً حقيقياً ليس (لمشروع الأسمر الإصلاحي) الذي اختلقته قفة الصلاح، ولكن وقوف الحامدي في وجه استخدام الدف، وربما لأسباب أخرى لم تتأكد في هذه المصادر المحشوة بالخرافات والأكاذيب.

ونؤكد هنا غياب أي مصدر لوقوع مناظرة، وما وجد في روضة الأزهار، أو فتح العليم هو مجرد استعراض لخوارق، كسلب العلم من المناظر بمص أصبعه، علامة أنه سلب منه العلم كمص أصبعه مع البرموني، أو نفيه في جزيرة وحيدا في قصة خرافية، أو لطم عينه بضربة في الهواء، نجد أن "قفة الصلاح" يعترف مرغما أن مبارك الحامدي، وهو قاضي ساحل الأحامد، رفض ما اعتبره بدعاً ومخالفات الشيخ الأسمر، وليس مشروعا اصلاحيا مزعوما. والقاضي مبارك الحامدي شخصية علمية يبدو أنه الوحيد الذي كانت له مواجهة مع الشيخ

---

1) يا ترى ما طبيعة هذا العداء والمباركي فقيه وقاضي وليسا رجلا عاميا، والذين كتبوا عنه هم خصومه ولم نجد من مصدر محايد نقل لنا سبب هذا العداء إلا ما ورد في البرموني وبعض المخطوطات الاخرى ولكنها لا تعطي الصورة الحقيقية لهذا العداء

2) قفة الصلاح ص 19.

الأسمر، وواجه بدعة الضرب بالدف، وأمورًا أخرى، لا ندري مدى صحتها من عدمها، لأنها وردت في كتب نسبت للشيخ الكثير من الخرافات والأكاذيب، فلم يثبت عن غير الشيخ الأسمر إنه كان مجذوبا، ويستخدم الدف، ولم تثبت عنه أي مؤلفات ذات طابع علمي أو فقهي.

ولم يدّع الشيخ الأسمر ذلك في حياته، ولم يكن له مشروع، سوى نشر أوراد الطريقة العروسية، والتي يبدو أن بعض أورادها أضيفت فيما بعد أيضا. وقد بيّنا في هذا الكتاب، في غير موضع، بالأدلة العلمية والتحليل العلمي الموضوعي، أن هذه الكتب لا تصح نسبتها له، ولا يصح ما نسب له في هذه الكتب، وتباعد مدة تأليفها وما كتبه أحمد القطعاني، و"قفة الصلاح" بني على أساطير وروايات لا تصح نسبتها، ولا حتى مناقشتها، كما تناقش النصوص العلمية التي يُعتمد عليها في تحقيق الحوادث التاريخية.

وينطلق صاحب كتاب "قفة الصلاح" من هذه الخرافات ليخرج باستنتاجات فاقت خيال أفلام هوليود.

لعل آخر هذه الخرافات التي سطرها الشيخ أحمد القطعاني في مقالة بعنوان "تحية لك يا محرر طرابلس" يقول فيها: "ويظهر أحد أهم أبطال الحق اسمه عبد السلام الأسمر على مسرح الأحداث ممثلًا في تلميذه اللهيم مراد آغا بقوة بحرية محدودة، وشجاعة مطلقة. كانت أول خطوة اتخذها مراد السفر إلى زليتن ليزور شيخه سيدي عبد السلام فيستقبله الشيخ في زاويته، ويحضر معه الدروس ويجلس مراد آغا مع شيخه يتربى على يديه، ويأخذ عنه ويسمع وصاياه ويعود مباشرة ليرفع راية الشيخ عبد السلام المنصورة على هضبة سيدي الأندلسي بتاجوراء وقد التفت المنطقة بقدرة قادر حوله"[1].

يقول عيسى القبلاوي: "لم يصلنا ما يفيد أن الولي الصالح الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري قد شارك في الدفاع عن مدينة طرابلس، وهو البالغ من العمر حينها حوالي 35 سنة"[2].

---

1) سلسلة مقالات الحق، أحمد القطعاني، 2012. ص6

2) ليبيا وصراع القوى في البحر المتوسط في القرن 16م، عيسى القبلاوي، منشورات مركز الجهاد الليبية، الطبعة الأولى، 2014م. ص: 86.

لعل الأرجح أنه لم يصل إلى ليبيا بعد ومازال في المغرب بفاس أو في طريقه إلى تونس في تلك السنوات.

لمناقشة صحة لقاء الشيخ الأسمر ومراد آغا والي طرابلس، نورد النص الوارد في "روضة الأزهار" المنحول لكريم الدين البرموني يقول فيه: "ولا بأس باستطراد حكاية هنا، لأنَّني حضرتها في يزليتن وغيرها، وذلك أنه لما توجه لزيارة الشيخ بيزليتن، دخل الشَّيْخُ خَلْوته واحتجب عنه، وقد جاء حينئذ مراد أغا بجنده كله، ونزل بقرب زاوية الشيخ سبعة أيام، ولم يجتمع بالشَّيخ حَتَّى ضاق ذرعا من ذلك سيدي عبد الرحمن، وسيدي عمران ابنا الشيخ، فدخل الزاوية سيدي عبد الرحمن بخمسمئة دينار، وقال لمن حضره من الطلبة والفقراء: أشيروا علينا، كيف أفعل. أطرد هذا الوالي، أم أقدر أن أكلم الشيخ عنه. أم كيف أفعل؟ فلم يكلمه أحد. ثم قال سيدي عمران، لأنَّه هو المقدَّم على الزاوية: أيها الناس الذي يدخل منكم على الشيخ ويكلمه في" هذه القضية له خمسمئة دينار ذهبية، وكان بإزائه طفل صغير – وهو سيدي مفتاح العطوي – كان الشَّيْخ ينبسط به إذا رآه، ولو كان في غاية القبض، فقال لسيدي عمران: أتعطنيها إن دخلت؟ قال: نعم. بل أُعجلها لك من الآن، ووضعها في جيبه. فقام الطفل ودخل على الشَّيْخ ، فلما أن رآه الشَّيْخ ، قال له: بعثك عمران، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثمّ رحّب به، وقال له : امش ناد عمران، فلما جاء سيدي عمران للشيخ ، قال له – بعد اللوم – : ائتوني بما تجدونه من الإزارات فجئ بما أمكن، فقال : لودوها بي"، فما زالوا يدثرونه بها حَتَّى صار لا يكاد يبين وجهه ثم قال: مُرُوه فليدخل ، فدخل وقبل طرف أبعد الإزارات عن الشيخ، وخرج ودخل الجند بعده متتابعين، يُقبلون الإزار الأبعد ويخرجون، فلما أن مروا وخرجوا كلهم ونزعوا عن الشَّيْخ وجدوه مغمى، وقد يبس كأنه ميت، وما زال كذلك نحو اليومين والثلاثة. ثُمَّ لما أفاق، قال لابنه عمران: أنت تريد هكذا، وهؤلاء أنفسهم سُم يا عمران؛ لأنّي كلَّما مكثت بطرابلس وغيرها لَم أقف في باب واحد منهم، ولم أجتمع بهم إلَّا لضرورة، ويكون معها مرضي، ثُمَّ سقط من جميع جسد الشَّيْخ جلد كأنه سَلْخُ حية.

وأعلم أنَّ مراد أغا هذا رجع للشيخ مرة أخرى بعد تلك الزيارة وأخذ التلقين عن الشَّيْخ، وعاهده ألا يُضام إلى أن مات، وكان من أمثل أهل زمانه، بل هو أمثلُ من ولي طرابلس من الأتراك الذين قبله، حَتَّى إنه لي يتقوَّتُ إلَّا من صنعة يده

كالخياطة ونحوها، وقد تخلق بأخلاق أهل العدل، وكان هو الذي تسبَّبَ في افتكاك مدينة طرابلس من أيد الإفرنج، وقصته طويلة ذكرناها في غير هذا، مات – رحمه الله – سنة سبع وتسعين وتسعمائة بمدينة طرابلس، ونُقل في تابوت، ودفن بالقرب من الجامع الذي أسسه بتاجوراء"[1].

إن أول الملاحظات على هذا النص أنه يتضمن لغة عامية وسبك ضعيف للغة يختلف عن معظم ما جاء في الكتاب فيما لا يتعلق بسيرة الشيخ الأسمر وكراماته، ومصطلح الوالي لم يطلق بعد على مراد آغا في ذلك الوقت. ويروي في قصة خرافية أن والي طرابلس جاء ليلتقي بالشيخ الأسمر، وهو ينتظر الأذن لسبعة أيام حتى يحظى بمقابلة الشيخ الأسمر. ومن هذا النص في إضافة نوعية أن عدد الجيش بلغ ألف عسكري، بحسب رواية خرافية أخرى ذكرت في كتاب فتح العليم قال: " أنه لما آتاها مراد آغا على ما تقدم في ألف فارس ومكث سبعة، كان سيدي عمران يخرج لفطورهم خمسمائة طبق مملؤة تمرا، وخمسمائة قدحا مملؤة حليبا، عدا أواني الأطعمة الأخرى كل دجاجة بطبق وقدح فإذا كان هذا في الأطباق والاقداح فما بالك بغيره"[2].

يذكر صاحب كتاب فتح العليم في مخطوطه أن سبب زيارة مراد آغا للشيخ الأسمر سببها كرامة فيقول: "ومن هذا المعنى ما سمعنا أن السبب في زيارة مراد آغا للشيخ على ما هو مشهور، وذلك أن رجلا من صالح زمنه مسكه مراد في مال ائتمنهم بأن أحد عصاة الأعراب وضعه عنده فلما شدد عليه في ذلك توجه لناحية الشيخ وقال يا سيدي عبد السلام ضاق الحلال افزع بالمعوال – يقصد فأس الشيخ – قالوا فأصاب مراد المذكور في الحال ما أخرج صرمه أي دبره، حتى جاء لذلك الصالح يتودد إليه مظهرًا التوبة من ذلك، فقال له إن الذي ابتلاك الله منه إنما هو سيدي عبد السلام، وتبرأ أن يكون له في ذلك قد حل، وقال لا تبرأ من علتك حتى يوضع معواله عليك، وما بريء حتى جيء بمعول الشيخ ووضع عليه ولما بريء توجه لزيارة الشيخ "[3].

---

1) روضة الأزهار، البرموني، ص 562 -563.

2) فتح العليم، مخطوط، ص: 218.

3) روضة الأزهار ص 562

ومن هذه القصة المختلقة عن مرض مراد آغا وشفائه بوضع فأس الشيخ الأسمر عليه، ثم يتوجه بعدها لزيارته في ألف فارس منتظرا أسبوعا ليقابل الشيخ الأسمر، وتتحول هذه الخرافة عند أحمد القطعاني و"قفة الصلاح" إلى تخطيط حربي لتحرير عسكري.

فهل مازال شك في لقاء مراد آغا بالشيخ الأسمر، أم هل هناك عقل علمي يقبل قدوم جيش مراد آغا لمقابلة الشيخ الأسمر، أو تحشيد جيش لمحاصرة الشيخ الأسمر في قلعة بن وليد. هذا ما سنتركه للقارئ الذي لم يطلع على كل هذه الخرافات والافتراءات التي تحولت مع التحديث، والطبعات الحديثة، تروى لنا كأنها تاريخ حقيقي وقع، ويجب تصديقه.

وبهذه القصة، وغيرها كثير، نسدلُ الستار على هذه الافتراءات التي نسبت للشيخ الأسمر، حيث تم تضخيمها في قصص تصلح أن تكون أفلامًا خيالية.

ولعل البحث التاريخي سيكشف ما إذا كان الشيخ الأسمر، عاصر تحرير طرابلس، أم جاء من تونس بعد تحريرها من فرسان مالطا، وهل من المنطق أن يتجه مراد آغا من تاجوراء في ألف من عساكره متجها إلى زليتن ويترك تاجوراء لفرسان القديس يوحنا، وهم ما يزالون يتربصون بها؟ وهل كل هذا البذخ والطعام في بلد فقير كان متوفرا في تلك المدة التي انتشر فيها الوباء مع قلة عدد السكان بزليتن.

وهناك خطأ في تاريخ وفاة مراد آغا سنة 997 هـ (1588 م –1589م) بحسب النص الوارد في روضة الأزهار، فمن المرجح أن وفاته كانت سنة 967 هـ – 1559م بتاجوراء. ولنترك للقارئ الحصيف يتأمل بعقله هذا الكم من الخرافات، وليحكم على صحتها بنفسه.

الباب السادس

كيف يضلل القارئ باسم الكرامات والروايات الملفقة

نقد ما ورد في كتاب "قفة الصلاح" لأسامة بن هامل"

يُقدِّم صاحب كتاب "قُفَّة الصلاح – قراءات في سيرة مجدد القرن العاشر الهجري الإمام سيدي عبد السلام الأسمر" نفسَه قارئاً متأمِّلاً في تاريخ وطنه، ومحبّاً مخلصاً للشيخ الأسمر. غير أن المتأمِّل في مادَّته المكتوبة سيجد شيئاً مختلفاً: خطاباً قائماً على تقديس الرواية التأسيسية دون تمحيص لمصداقيتها التاريخية، عاجزاً عن التمييز بين ما صحَّ نسبُه للشيخ وما انتُحِل إليه عبر القرون. كما قام صاحب القفة بتوظيف خياله الواسع في استنطاق نصوص لا تمت لحقيقة القصص والاستنتاجات التي قفز إليها، مع صناعة حوادث تاريخية لا وجود لها في أي مصادر تاريخية سوى من وحي قفته.

وقبل الشروع في هذه الوقفات النقدية لا بدَّ من الإفصاح: ليس الهدف النيلَ من الشيخ عبد السلام الأسمر ولا لغيره من الشخصيات الصوفية التاريخية، بل على العكس؛ فالإساءة الحقيقية له تصدر ممَّن يُغرقونه في الأساطير التي تطمس شخصيته الحقيقية. وهذا بالضبط ما فعله "قُفَّة الصلاح" وهو يزعم أنه يحسن

صُنعاً. سنستشهد في كل وقفة بنصوص حرفية من كتاب "قُفَّة الصلاح" نفسه، ونقابلها بما كشفه هذا الكتاب من حقائق موثَّقة.

لم تتوقف الافتراءات على الشيخ الأسمر حتى كتابة هذا الكتاب، ففي عيد الفطر لسنة 1444 هـ الموافق 2023 م نشرت الشؤون العلمية بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر كتيباً صغيراً في ثمانين صفحة تقريبا، لمؤلفه أسامة بن هامل والذي يلقب نفسه "بقُفّة الصُّلّاح" بعنوان: "قراءات جديدة في سيرة مجدد القرن العاشر الهجري" أتى فيه بالعجائب ونسب أقوالا واستنتاجات وأطروحات اعتمادا على روايات لا تثبت صحتها للشيخ الأسمر، وهذه الخرافات لا تصمد أمام أدنى تحقيق ونقد علمي موضوعي للنصوص التي بنى عليها هذه الشطحات كما بينا في العناوين السابقة من الكتاب. ونسب كل هذه الافتراءات بعد تطويرها وإعادة صياغتها بأسلوب حديث وما أفرغه من قفته الخرافية.

يبدو أن أسامة بن هامل قد تجاوز سلفه الشيخ أحمد القطعاني في توسيع نطاق المرويات الخارقة ونسبتها إلى الشيخ الأسمر وعدد من الشخصيات التاريخية المرتبطة بمدينة زليتن، إذ اتخذ من كتيّب مقتضب نشره القطعاني تحت عنوان "سلسلة مقالات أهل الحق" منطلقاً لبناء منظومة أوسع من الروايات المنسوبة، التي أسبغ فيها على تلك الشخصيات المحلية أبعاداً حضارية وعالمية، فنسب إليها ريادةً في مجالات حقوق المرأة والطب والسياسة والشؤون العسكرية، فضلاً عن غيرها من الميادين.

وفي هذا السياق، تستوقفنا جملة من هذه المرويات بالدراسة والتحليل، بهدف الكشف عن آليات المبالغة في تعظيم الشخصيات الصوفية والمجاذيب، وما يترتب على ذلك من نسب لا سند تاريخياً موثوقاً يعضدها. وتكشف هذه الظاهرة، في جوهرها، عن إشكالية منهجية متكررة في بعض كتابات التصوف الشعبي، تتمثل في تجاوز حدود الرواية التاريخية الموثقة نحو بناء صور مُضخَّمة لا تقوم على أدلة رصينة، مما يستوجب التمحيص النقدي والمساءلة المنهجية.

يحدثنا صاحب كتيب "قفة الصلاح" عن سيدي "زلي"[1] حيث يصفه بالمجاهد ورائد الإصلاح الاجتماعي فيقول: "المجاهد والمناضل الوطني ولي الله سيدي زلي دفين زليتن، من سبق الاتفاقيات المعاصرة التي تدعي الريادة في مجال حماية المرأة في أوقات الحروب والنزاعات، وأسس أول دار لحماية المرأة"[2].

ويؤسس صاحب القفة كلامه على ما حدثّه به شيخه أحمد القطعاني: "أن الأرامل والمطلقات ومن لا عائل لهن كن يلجأن لسيدي زلي ليذود عنهن عوادي الزمان والغزاة ..."، ويقول: بل رأيت شيخنا القطعاني يحث الكثير من مريداته من النساء على زيارة سيدي زلي، ويشدّد على الحفاظ على علاقة الوفاء والاحترام المتبادلة، كقيمة من القيم الوطنية التي يجب ترسيخها وتعزيزها في وجدان الناشئة"[3].

ومع أن سيدي زلي الذي صنعه القطعاني وتبعه صاحب القفة لم يكن سوى موضع يزار، مثل موقع الفوقة بزليتن، ولم يكن به ولي أصلا وإنما استحدث فيما بعد كما استحدثت العديد من المزارات، وقصة القبو بالخمس الذي كان مزارا أنشأ على قبر كان لكلب لأحد الطليان الذين كانوا بليبيا، وفتح بأذن من الحكومة وبحضور الإيطالي الذي استخرج سلسلة وقلادة كانت في قبر ذلك الكلب[4]. فلا عجب أن يتم اختلاق هذه الحكايات.

---

1) موقع به ضريح سيدي زلي بزليتن

2) قفة الصلاح، أسامة بن هامل في ص 63.

3) المصدر السابق ص 63.

4) نشر الكاتب والروائي الليبي الشهير أحمد الفيتوري هذه القصة في عدة مقالات له، حيث استخدم القصة كنموذج لنقد "العقلية الخرافية"، ويذكر الفيتوري أن القصة وقعت في منطقة "القبو" بالخمس، حيث قام إيطالي بدفن كلبه ووضع سلسلة ذهبية (أو قلادة) معه. وبعد سنوات عقب خروج الإيطاليين، عاد الرجل ليفتح القبر ويستعيد السلسلة، فوجد أن الليبيين قد بنوا عليه ضريحاً وأسموه "سيدي الكلب"، جريدة الوسط، وكتابه ليبيا التي في الخاطر. كما وردت القصة في التاريخ الشفهي لمدينة الخمس وهي رتبطة مكانياً بمنطقة "القبو" (أو سيدي القبو) في الخمس. لم تُنشر كوثيقة رسمية في الأرشيف الحكومي، ولكنها موجودة في "مدونات التراث الشعبي" التي جمعها باحثون محليون من مدينة الخمس. تؤكد أن الإيطالي كان يعمل في "مصلحة الآثار" (Soprintendenza) بمدينة لبدة الكبرى، وهو ما يفسر اهتمامه بالدفن

والذي ترويه الروايات الشفوية أن هذا الموقع، وموضع القبر كان ضريح ولي يسمى سيدي زلي، الذي كان تقصده النساء لعلاج حالات العقم أو النساء اللاتي تأخرن عن سن الزواج وفي علاج حالات العقم كما هو سائد في عقود وقرون التخلف والانحطاط، ولابد من نذكر أن العديد من المزارات والشواهد كانت تزار لشفاء بعض الأمراض المخصوصة، فبعضها متخصص في أمراض الجلدية وغيرها من العقم، وبعضها لقضاء الحوائج.

يحدثنا عبد السلام التاجوري في كتابه الإشارات عن موقع زلي بزليتن فيقول: "وقبلي الفواتير موضع يقال له زلي ويذكر أن جيش الشيخ فيه وكثيرا ما يرى أهل البلد الخيل والجحاف كأنه عسكر فازع من هناك. هذا شائع وبقربه الموضع الذي دفنت فيه جثة سعيدة فرس الشيخ سيدي عبد السلام، ولها خوارق كثيرة ذكرناها في غير هذا"(1).

فالتاجوري يذكر أنه موضع ولا يوجد به ما يسمى قبر سيدي زلي، لأنه استحدث بعد القرن الثاني عشر، مع ما أضافه من خرافة وجود جيش الشيخ الأسمر به، والذي تحكى المرويات الشعبية المحلية أنه جيش من الجن في هذا الموضع.

من هذه الخرافات الشفوية يستنتج صاحب "قفة الصلاح" أن هذا المزار الذي كان يقصد كغيره لطلب الأولاد، أو الحصول على أزواج للّاتي لم يوفقنَ في الحصول على أزواج، أو يعانين من مشكلة طلاق، فيقول صاحب القفة أن سيدي زلي – الشخصية التي لم يثبت وجودها تاريخيا – سبق الاتفاقات المعاصرة في مجال حماية المرأة.

ولم يقف أسامة بن هامل عند هذا الحد، بل ذهب إلى استنتاج أبعد من ذلك، إذ زعم وجود تحالف عسكري بين سيدي زلي وسيدي عبد السلام الأسمر، مستنداً في ذلك إلى بيت شعري بالعامية الليبية يُنسب إلى الشيخ الأسمر، وهو قوله:

والتوثيق. كذلك وردت في مذكرات عالم الآثار الإيطالي جياكومو كابوتو (Giacomo Caputo) و بيترو رومانيللي (Pietro Romanelli)، أرشيف Istituto Italiano di Cultura عن مدينة الخمس Homs، 1940م.

1) الاشارات للتاجوري، ص 86.

أنا نصرتي من عند الوادي من عند سيدي زلي[1]

ويُلاحظ في هذا الاستنتاج جنوح واضح نحو التأويل المتكلَّف، إذ يستند الكاتب إلى موقع الضريح الجغرافي المرتفع ليستدل به على أهميته الاستراتيجية العسكرية. غير أن البحث التاريخي الموضوعي يكشف أن هذا الموقع لم يكن في الأصل سوى حصن روماني، شأنه في ذلك شأن موقع الفوقة في منطقة السبعة بزليتن الذي احتضن هو الآخر منشأةً رومانية مماثلة، ثم تحوّل بمرور الوقت إلى مزار تُقام عنده الشعائر الشعبية. فضلاً عن ذلك، فإن البيت الشعري المستشهد به مشكوك في نسبته أصلاً إلى الشيخ الأسمر، إذ لا يوجد دليل تاريخي موثوق يُثبت وجود قبر أو ضريح باسم "سيدي زلي" في تلك الحقبة، وإنما كان المكان يُعرف بهضبة تحمل هذا الاسم، ثم استُحدث فيما بعد ضريح أصبح موضع زيارة. ويُعزز هذه الشكوك أن عبد السلام التاجوري، الذي أفرد كتابه للحديث عن المزارات والأولياء في تلك المنطقة، لم يُشر من قريب أو بعيد إلى وجود ضريح بهذا الاسم في ذلك الموقع، وهو غياب دال لا يمكن إغفاله في السياق النقدي. ويمضي صاحب "قفة الصلاح" في نسج علاقة بين هذا الموقع الذي دفنت فيه سعيدة[2] " فرس الشيخ الأسمر في دفنت في هذا المكان[3] بادعاء أن فيه دلالات على علاقة سيدي زلي، وأدوار المقاومة العسكرية[4] الحاصلة في البلاد

1) هذا البيت مختلق ومنسوب للأسمر لأن قبر زلي أو سيدي زلي لم يكن موجودا في ذلك الوقت ولا دليل تاريخي على وجوده، وإنما فقط هضبة تسمى زلي، ثم تحول المكان إلى مزار وقبر يزار. ولذلك لم يذكر التاجوري أن هناك قبر أسمه زلي بالمكان مع أن كتابه تخصص في ذكر المزارات والأولياء.

2) سعيدة اسم فرس الشيخ الأسمر، وجاء في روضة الازهار أن لها أسرار حيث أخرجت بحافرها الكثير من قبور الأولياء، ويرجع نسلها إلى نسل فرس سعد بن أبي وقاس.

3) قفة الصلاح ص: 64

4) في طبعة الكتاب الثانية 2023م، ص: 35 ، يريد أسامة بن هامل بما جادت به قفته أن يقنعنا بخرافة لقاء والد علي الطرابلسي مع الأسمر وإخباره له بوفاة الدوكالي -التوقعات والرؤيا قد تحدث لبعض الناس بما فيهم غير المسلمين وهي معرفة ذاتيو وليست معرفة موضوعية، واعتراضنا هنا عن قصة اللقاء بجامع الناقة - وهو بجامع الناقة، وحيث أن عمر الدوكالي عند وفاته كان 130 سنة حسب ما ورد في الوصية وهو ما يقابل 1523 م تقريبا أي فترة احتلال طرابلس من قبل الاسبان وأن الاسبان هم من طرد الشيخ الأسمر خوفا من بناء قاعدة شعبية لإحداث تغيير سياسي، وقد نسي بن هامل أن الاسبان قتلوا 4500 من اهل طرابلس وأصدروا قرار بطرد الأسمر ومحاكمة له ! وكأن الاسبان كانوا يمارسون

أمام الغزاة، وينطلق في تحليله كذلك من قصائد منسوبة للشيخ الأسمر لإثبات كل هذا الهذيان؟

وأترك لكم هذا النص الذي ذكره صاحب "قفة الصلاح" حيث يقول: "هذا هو سيدي زلي المصلح الاجتماعي الكبير الذي سبق اتفاق جنيف الرابع الموقع في عام 1949م لحماية المدنيين أثناء النزاعات والحروب، وإذا كان هذا الاتفاق لم يخصص للمرأة إلا ثماني مواد فقط في بابه الثاني عن حماية المرأة، فسيدي زلي قبل قرون أسس أول دار ليبية وطنية لحماية المرأة أثناء الحروب والنزاعات"[1].

وإذا كان هذا هو المنهج التحليلي الذي ينتهجه الكاتب، فيحق للباحث أن يتساءل: ماذا سيكون استنتاجه حين يتناول شخصيات أخرى من التراث الشعبي الزليتني؟ فهل حين يكتب عن "سيدي أبو ترابة" الذي اشتُهر مزاره بالتوسل عنده للشفاء من الأمراض الجلدية، سيذهب إلى القول بأنه أوّل من أرسى أسس الطب الجلدي في المنطقة؟

وبالمنطق التحليلي ذاته، حين يصادف ما أورده عبد السلام التاجوري في "الإشارات" عن ظعناء بنت سيدي مفتاح، إذ يروي أنها كانت إذا زغردت عند مريض مصاب بالطاعون عاش، وإن نعته مات[2]، فهل سيستنتج من ذلك أنها كانت سابقةً لعصرها في تشخيص مرض الطاعون والتنبؤ بمآلاته، أم أنه سيذهب أبعد من ذلك فيدّعي أنها أرست اللبنة الأولى لعلم اللقاحات قبل أن تعرفه أوروبا بقرون؟

وعلى المنوال نفسه، ماذا سيكون تحليله لما أورده التاجوري عن سيدي عبد الحميد، حيث نقل عن الشيخ الأسمر قوله في تراب قبره إنه "شفاء من العلل العظام"، وأن الناس كانوا يأخذون من ذلك التراب للاستشفاء، بل ذكر التاجوري نفسه أنه وضع شيئاً منه في عينيه حين أصابه الرمد فبرئ بإذن الله[3]؟

الديمقراطية السويسرية في طرابلس ويسمحون لمن حتى يفكر في مخالفتهم بالحياة!. وقد أثبتنا أن المسجد هدم مع دخول الإسبان لطرابلس.

1) قفة الصلاح، أسامة بن هامل، ص 65

2) الإشارات للتاجوري، ص 94.

3) الإشارات، ص 81

فهل سيخلص الكاتب إلى أن سيدي عبد الحميد كان رائداً في معالجة أمراض العيون، أم سيتخطى ذلك إلى ادعاء أنه أسهم في تأسيس علم التحصين والتطعيم قبل الطب الحديث؟

وفي السياق ذاته، ماذا سيقول عن "سيدي عون" الذي اشتُهر مزاره في زليتن بالتوسل عنده لعلاج الصرع والرمد، وكانت طقوس الزيارة تتضمن تقديم الديكة قرباناً، حتى شاع في الموروث الشعبي الزليتني المثل الدال على الهلاك: "مشية السردوك إلى سيدي عون"؟ فهل سيُقرأ هذا التقليد على أنه وعي مبكر بأهمية التخلص من الطيور الناقلة للأمراض، في سابقة تسبق ما توصّل إليه الطب الحديث من إدراك لدور الحيوانات في نقل العدوى؟ أو أنه أول من أسس مكانا للحجر الصحي للطيور والكشف عن الفيروسات والبكتيريا الناقلة للأمراض قبل أن يعرفها العالم.

إن استعراض هذه الأمثلة لا يهدف إلى التهوين من قيمة الموروث الشعبي المحلي، بل يرمي إلى الكشف عن الإشكالية المنهجية الجوهرية في التعامل معه؛ وهي استقراء استنتاجات تاريخية وعلمية مبالَغ فيها من روايات تنتمي إلى سياق ديني وشعبي مغاير، مما ينتج تأويلات لا تصمد أمام أدنى معايير النقد التاريخي الرصين.

ويدلل صاحب قفة الصلاح على أن رباط سيدي زلي يأتي في مجال استراتيجي، وفيه مدفن "سعيدة" فرس الشيخ الأسمر التي أهديت له من سيدي ساعد على علم وعلاقة بظروفه بصفته قائدًا لمقاومة الإسبان[1].

ويواصل الكاتب في المسار ذاته من بناء التصورات التاريخية غير الموثقة، إذ يُقدم استنتاجاً يقول فيه: "كل هذه القرائن دلالات على علاقة بين سيدي زلي وأدوار المقاومة العسكرية الحاصلة في البلاد ضد الغزاة، ولا أستبعد أن يكون سيدي زلي معاصراً لسيدي عبد السلام"[2].

وما يلفت النظر في هذا الاستنتاج أنه يرتكز على مجرد احتمال افتراضي يُصاغ بصيغة الظن، لا على دليل تاريخي موثوق، وهو ما يكشف عن خلل منهجي واضح؛

---

1) قفة الصلاح، اسامة بن هامل ص 64.

2) قفة الصلاح، ص 64.

إذ إن ما يُقدَّم في موضع ما باعتباره احتمالاً مجرداً وتخميناً أولياً كثيراً ما يتحول في الكتابات اللاحقة إلى مرجع يُستشهد به ورواية يُبنى عليها، في غياب تام لأي عملية تحقق أو تمحيص. وهذا النمط في التأليف التاريخي – القائم على تحويل الفرضيات غير المسندة إلى حقائق راسخة عبر التكرار والتراكم – يُعدّ من أخطر ما يمكن أن يعتري البحث التاريخي، لما ينتج عنه من ترسيخ لمعطيات لا أصل لها في السجل التاريخي الموثق.

ولا يفوتنا هنا أن نعطي لمحة عن "سعيدة" وهي بحسب زعم التراث الخرافي اسم فرس الشيخ الأسمر. وهذه الفرس أيضا لها أسرار، وقدرات خارقة، كما أنها من نسل فرس الصحابي سعد بن أبي وقاص، كما ورد في كتاب فتح العليم. ولعل صاحب كتاب "قفة الصّلاح" سيتحفنا بكتاب مستقبلا أن سعيدة فيها من صفات جدتها ولا تستغرب إذا قال أن جدتها، الأولى التي حضرت غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم،قد سرى فيها سر جدتها فرس سعد رضي الله عنه، أو سيخرج لها كتابًا في المستقبل فيه أسماء سلسلة نسبها إلى فرس سعد بن وقاص رضي الله عنه. وسعيدة عجائبها كثيرة لمن لديه وقت فليقرأ كتاب روضة الأزهار[1] وفتح العليم والاشارات. ففيهما الكثير من هذه الافتراءات التي تنسب للشيخ الأسمر، ومازال هناك من ينشرها في هذا العصر تحت سمع، وبصر زوايا، وجامعات شرعية.

وتكشف هذه الأمثلة مجتمعةً أن المنهج الذي ينتهجه الكاتب يفتقر إلى الضوابط العلمية الأساسية التي تحكم البحث التاريخي الرصين، إذ إن اعتماد هذا النهج في التأليف يفضي نظرياً إلى إمكانية إنتاج موسوعات ضخمة من

1) روضة الازهار، تحقيق عبد الحميد الهرامة، من ص: 717-721. تحت عنوان "عجائب فرسه" ستجد أن "الفرس سعيدة "تعلم الغيب، وأن سر الأسمر سرى فيها، وتسير بدون حاجة لتحريك عنانها مثل السيارات الحديثة، ولا تستغرب إذا سمعت مستقبلا إذا قرأت لأسامة بن هامل أن الشيخ الأسمر قد سبق العلوم الحديثة في التحكم الذاتي كما في الطائرات المسيرة والسيارات، ومن عجائبها أنها تعلم ما تضمره القلوب، وأنها تفرق بين التمر الرديء والعجين الجيد، وتجد مقارنة بينها وبين ما جاء في السيرة من بروك الناقة، والحمار يعفور، وبروك فيل أبرهة الحبشي. وكل هذه الخرافات ستكون مادة يسلي ويستنبط منها أسامة بن هامل من خياله الخرافي ما يقصه على مريديه.

الروايات غير الموثقة، يُستخلص منها ما يشاء المؤلف من استنتاجات بمعزل عن متطلبات التحقق والنقد.

وفي هذا السياق، يجد الباحث نفسه أمام تساؤل جدي حول الإجراءات التحريرية والرقابة العلمية التي أحاطت بإصدار هذا الكتاب تحت مظلة الشؤون العلمية للزاوية الأسمرية. فالزاوية مؤسسة علمية ذات تاريخ عريق في تخريج العلماء وحفظة القرآن الكريم، ومن المتوقع أن يكون لها من الأطر المرجعية ما يُمكّنها من التمييز بين ما يصح نسبته إلى تراثها وما لا يصح. وقد كان الأجدر في هذا العصر الذي تتوفر فيه أدوات النقد التاريخي ومناهج التحقق العلمي أن تتجه الجهود نحو إخضاع هذه المرويات للتمحيص الدقيق والتصحيح المنهجي، لا نحو إعادة تداولها وترويجها في صورة جديدة. ويزيد من دواعي التأمل في هذا الشأن أن الجامعة الأسمرية الإسلامية تقع على مقربة من الزاوية، مما كان يُتيح الفرصة لعرض هذا الكتاب على لجنة علمية متخصصة أو على عدد من أساتذة الجامعة المختصين، للنظر في مضامينه وتقييمها قبل إجازة نشره. وغياب هذه الخطوة يُعدّ في حد ذاته ثغرة إجرائية تستحق الوقوف عندها.

ودعنا نعرج على موضوع آخر جادت به قريحة قفة أسامة بن هامل عند الحديث عن سيدي مفتاح "سواق الحجل" الإصلاحي الليبي رائد حماية البيئة في كتابه العجيب. يقول صاحب القفة: "سيدي مفتاح "سواق الحجل" رائد الصحة البيئية في ليبيا، سبق كل منظمات العالم اليوم، واضطلع بدور وطني إصلاحي لولاه لهلك سكان البلاد"[1].

وقبل التعليق على قفزات واستنتاجات أسامة بن هامل ، نذكر ماذا قالت المصادر التاريخية عن سيدي مفتاح، حيث يقول عبد السلام التاجوري في كتابه الاشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات: " وبوسط العطايا – يقصد قبر – الشيخ الكبير سيدي مفتاح، خليفة الشيخ سيدي عبد السلام ويشهر بسواق الحجل لأنه كان يجيء إلى ماجر ويسوق جميع ما فيه من الوحش، والحجل إلى

1) قفة الصلاح، ص 70

البلد وإذا أراد الناس مسكه، قال له: امض لبلدك فيغدو الوحش ويطير الحجل"[1].

وانطلاقاً من هذا النص، ذهب الكاتب إلى استنتاجات تكشف عن إشكاليات منهجية عميقة في التعامل مع المصادر التاريخية وتوظيفها. وسننقل فيما يلي ما أورده في مؤلَّفه بنصه الحرفي، لنُتيح للقارئ إمكانية الحكم المباشر على طبيعة المنهج المتبع في استخلاص النتائج وبناء التحليلات، وذلك من خلال نص لا يصمد أمام معايير النقد التاريخي، ولا يستوفي الحد الأدنى من متطلبات الاستدلال العلمي المنضبط.

وما يستوجب التأمل الجاد في هذا السياق هو الآلية التي تتحول بموجبها الاستنتاجات المبنية على روايات غير موثقة إلى مراجع يُستشهد بها في الكتابات اللاحقة، فتنتقل تدريجياً من مرتبة الفرضية المجردة إلى مرتبة الحقيقة التاريخية الراسخة، مما يُفضي إلى تراكم طبقات من المعطيات غير المحققة التي تُسهم في تشويه الصورة التاريخية لشخصيات بعينها، وإضفاء أبعاد مصطنعة على أدوارها، بدلاً من تناولها بالموضوعية والتمحيص اللذين يقتضيهما البحث التاريخي الرصين.

يقول أسامة ين هامل في كتيبه: "سيدي مفتاح سواق" الحجل رائد الصحة البيئية في ليبيا، سبق كل منظمات العالم اليوم، واضطلع بدور وطني إصلاحي لولاه لهلك سكان البلاد، إذ يحصي المؤرخون أن الأوبئة في زمنه، أزهقت أرواح عشرة آلاف شخص في مدينة طرابلس وحدها، وأكثر من خمسين ألف نفس في الدواخل، وكانت النساء والأطفال على الخصوص من بين أكثر الضحايا، وسيدي مفتاح هو المصلح الليبي الكبير الرحالة مفتاح العطوي الفيتوري الحسني الإدريسي، ولد في مدينة زليتن بليبيا، وفيها نشأ ودرس وتعلم في زاوية الإمام الأكبر سيدي عبد السلام الأسمر[2]، وسلك على يديه الطريقة العروسية حتى أصبح

---

1) الاشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، عبد السلام التاجوري، ص 84

2) لا يوجد دليل واحد انه درس بزاوية الأسمر حتى من المصادر المكذوبة على الاسمر، ولو ترك الباب لقفة الخرافة لأتحفنا بان له مؤلفات حول حماية البيئة والحجر الصحي، وطب الحيوان.

من كبار رجالها، ويرجح علامتنا أحمد القطعاني أنه عام 1050 هـ 1640م تقريبا، وحول مدفنه الطاهر بمنطقة السبعة في زليتن يقام مزار سنوي"[1].

"ورغم شح المعلومات عن حياته في كتب التاريخ، إلا أن سبر غور ما توفر منها يعكس صورة شخصية ليبية وطنية رائدة، خصوصا إذا استندنا إلى ما حفظته الذاكرة المحلية الليبية الصلبة التي أبت شخصيته أن تغادرها رغم مرور قرابة الخمسة قرون على وفاته، وعليه يندرج تاريخه فيما تعارف المؤرخون على تسميته الزمن الطويل"، فقد بقي حيا في ذاكرة الليبيين يحمل احتراما خاصا في وجدانهم، ودون شك فمثل هذه المكانة العصية على النسيان تشير إلى دوره الفاعل والكبير في خلفيات حركة التاريخ الليبي[2].

ومجمل ما ترويه مدونات التاريخ الليبي أنه كان يخرج إلى وادي ماجر، جنوب زليتن، ويسوق معه عددا من أنواع الحياة البرية التي تعيش في ذلك الوادي، ومن بينها طائر الحجل، فإذا ما أراد الناس صيدها، أشار إليها بيده فترجع لأوكارها[3].

ومن غرائب ما يروى في سيرته أنه يخرج إلى مراعي البلاد في الأودية والشعاب فيذبح ما يمكن ذبحه من الغنم رغم اعتراض أصحابها عليه، كما حملت سيرته إشارات لتفشي وباء "الطاعون" في البلاد. وبعيدا عن تضييع الوقت في مناقشة مهاترات من ينكرون أفضال الله على أوليائه وما يجريه على أيديهم من كرامات، أحببت أن ألفت اهتمام المحتفين والمهللين خلال السنوات الأخيرة بأنباء اعتماد منظمة اليونيسكو، لمحمية الشعافيين كأول محمية ليبية ضمن برنامج الإنسان والمحيط الحيوي" حول العالم، إلى قدم دور التصوف في ليبيا في حماية البيئة والحياة البرية، وريادة سيدي مفتاح سواق الحجل الذي سبق العالم بهذا الاهتمام بثاقب فهمه ووعيه ومسؤوليته الوطنية[4]. وإن لم ترد تفاصيل أخرى عن حياته عبر المصادر المكتوبة أو الشفهية، إلا أن هذا القدر كاف لاستجلاء

1) قفة الصلاح، أسامة بن هامل، ص 70.

2) المصدر السابق ص 70. مع خيال في محاولة صناعة شخصية تاريخية من الخيال عندما غابت المصادر، فالمعروف فقط انه سواق الحجل لا غير، وهي خرافة لا ينظر لها لا ان يستنتج منها كل هذه الخرافات.

3) لمصدر السابق ص 70.

4) قفة الصلاح ص 70-71.

صورة دوره الرائد في مجال الصحة البيئية. ومن المفيد أن أنبه على ملامح تلك الصورة في شكل أسئلة: لماذا التصق به لقب سواق الجحل تحديداً؟، فالله سبحانه وتعالى أجرى على يديه مئات الكرامات، وماذا يعني سوقه لأصناف من الحياة البرية من الأودية كوادي ماجر إلى البلد؟، وكذلك المعنى لمنعه للناس صيد تلك الأصناف، ومنها الطيور والحجل على رأسها، مقابل مبالغته في ذبح الغنم في مراعيها.

"وتعكس هذه الوقائع إدراكا عميقا لدى سيدي مفتاح بأهمية إحلال أصناف جديدة من الحياة البرية في منطقته لتوطينها، ومقاومته لظاهرة الجور في الرعي والصيد، وهما من أخطر العوامل التي تتسبب في اختلال توازن البيئة، ويُفهم هذا بشكل واضح من منعه الناس صيد ما يجلبه من الأودية، ومنعه في ذات الوقت لرعاة الأغنام من الجور على المراعي والقضاء على الأنواع النباتية".

وتتواصل الاستنتاجات المنبثقة عن مصادر تفتقر إلى التوثيق التاريخي الرصين، إذ يُبني صاحب القفة تحليلاته على نصوص لا تستوفي معايير المصدر التاريخي المعتمد: "أما "الحجل تحديداً"، فربما تكون أهميته، واعتناء سيدي مفتاح به على علاقة بما تعيشه البلاد من انتشار لوباء "الطاعون" الفتاك، فمدونات التاريخ تحمل إشارات إلى انتشار القوارض وغزو الجراد التي تعد أهم وسائل نقل الطاعون، وانتشاره في البلاد، ويعرف الخبراء بحياة هذا الطائر أن تلك الحشرات غذاءه المفضل[1].

ومما يضاف لرسم صورة الدور الإصلاحي الذي مارسه سيدي مفتاح في هذا المجال، الروايات حول شخصية أخرى يبدو أنها شاركته في مشروعه الإصلاحي، وهو خاله سيدي "سالم زواي الجرارة"، الذي يتواتر عند أهل البلد حادثة من حاول سرقة جرارة" بئر مزرعته ليلا، وعند هربه صارت تصدر صوتا عاليا وهي على كتفه ما جعل أهل المنطقة يتيقظون له فانفضح أمره، و الجرارة"، هي العجلة التي يُجر عليها حبل دلو البئر، وكلها إشارات هامة على وجود حركة استصلاح وزراعة بالمنطقة كان يقودها خال سيدي مفتاح الذي يدرك تماما أهمية عنصر الماء كعامل استراتيجي لحركة الاستصلاح وإقامة المزارع، وهو ما

1) قفة الصلاح، ص 71.

أدركه أيضا من كانوا يحاولون وأد هذا المشروع الإصلاحي، فركزوا سرقتهم على "الجرارة"، وبدونها بكل تأكيد لن يتوفر عنصر الماء[1]. "وأنا ذكرت سيدي سالم هنا، لدعم قراءتي الخاصة بمشروع سيدي مفتاح الإصلاحي، ولمكانته الخاصة عند سيدي مفتاح الذي اشترط زيارته قبل زيارته لقبولها".

"نعم، لا تزال سيرة سيدي مفتاح "سواق الحجل"، تحتاج دراسة أكثر عمقا، لكنها لن تدور بعيدا عن فلك إدراكه، ووعيه بمسؤولية الأهمية خلق بيئة متوازنة للعيش، سابقا بذلك أكاديميات وجامعات العالم اليوم الدراسة ما تعارفوا على تسميته "حماية النظم الإيكولوجية"، فقد سعى سيدي مفتاح لخلق توازن بين الأودية، والساحل، والبحر، وهي عوامل تتوفر عليها مدينة زليتن".

والدراسات التي لا زلنا بحاجة إليها تتعلق أيضا بمحيطه الأسري" والقدر الكبير من الوعي الذي كان يتوفر عليه أفراد أسرته، فالإشارات الهامة التي حملتها سيرة ابنته الوحيدة السيدة "ظعناء" التي كان والدها يحمل لها مكانة خاصة جعلتها تحافظ على استمرار دور والدها الإصلاحي في نشر الوعي الصحي بين الناس باقتدار، خصوصا وأن مدونات التاريخ تشير إلى ثقافتها الواسعة في هذا المجال، إذ تتحدث عن كثرة زيارتها للمصابين بوباء الطاعون، فإذ ما زغردت" على مريض استبشر أهله بشفائه، وإذا ما صدرت عنها علامات حزن يئس أهله من شفائه، وكثرة زياراتها نفهم منه عنايتها بمتابعة وضع ذلك الوباء، وارتفاع مؤشراته لدرجة صعوبة مقاومته بالوسائل المعروفة، لنجدها تبحث عن وسائل أخرى على رأسها الدعم النفسي للمريض وأسرته، ودخولها على المصابين بذلك الوباء الفتاك يستدعي معرفتها بوسائل وقاية نفسها منه، ودرايتها بأعراضه ومضاعفاته، ما يجعلها تدرك لأول وهلة نجاة هذا المريض منه فتبشر أهله بمظاهر الفرحة المعروفة وقتها، أو عدم نجاته لتهيئتهم لقبول القدر المحتوم. ما أحوجنا اليوم إلى الغوص في مخزون الذاكرة المحلية، وما حفظته المدونات التاريخية حول الشخصيات الليبية، لاستخراج جوانب ترسم صور أدوراهم المجتمعية، في إطار نظرية التصوف الليبي الإصلاحية الرائدة، التي لا تزال بعيدة عن متناول يد الدارسين والباحثين في التاريخ الليبي وأجدني أذهب للتأكيد مرة أخرى بعد مقالي السابق تراث الأستاذ الأكبر سيدي عبد السلام الأسمر، أكبر مصادر ومراجع

1) قفة الصلاح ص: 71. يعني سرقة في عصر التخلف يستنتج منها وأد مشروع الإصلاح الزراعي!

تاريخ ليبيا، على ضرورة حفظ الرواية الشفهية، وأرشفتها، وإخضاعها للدراسة، كأهم أهم مصادر تاريخنا، خصوصا أنها تحظى بعناية كبيرة في أقطار ودول تقدمت فيها مناهج وطرق دراسة التاريخ، واستنطاق نصوص التاريخ غير المكتوب[1]. انتهي ما جاد به خيال أسامة بن هامل في كتابه المذكور قفة الصلاح أعلاه.

ودون الخوض في تفصيل ما تنطوي عليه هذه التأويلات من إشكاليات، يكفي الإشارة إلى أن المنهج المتبع يقوم على تحويل الموروث الكرامي الشعبي إلى ادعاءات ذات طابع حضاري وإصلاحي؛ إذ تتحول روايات ترويض الطيور والوحوش وما ارتبط بها من خوارق منسوبة إلى سيدي مفتاح إلى ما يُقدَّم باعتباره مشروعاً بيئياً إصلاحياً رائداً، فيما تُصاغ رواية ابنته في صورة شراكة في مشروع طبي متكامل، وتُفسَّر حوادث عادية كسرقة جرارة ماء على أنها عمل تخريبي استهدف هذا المشروع الإصلاحي المزعوم. وهذا النمط من التأليف[2] يكشف عن ظاهرة جديرة بالدراسة، وهي إعادة تأطير الموروث الكرامي الشعبي الذي كان يُروى في سياقه الديني التقليدي بوصفه خوارق وكرامات، وإعادة تقديمه في قالب حضاري وعلمي يدّعي السبق التاريخي في مجالات الطب والزراعة والبيئة وحقوق المرأة وسواها. وإذا كان هذا هو المنهج المتبع، فإن الباحث يجد نفسه مضطراً إلى التساؤل عما ستؤول إليه الكتابات القادمة حين تتناول شخصيات أخرى من التراث الشعبي الزليتني؛ فسيدي عون المعروف بمزاره المتخصص في علاج الصرع والرمد قد يُقدَّم باعتباره رائداً في الطب العصبي وطب العيون، أما الشيخ أحمد الباز المشهور في الموروث الشعبي بقدرته على الطيران فقد لا يبعد أن يُصوَّر مؤسساً لعلم الطيران سابقاً للأخوين رايت، بل ربما يُزعم أن زاويته تحتضن مخطوطات في تصميم الطائرات وقد ضاعت لسبب من الأسباب أو سرقها الغرب وطوروا بها صناعة الطيران. وعلى المنوال ذاته، فإن سيدي بالناصر الذي يرتبط اسمه في الموروث الشعبي بآلة الزكرة، والذي تروي عنه الروايات المحلية أن من يبيت ليلة في ضريحه يستيقظ عازفاً ماهراً، قد يُقدَّم باعتباره مؤسس أول

1) قفة الصلاح ص: 72.

2) كتابات أسامة بن هامل ومقالاته من هذا النمط من الكتابة ويجسده بكل وضوح.

مدرسة موسيقية في العالم، بل ربما أول منشأة لصناعة الآلات الموسيقية وتصديرها.

إن استحضار هذه الأمثلة لا يستهدف التهكم، بل يهدف إلى تجلية المآلات المنهجية الحتمية لهذا النوع من التأليف الذي يفتقر إلى الضوابط النقدية، ويُظهر إلى أي حد يمكن أن تبلغ الاستنتاجات حين تُبنى على روايات شعبية يُسقط عليها الباحث مسبقاً ما يريد إثباته.

لم يكتفي أسامة بن هامل بكل هذه الافتراءات وترويجها فوضع قصص لا سند تاريخي لها. فوضع قصصا عن الشيخ سليمان الفيتوري: منها أنه ولد في 12 لربيع الأول(1)، ومنها أن بيته كان معقلا لحشد الجهود لبناء كيان سياسي(2)، وأنه شكل قوة عسكرية على رأسها 11 قائدا تحت إمرته(3)، وأن قادة طرابلس انخرطوا في مشروعه الإصلاحي(4). كما حاول من خرافة وردت في البرموني أن يجنح بخياله بأن مشروع سليمان الفيتوري أوسع بكثير من الجهة والقطر، ويبدو أنه كان على اتصال وثيق بالعديد من الشخصيات حول العالم الإسلامي(5).

وقد أسّس الكاتب جملة استنتاجاته السابقة على رواية وردت في كتاب "روضة الأزهار" تحقيق الدكتور الهرامة، صفحة 122–123، مفادها أن الشيخ سليمان أرسل أكبر أبنائه إلى مكة المكرمة، فلما وصله أخبره بوفاة والده في جهاد النصارى، وشكا إليه ظلم العوامر، فأجابه بأنهم سبعة في مقابل سبعمائة، ثم دعا بأن يجعل الله فيهم السبعة إلى يوم القيامة، فاستُجيب له ولم يتجاوز عدد العوامر السبعة.

والملاحظ أن هذه الرواية تنتمي إلى جنس الأدب الكرامي الشعبي الذي يقوم على الخارق والمعجز، وهو جنس له سياقه الديني الخاص الذي لا يُفضي بالضرورة إلى استنتاجات تاريخية أو حضارية. ومن ثَمَّ، فإن اتخاذ مثل هذه الرواية أساساً

---

1) قفة الصلاح، ص 217.

2) المصدر السابق، ص: 218.

(3) المصدر السبق، ص: 219.

4) المصدر السابق، ص: 220.

5) قفة الصلاح، ص: 222.

لبناء استنتاجات ذات طابع تاريخي أو اجتماعي يُعدّ تجاوزاً واضحاً لحدود ما تُتيحه طبيعة المصدر ووظيفته الأصلية.

نكتفي بهذا العرض الموجز لما تضمّنه مؤلَّف أسامة بن هامل من روايات تتعلق ببعض الشخصيات التاريخية، ونترك للقارئ الاطلاع على الكتاب كاملاً لتكوين تصور شامل عن طبيعة هذه المرويات وآليات انتشارها. وننتقل بعد ذلك إلى دراسة ما يطرحه الكاتب من استنتاجات وتحليلات في شقها المتعلق بالشيخ الأسمر تحديداً، لبيان ما ينطوي عليه من محاولة لإعادة تقديم الافتراءات المنسوبة إلى الشيخ الأسمر في صياغة معاصرة، تُوهم بالتجديد والتحديث في حين أنها لا تعدو كونها إعادة إنتاج للمرويات غير الموثقة ذاتها في قالب مختلف.

أما قراءة أسامة بن هامل عن الشيخ عبد السلام الأسمر، الذي يصفه بمجدد القرن العاشر الهجري، فيبدأ "قفة الصلاح" بوصف ما يسميه مرحلة التمهيد في "قفة الصلاح"، فقال: "وهي المرحلة التي بدأت بزليتن وصولا إلى زغوان، وإن كانت المصادر لا تسعفنا بكثير من التفاصيل عن مضمون المشروع الإصلاحي للإمام، إلا أن كم المناظرات التي أشارت إلى وقوعها بينه وبين علماء بلدته، وأبرزها وأهمها مناظرته مع الشيخ سالم بن طاهر، والشيخ سالم الحامدي، والشيخ سعيد التطاوني[1]، والشيخ كريم الدين البرموني، تعكس رفضاً لجديد، يبدو أن الإمام أضافه للمنهج الصوفي، والعلمي، السائد في البلاد وقتها، مما دفع هؤلاء العلماء إلى معارضته، خصوصا أننا نلاحظ أن تلك المناظرات لا تركز إلا على قضيتي الذكر الجماعي، واستخدام آلة الدف، وهي القضايا ذاتها التي تجدها أساسًا لمناظرات أخرى بينه وبين علماء المناطق التي مر بها خلال هذه الرحلة التعريفية بمشروعه، كمناظرته مع الشيخ مبارك الحامدي في ساحل الأحامد، ومناظرته مع الشيخ محمد الحطاب في طرابلس، وفي كل منطقة يزداد حجم الاعتراضات على

1) سعيد التطاوني: لم يترجم له إلا أحمد القطعاني في موسوعته: فقيه مغربي نزل بزليتن وجلس للتعليم وصار من أبرز فقهائها. ج1، ص: 496. كعادته القطعاني لا يذكر مصادره ولا تلتزم موسوعته بالموضوعية ولا الطريقة العلمية في الكتابة بالرغم من أنها نشرت سنة 2011م. لذلك تحتاج إلى دراسة لنفض الخرافات والتحقق مما ورد فيها. هذا لا يعني أن كل ما ورد في موسوعة القطعاني غير صحيح لكنها تحتاج إلى تحقيق وإعادة قراءة لما ورد فيها من تواريخ.

أسلوبه الإصلاحي، حد معارضته من قبل السلطة الحاكمة، وفي كثير من الأحيان تقترن حملة الاعتراض بإخراجه من كل منطقة يصل اليها"[1].

يسعى الكاتب في النص السابق إلى إيهام القارئ بوجود مشروع إصلاحي ذي ملامح غير محددة، وبأن الشيخ الأسمر خاض مناظرات علمية مع معارضيه. والتحقق من صحة هذه الادعاءات يستلزم الرجوع إلى المصادر التي تتناول أسباب معارضة العلماء للشيخ الأسمر في المناطق التي أُخرج منها، وتقييم طبيعة هذه المناظرات المزعومة في ضوء المعايير العلمية المعتمدة. كما يستوجب التثبت مما إذا كانت هذه اللقاءات قد وقعت فعلاً أم أنها من قبيل المرويات غير الموثقة، والتحقق مما يُدّعى من أن هؤلاء العلماء عدلوا عن مواقفهم وانتهوا إلى الانضواء تحت تلمذة الشيخ الأسمر بعد أن ألزمهم الحجة. وهذه كلها تساؤلات جوهرية تقتضي الإجابة عنها منهجاً تاريخياً رصيناً قائماً على التحقق من المصادر لا على الرواية التقليدية وحدها.

وفي هذا السياق يطرح الباحث تساؤلاً جوهرياً: ما طبيعة المناظرات التي يُدّعى أن الشيخ الأسمر أجراها مع معارضيه؟ وما مضمون الاعتراضات التي وجّهها إليه المخالفون؟ وهل يتوفر في المصادر المتاحة نص واحد لمناظرة علمية أو فقهية أو شرعية موثقة، أثبت فيها الشيخ الأسمر حجته بالدليل حتى اضطر مخالفوه إلى الإذعان لها والرجوع عن مواقفهم؟ فغياب مثل هذه الوثائق يُلقي بظلاله على مصداقية هذه الادعاءات، ويجعل التثبت منها مطلباً منهجياً لا غنى عنه.

والحقيقة التي تكشفها الدراسة المنهجية للمصادر المتاحة، مطبوعةً كانت أم مخطوطة، أنها تخلو تماماً مما أسنده الكاتب إليها من ادعاءات. ومن هنا تنطلق هذه الدراسة في تقييم هذه الادعاءات وفحص ما يُسمى بالمشروع الإصلاحي المزعوم وطبيعة المناظرات المنسوبة إلى الشيخ الأسمر، في ضوء ما توفر من وثائق وشواهد تاريخية موثوقة. فقد انتهى الكاتب إلى استنتاجات بعيدة عن سياق المصادر، إذ استخلص من رواية سيدي مفتاح وما نُسب إليه من ترويض الطيور مشروعاً بيئياً إصلاحياً متكاملاً، ومن المرويات المتعلقة بسيدي زلي جيشاً لتحرير طرابلس من الإسبان — مع الإشارة إلى أن المصادر الشفهية والتاريخية تصف

1) قفة الصلاح، أسامة بن هامل ص 11-12

هذا الجيش بأنه من الجن لا من الإنس — فيما استنبط من رواية زغاريد أخت الشيخ مفتاح قدرةً على تشخيص مرض الطاعون، واستخلص من مرويات أمه عائشة التاورغية دوراً استطلاعياً وعسكرياً ولوجستياً في دعم عمليات تحرير طرابلس من قلعة بن وليد. وهي استنتاجات تفتقر جميعها إلى ما يسندها من الوثائق التاريخية الموثوقة، ولا تعدو كونها تأويلات مبنية على مرويات شعبية ذات طابع كرامي لا يحتمل هذا القدر من التوظيف التاريخي والحضاري.

أما عندما يتحدثنا عن الدف الذي نزل من السماء فيقول: "وأنا أعرف أن شيخنا العلّامة القطعاني يجيد إيقاع "دف" الإمام إجادة تامة، كما يجيد العزف على "ناي" مولانا جلال الدين الرومي، وكثيرًا ما تحدث عن أسرارهما، في إلماح هام جدًا لوجود تقارب بين الأساليب الدعوية عند الإمامين: الأسمر والرومي، وهو ما تعكسه بعض مظاهر أعمالهما، فكلاهما استخدم القصائد وآلة موسيقية بمصاحبة الذكر، وكما نظم الرومي أشعاره بالعامية واقترب بها من مختلف شرائح المجتمع موجهًا خطابه إليها، كذلك الإمام نظم أشعاره بذات الأسلوب ولذلك الهدف، بل حتى أسلوب نظم الشعر يكاد يتقارب في الكثير من أوجهه وقضاياه واغراضه "[1].

ولا يخفى على المتأمل الفارق الجوهري بين ما يُنسب إلى الشيخ الأسمر من قصائد وما خلّفه أعلام الشعر الصوفي كجلال الدين الرومي الذي بلغت حكمته من العمق والثراء حداً جعل أقواله تُترجم إلى لغات عديدة وتحتل مكانة رفيعة في التراث الإنساني. فالقصائد المنسوبة إلى الشيخ الأسمر تدور في معظمها حول ادعاء الكرامات والدعاء على من يُصنِّفون أعداءً له، فضلاً عن روايات شعبية تخلو في الغالب من الحكمة والعمق الفكري، وإن سلمت بعضها من صريح المخالفة العقدية. وهذا المستوى يظل بعيداً عما يُؤهّل صاحبه للمقارنة بأعلام الشعر الصوفي الكبار. وقد جاء ما أورده الكاتب من شرح وتأويل لهذه الأبيات، ابتداءً من الصفحة 201 وما تلاها، مثالاً صارخاً على الإسراف في التأويل وتحميل النصوص ما لا تحتمل. ونُحيل القارئ إلى هذه الصفحات ليقف بنفسه على

1) قفة الصلاح، الطبعة الثانية، ص: 199.

طبيعة هذه التأويلات وما تنطوي عليه من مجانبة للمنهج النقدي الرصين في التعامل مع النصوص الشعرية وتحليلها.[1].

وعلى الرغم مما حشده أسامة بن هامل – "صاحب القفة" – من مرويات في سبيل إثبات وجود مشروع إصلاحي منسوب إلى الشيخ الأسمر، فإن مضمون هذا المشروع المزعوم ظل مبهماً وغير محدد المعالم. وللوقوف على حقيقة المناظرات التي يستشهد بها الكاتب دليلاً على هذا المشروع، لا بد من استعراضها جميعاً كما وردت في مصادرها الأصلية، إذ إن الفحص الدقيق لهذه المصادر يكشف عن إشكاليات جوهرية تطعن في صحة هذه المناظرات من أساسها. فقد بيّنا في مواضع سابقة من هذا الكتاب أن اللقاءات المزعومة بين الشيخ الأسمر وعدد من الشخصيات التي يُدّعى أنه ناظرها — كالبرموني والسنهوري وسالم بن طاهر والمباركي وهمام وغيرهم — لم يقم عليها دليل تاريخي موثوق، وأن المصادر التي أوردت هذه اللقاءات هي ذاتها مصادر مشكوك في نسبتها وتاريخ تأليفها. فضلاً عن ذلك، فإن ما يُقدَّم على أنه مناظرات علمية لا يعدو في حقيقته كونه روايات كرامية شعبية أُعيد تأطيرها في صورة سجالات فكرية ودينية، بهدف ترسيخ رواية تأسيسية تُوهم بأن الشيخ الأسمر خاض مواجهات علمية حقيقية أُلزم فيها خصومه الحجة حتى رجعوا عن مواقفهم. وهذا التوظيف يكشف عن منهج ممنهج في تحويل الموروث الكرامي إلى سلطة معرفية وعلمية لا سند تاريخياً رصيناً يعضدها.

وقفات مع الشيخ أحمد القطعاني

نشأ الشيخ أحمد القطعاني–رحمه الله– نشأة صوفية، واهتم بموضوع التصوف والشخصيات الصوفية في ليبيا، وألف العديد من الكتب، ولعل أشهرها موسوعته التي سماها "موسوعة القطعاني"، ذكر فيها قصصاً كثيرة وسيراً لبعض الشخصيات الصوفية. تحوي الموسوعة الكثير من القصص الخرافية وهي تفتقر لأية مصادر حقيقية، وقد حشد فيها الكثير من مرويات

---

1) نشير إلى أنه يمكن الحصول على نسخة إلكترونية من كتاب قفة الصلاح على موقع Internet Archive واستخدام خاصية البحث عن "قفة الصلاح" أو تجدونه على مكتبة نور واستمتعوا بقراء الكتاب مجانا.

الكرامات المختلقة، والخوارق المنسوبة لبعض هذه الشخصيات. ومع ما في الكتاب من خرافات لا يصدقها العقل، وتتعارض مع ما هو معلوم من الدين بالضرورة، إلا أنها أسدت خدمة في حفظ تاريخ مدة من فترات التخلف في ليبيا، والتي سادها التخلف والانحطاط.

كذلك ألف الشيخ أحمد القطعاني كتابًا عن الشيخ الأسمر بعنوان "القطب الأنور عبد السلام الأسمر"، طبع مرتين، آخرها الطبعة الثانية سنة 1993م ننقل لكم هنا ما جاء فيه ليعرف القارئ، مدى تأثير الخرافة على كتابات الشيخ القطعاني، ومن انتهج نهجه. قال:

"وإن كان هناك من ينكر على مثل الشيخ عبد السلام مثل هذا الأمر، ويشكك في الروايات على أنها حدثت منذ مدة تزيد عن أربعة قرون، وما إليه من ترهات الإنكار السافرة، والجحودات النافرة، فلا أجد ما أرد به عليه إلا بما شاهدناه بأعيننا ولمسناه بأيدينا، من مثل هذه الأمور. وأين نحن من علياء الشيخ عبد السلام، بل أين الثرى من الثريا، بل أين القطرة من البحر. ولا يهمني رأى القاسية قلوبهم، ولا ألتفت إليه، فيكفي أننا نتحدث عن حقائق، ويتحدثون عن أوهام وظنون، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ولكن أكثر الناس لا يعلمون. فقد كنا دعونا بعض الفقراء فى عام 1980م لتناول العشاء، وذبح لهم والدي شاة صغيرة كانت بالبيت، وأعددناها لتكفي المدعوين، أو ربما أكثر بقليل. حدث أن تأخر الفقراء في المجيء، وكان ذلك بسبب قدوم فقراء من مدينة مصراته لحضور حفل ديني يقام بإحدى الزوايا في الغد، فأحضروهم معهم، وتسامع بقدوم هؤلاء، وهؤلاء فقراء آخرون، فقدموا أيضاً، وامتلأ البيت، وغصت ردهاته، وطرقاته بالفقراء، فلكأنني انظر هذه اللحظة إلى الطعام، وقد كفاهم جميعا وما زدنا، على ما أعددنا شيئا. ولا شك أن هذا كان ببركة الفقراء الحاضرين، وقدومهم المبارك، وأنفاسهم الزكية الطيبة. ولو أردنا أن نفيض في التحدث عن مثل هذه الحقائق لاحتجنا مجلدات[1].

ويقول في كتابه القطب الأنور عن بر الشيخ الأسمر بوالدته: "كان هو الآخر ودودا محبا لها عطوفا عليها، لا يخالف لها أمرا ولا يرفض لها طلبا، سألته في

---

1) القطب الأنور عبد السلام الأسمر، أحمد القطعاني، ص 68 -69

إحدى المرات شيئا من ماء زمزم لتتداوى به من ألم في عينيها فماء زمزم لما شرب له، فصلى العشاء وأسرج فرسه المسماة "سعيدة" وذهب وصاحب خدمته "خليفة الشويشين" إلى بيت الله الحرام وطافا بالبيت وأحضرا الماء المطلوب في ليلتهم، وغسلت السيدة والدته وجهها الطيب من ذلك الماء المبارك وبرئت بإذن الله. وبلغ من عنايته بها وحدبه عليها أنه ما فارقها قط حتى انتقلت إلى جوار ربها. وطي الزمان والمكان من الكرامات المعروفة عند العلماء والخوارق جائزة الحدوث عند ذوي الاطلاع"[1].

ويبدو أن الشيخ القطعاني يسعى من خلال نشر هذه المرويات وإطلاق هذه الأحكام إلى تعزيز مصداقية ما أورده في مؤلفاته من روايات خارقة، إذ يوظف ما يدّعي مشاهدته دليلاً على صحة ما ينسبه من كرامات. وهذا النهج الاستدلالي يكشف عن خلط منهجي واضح بين الشهادة الشخصية والدليل التاريخي الموضوعي، وبين ما يُروى في سياقه الكرامي الشعبي وما يصلح حجةً في سياق البحث العلمي الرصين. وفي ذلك ما يدعو إلى التأمل في طبيعة المنطق الاستدلالي الذي يُعتمد في إثبات مثل هذه الادعاءات وتسويغها للقارئ.

ويمضي ليتحدث عن الشيخ الأسمر: كان رضي الله عنه يحدث الصبيان في المكتب، ويخبرهم بما طعم أهلهم[2] ويستسقي، ويدعو ربه فينزل الغيث من ساعته، ناهيك عما جربه العامة والخاصة من حضوره في الشدائد للمستغيث به، وفكاكه للأسرى، وطي الزمان والمكان له. ومن كراماته رضى الله عنه أنه كان يشير إلى الدف فيضرب نفسه بنفسه بدون واسطة، وكانت له سبحتان واحدة بيده، والأخرى معلقة في وتد، فإذا سبح بالتي في يده حبة، تسبح التي في الوتد حبة من غير واسطة، ورؤيته للنبي الله مناما ويقظة. وكما قلنا فإن هذه الأمور من نعم الله سبحانه التي يتفضل بها على عباده، ولأهل الطريق من هذه الأمور الكثير. يقول حجة الإسلام الامام الغزالي رضى الله عنه، متحدثا عن الطريق الصوفي، شارحا لما يمكن أن يكون مستغلقا على غيرهم، ومن أول الطريق تبتدئ

1) القطب الأنور عبد السلام الأسمر، أحمد القطعاني، ص: 41.

2) لعل الذين نسبوا هذه الكرامة للأسمر استلهموها من معجزات عيسى عليه السلام عندما قال: "وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم".

المشاهدات، والمكاشفات حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال إلى مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق".

نعم للسادة الصوفية رؤى منامية، ومشاهدات يقظوية ولو أردنا استقصاءها لما أمكن لأنها من فضل الله تعالى وفضل الله لاحد له، وقد تكون هذه الرؤى المنامية واضحة جلية مما يدرجها ضمن أنواع الكشف"

كأن الشيخ القطعاني في جزء من هذا النص، يقدم الحجة الدامغة على من ينكر هذه الكرامات، ويستخدم نفسه شاهدا على إحدى هذه القصص، والتي تبدو أمرا طبيعيا يمكن تفسيره بوجه من وجوه المنطق، ولكن ما أورده بعده من تنبؤات عن أخبار الشيخ الأسمر عما يأكل الناس في بيوتهم وهو ما ذكره القرآن في حق عيسى عليه السلام. قال تعالي:" وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم". سورة آل عمران 49.

لك أن تتصور كم الخرافات التي حاول القطعاني نشرها عبر كتبه استمراراً في نشر الجهل والتخلف، وترويجها عبر كثر من أصحاب ومريدي الطرق الصوفية.

يقول القطعاني في كتابه "القطب الأنور عبد السلام الأسمر" عن سبب عدم ذكر الشيخ عبدالوهاب الشعراني، للشيخ في مؤلفاته رغم تعاصرهما، وينقل إجابة عن الشيخ عبدالرحمن المكي أن الشعراني كان لديه رغبة في زيارة الشيخ عبد السلام وأستاذه الدوكالي فيقول: "وقد اجتمعت بالشيخ عبدالوهاب الشعراني، فوجدناه مريض الجسم وقرأنا عليه الوصية والشطحة، وسلمهما معا وقال: إن عشت وأطال الله في عمري لأزورن الشيخ الدوكالي وتلميذه عبد السلام الأسمر وأمرنا بجمع مناقب الشيخ الأسمر، وحكايته وأموره لكي ينقلهم ويترجمهم في رسائله، فمات في ذلك المرض رحمه الله[1]. اهـ

ولو استخدم القطعاني رحمه الله وعفى عنه شيئا من المنطق لعلم أن الوصية كتبت بعد الشيخ الأسمر بما لا يقل عن قرن من الزمان، بعد وفاة الأسمر. وما فيها من إشارات تدل على زمن كتابتها، وعدم صحة نسبتها للأسمر. كما أن الشعراني مات قبل تأسيس زاوية الأسمر بسنة أي سنة 971 هـ كما يذكر صاحب

1) القطب الأنور عبد السلام الأسمر، القطعاني، ص 181

فتح العليم. أضف إلى ذلك أن رواج وانتشار سيرة الأسمر وشهرته كانت بعد وفاته بعد أن نشرت كراماته في فتح العليم، والاشارات، والبرموني، وغيرها. كما أن مخطوط عبد الرحمن مكي لا يحتوي على هذه القصة التي لا شك في اختلاقها، وما يمنع عبد الوهاب الشعراني من نشر سيرة الأسمر إذا كانت معلومة في ذلك الوقت وقد نشر لشخصيات صوفية كان لها شهرة كبيرة في مصر وغيرها. وكيف سيزور الشيخ الدوكالي وقد مات قبل الشعراني بعقود؟ كل هذا الكم من المتناقضات يدل على ضحالة العقل الخرافي في تقبل الخرافات والابتعاد عن امعان العقل في البحث على الحقيقة، بله ونشرها وتطويرها بما يتمشى مع لغة العصر في ذلك الوقت.

يقول القطعاني في كتابه القطب الأنور، كذلك في رواية عن عبد الرحمن المكي، نقلا عن تقييده: " نوينا السفر أنا وجماعة من أهل مكة نحو المائتين والخمسين فقيرا من حمالة القرآن العظيم شاغفين بمحبة الأسمر وطريقته إلى أن وصلنا إلى الإسكندرية، فأخبرناهم بذلك فسارت معنا طائفة منها نحو المائة فقير ومن كل بلاد طائفة. ثم يتكلم عن العام الثاني لقدومه على الشيخ فيقول: وفي العام الثاني اجتمعت عنده ستة أركاب من المشارقة والمغاربة. ثم يقول: وقد شاع الخبر بالمشرق والمغرب عند الحجاج، وفي العام الثالث قد جاءه خمسة آلاف من الشام، ومصر، وبغداد، ومكة المشرفة، والمدينة المنورة، وأخذوا عنه العلوم، والطريقة. وجاءه من المغاربة تسعمائة فقير وأخذوا عنه العلوم كالتوحيد، والفقه، والتصوف، والأوراد، وكذلك الحزب والدرس، ولا زلنا معه إلى أن توفاه الله. ويمضي المكي في خرافته فيقول: ولما بلغنا إلى المدينة في الحجة الخامسة، والوصية المذكورة والشطحة، عندنا وقرأناها على علماء المدينة بأجمعهم، فأعطونا خمسمائة بندق من الذهب، تعظيما للشيخ الأسمر، واعتقادا في كلامه، فقسمها الفقراء بينهم، واشتاقت قلوب العلماء بمحبة الشيخ الأسمر وزيارته[1]. اهـ

ولا يخفى على القارئ المتأمل أن الوصية الكبرى لم يكن للشيخ الأسمر أي صلة بتأليفها، إذ ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنها وُضعت ونُسبت إليه بعد وفاته. ويتجلى الهدف من هذه المبالغات — سواء في الأعداد أو في الكميات الذهبية

1) المصدر السابق ص: 180 -181.

الموصوفة وطريقة توزيعها على فقراء الطريقة — في كونها أداةً للترويج للطريقة وتعزيز مكانتها وإضفاء الهيبة عليها. وتثور هنا تساؤلات منهجية جوهرية لا يمكن إغفالها: فهل يُعقل أن يقبل علماء المدينة المنورة، وهي موطن الفقه والعلم، ما تتضمنه هذه الوصية من مضامين، في حين أن ما فيها من ادعاءات تتعلق بعلم الغيب ومواطن الشرك تستوجب بداهةً إنكار العلماء لا إذعانهم؟ فضلاً عن أن علماء الحرمين كانوا على اطلاع واسع بأمهات كتب التصوف والمناقب، مما يجعل من المستبعد أن يُؤثّر فيهم ما وردت به الوصية من مضامين تعلو عليها كتب التصوف الكبرى المعروفة لديهم.

ويزيد في استبعاد هذه الروايات ما يتعلق منها بالأعداد الهائلة من الزوار التي تذكرها المصادر، إذ إن إيواء هذه الأعداد وتأمين متطلبات إقامتها يُشكّل عبئاً لوجستياً يصعب تصوره في زليتن في القرن العاشر الهجري، ولا سيما أن تلك الحقبة شهدت وباءً فتاكاً عُرف بـ"الوباء الكبير" أودى بحياة عدد كبير من السكان، وهو ما تشهد به الوثائق المحلية الزليتنية، مما يجعل ادعاء احتشاد الآلاف في تلك الفترة بالذات مجانباً للواقع التاريخي الموثق. ودعنا نلقي نظرة على ما كتبه الشيخ القطعاني في "سلسة مقالات أهل الحق"[1] تحت عنوان "الشيخ عبد السلام الأسمر وأثره في علوم الرواية والأسناد"، فبعد مقدمة عن أحد أهم أعلام المسندين في القرن الحادي عشر، الشيخ السنهوري، محاولا إيهام القاري أن الشيخ السنهوري، الذي لم يغادر مصر، كما هو معلوم من سيرته الصحيحة، ليجلس تلميذا عند الشيخ الأسمر.

ويخلط القطعاني بين نوعية الإسناد التي اشتهر بها السنهوري، وهي كتب الحديث الستة، وبين الخرافات – التي يسميها إسنادًا – والتي افتراها صالح الجعفري في كتاب "الأنوار السنية والمنن البهية" سنة 1964م وادعى أنه كان مخطوطا من تأليف الشيخ الأسمر. وفي الكتاب من الكفر، والخرافات التي نقلنا بعضا منها في هذا الكتاب، ما لا يصح نسبته إلى أي مسلم مقر لله بالتوحيد ولنبيه صلى الله عليه بالرسالة؟

1) سلسة مقالات أهل الحق، أحمد القطعاني، 2012، ص: 2.

ويذكر القطعاني أن الشيخ صالح الجعفري كان شاعرا فصيحا فحلا أحب طريقة الشيخ الأسمر في نظم أشعار العامية فنظم قصيدة على منوال السلسلة الذهبية. ويستمر القطعاني في تأكيد هذه الخرافة حيث إن الجعفري بعد الانتهاء من القصيدة رأى الشيخ الأسمر في رؤية عجيبة يتصل بالشيخ أحمد بن إدريس ويقول له كف مريدك – يقصد صالح الجعفري – عن النسج على منوال شعري فتوقف الجعفري في وقته. وهذا إن دل فإنما يدل على أن هناك شكًا كبيرًا في نسبتها للشيخ الأسمر، وأن الشيخ صالح الجعفري هو مؤلف "المنح البهية "، وكتاب "النور الناير"، وبعض القصائد المنحولة للشيخ الأسمر. وقد كشفنا في هذا الكتاب بعضا مما توصلنا إليه من الحقائق التي تكشف كل هذه الافتراءات على الشيخ الأسمر.

ويستمر القطعاني في كتابه [1] من نفس المقالة في إجازة السلسلة الذهبية، ويجيز بها استمراراً في نشر الخرافات فيقول: "وختاما فإنني أجيز بسندي المذكور آنفا لكل من منظومة السلسلة الذهبية، وكتاب الأنوار السنية والمنن البهية، لمؤلفهما سيدي الشيخ عبد السلام الأسمر، كل راغب في الاستجازة فيهما، وما عليه إلا أن يقول" قبلنا الإجازة ليصبح سنده عنا صحيحا متصلا مادام معاصرا لنا.

وقفات مع النفحات الفيتورية في القصائد الأسمرية

هذا الكتاب[2] نشره أحمد حامد عبد الكريم نائب طريقة الشيخ عبد السلام الأسمر بمحافظة سوهاج. تنسب القصائد التي بالكتاب للشيخ عبد السلام الأسمر، وهو مجموعة من الابتهالات والقصائد والنصائح والوصايا. ما جاء في هذا الكتاب يتكرر معظم ما جاء فيه في كتاب "سفينة جمع البحور"[3] الذي صدر حديثا بتحقيق د. محمد البسكري و د. محمد الحمادي، والكتاب باعتراف

1) القطب الأنور، ص: 3.

2) النفحات الفيتورية في القصائد الاسمرية، عبد السلام الأسمر، أحمد حامد عبد الكريم الشريف، دار السعادة للطباعة، مصر، الطبعة الأولى، 1998م.

3) سفينة جمع البحور، تحقيق محمد البسكري ومحمد الحمادي، تونس، مركز الوسيقى العربة والمتوسطية، منشورات سوتيميديا، 2023 م.

أحد محققيه أنه لم يجد أية إشارة إلى من قام بكتابته ولا تاريخ نسخه. لكن المحقق يعتقد أنه نسخ في الربع الأول من القرن العشرين لورود قصيدة[1] حديثة به. مما يشير إلى تطور الإضافات التي تضاف في كل وقت لقصائد الأسمر ثم تنسب إليه.

ويظهر الفلوكلور الشعبي المغربي واضحا في بعض كلمات القصائد، ودخولها لقاموس المفردات الشعبية الليبية نذكر منها على سبيل المثال: كلمة "الوهرة"[2]، و"أنا دخيل على رسول الله"، و"سيدي" و "يزيك" وغيرها.

وهذه القصائد تحتاج إلى دراسة معمقة، لإعادة قراءة الافتراءات التي نسبت للشيخ الأسمر بعد وفاته، وهي لا تحتاج إلى كثير عناء، فبعضها ظاهر مثل ما جاء في القصيدة رقم (62) في النفحات الفيتورية:

يا برموني يا مريدي لا تحتار من فقهاء هذا الزمان
ارحل من طنتدا ومن سائر ولكن مكة تستبان
تعليقك فاق الشروح صفا وحمار وأنت مفتي ذا الزمان

وعلق مفتري الكتاب بقوله: "هذه القصيدة كتبها سيدي عبد السلام في الهواء، ليقرأها البرموني عندما ضاق به الحال في طنطا، عندما أنكر عليه العلماء على شرحه مختصر خليل.. الخ"[3].

القصائد مليئة بذكر صراعات بين مريدي الطريقة وشخصيات وقفت في وجه الأسمر كهمام والمباركي وابن عماه سالم المباركي من ساحل الأحامد، وكرامات تفوق الخيال ولا تصدقها إلا العقول التي تربت على الخرافات نستعرض بعضها في هذا الكتاب لترى حجم الافتراءات. وإذا كان هؤلاء الذين ينشدون هذه القصائد في حلقات الذكر يعتقدون بصحة نسبتها للشيخ الأسمر فكيف لهم حل

---

1) المصدر السابق، ص: 626. ورد فيه قصيدة مطلعها "يا خالق المخلوق اتلطف بيا" وهي للشاعر الشعبي التونسي الشيخ العربي بن احمد النجار.

2) النفحات الفيتورية ص 51، ص 75.

3) النفحات الفيتورية، ص 92.

هذه المتناقضات بين التصوف الذي يزكي النفس وبين هذا الكم من الدعاء ونشر الحقد بين أفراد المجتمع المسلم!.

كما أن القصص التي وردت في البرموني فيها تهم صريحة بأنه ساحر. فقد جاء في روضة الأزهار[1]: "واعلم أن هؤلاء القوم الذين هم الأحامد لما أراد الله هلاكهم ونفاذ أمره فيهم، تسلطوا على هذا الولي – الذي هو مولانا عبد السلام – بالضرب والشتم والأذية وغير ذلك، وكان السبب في بغضهم له مع سبب هلاكهم الفقيه مبار، وابن عمه سالم المباركي – لا بارك الله فيهما – كانا يرميانه بالعظائم كالسحر والاستدراج وشبه ذلك حتى كرهوه وأبغضوه مع جهلهم، ومازال به الأحامد حتى طردوه من قريتهم، وكان كلما تكرر عليه شكوى الظلم منهم لم يدع عليهم بشيء، حتى أذن[2] له في الدعاء عليهم". ثم تحولت هذه القصص إلى قصائد مازالت تنشد في بعض حلقات الحضرة وعلى ضربات البندير إلى يومنا هذا.

جاء في القصيدة رقم 63 البيت التالي[3]:

همام فينا كالكلب المسعور غدار ويعض جاره

فيهم مبارك طايح مكسور جاءت كسرته من إثارة

ثم يذكر كرامة للشيخ الأسمر بإتيانه بمرأة سمها "عسيلة"[4] من بلاد النصارى:

وجبت عسيلة وبنات الحور من وسط بر النصارى

تحولت خرافة نزول الدف على الشيخ الأسمر من السماء في القصائد التي نسبت للشيخ الأسمر[5]:

---

1) روضة الازهار، تحقيق الهرامة، ص: 232- 233.

2) من أذن له بالدعاء؟

3) المصدر السابق، ص: 92.

4) المصدر السابق، ص: 93.

5) النفحات الفيتورية، ص: 37.

واللي تعرض للدف الرنان مكسور وعظمه مشاوي[1]

موهوب لي من عند الرحمن ماهوش بأمر الهزاوي

وفي خرافة تنسب للشيخ الأسمر. قال سيدي عبد السلام: فما أتممت دعائي هذا إلا وإذا بدف مزنج ذي صراصر نزل علي من الهواء فأخذته وجعلت نضرب به إذا اشتد بي الحال وقوي بي الوجد[2].

وتارة ينسب له في أبيات[3] الدعاء على مبارك الغيثي وابن عمه:

مبارك الغيث وابن عمه ألق عليهما كثير الغمة

اقتلهما يا ربنا بالفرد ما بين الحر وكذاك البرد

وتارة يخاطب مبارك:

أي مبارك غرك شيطان يزيك[4] من ذي الفتاوى

وينسب له قوله[5]:

ويضل هايم متشبب يلحق همام وزيا

ونسب له قوله[6]:

همام عمره ما يفيد بعد أن جا ناوي خصامي

---

1) المقصود به الفقيه المباركي وابن عمه سالم الذي مات نصرنيا واحترقت عظامه في قبره لأنه وقف في وجه الشيخ الأسمر.

روضة الأزهار، ص: 403.

2) النفحات الفيتورية، ص: 40.

3) روضة الأزهار، ص: 401.

4) النفحات الفيتورية، ص: 49. لاحظ كلمة "يزيك" وهي لفظة من اللهجة التونسية!، ولاحظ وجود كلمات من اللهجة المغربية والتونسية مثل "الوهرة" ص: 51. أنا شيخ وبنديري رنان *** من ابن عروس حزت الوهرة

5) النفحات الفيتورية، ص: 54.

6) النفحات الفيتورية، ص: 96.

وينسب له قوله الإتيان بالأسرى من بلاد الروم، ودخلت الخرافة إلى أبيات القصائد المنحولة له[1]:

جبت الأسرى من بلاد الروم   خلصته من مضيقه

ونسب له قوله[2]:

أنا الذي جبت المستأسر   بسلسة وصبح في داره

وينسب له في قصائده الدعاء على ساحل الاحامد[3]:

ساحل لاحامد لا يعمل   إجعل ديارهم مخلية

عملوني أنا ساحر   والسحر ما هوش ليا

والقصائد فيها من الشرك بالله وادعاء خوارق لم تعطى حتى للأنبياء، وقد تحولت القصص الخرافية في البرموني وغيره إلى قصائد يتغنى بها مريدي الطريقة على إيقاع البندير، ويعتبرها هؤلاء ذكر لله!.

العديد من القصائد التي تنسب للشيخ عبد السلام يشير فيها إلى مقتل ابنه عمران بأيدي سيوف المغاربة. جاء في النفحات الفيتورية[4]: "هذه القصيدة قالها سيدي عبد السلام الأسمر رضي الله عنه رثاءاً لابنه عمران رضي الله عنه قبل قتله وأشار رضي الله عنه بأنه سوف يقتل بعده:

الأمر لله الرحمن قولوا لعمران   لابد ما يقتل بعدي

ويظل دمك يا عمران بحري   غدران مالاه يا ليعت كبدي

من عبرتك قلبي دهشان مثل   والدمع يسكب على خدي

نبات يا كبدي وانا سهران دمعي   سكبان يا صيد عصرك يا كبدي

ما يقتلوك إلا العدوان وأنت مطمأن   من بعد تكتيف وقيدي

1) النفحات الفيتورية، ص: 55.

2) المفحات الفيتورية، ص: 59.

3) المصدر السابق، ص:70.

4) النفحات الفيتورية، ص: 120.

وتظل يا شرحة لاذهان مرمي عريان مسبول ما بين الوتدي
يا صيد في يوم الميدان يا عز الضيفان مالاه يا شبهة جدي
قلت يا رب يا رحمن احفظ عمران من ذي السوف اللي تردى
فقال لي يا ذا السلطان ابنك يقتل بسيوف الهندي
من غير شك ولا عدوان يقتل موعود في علمي عندي
اللي مقدر ربي كان يا ابني يا عمران الصبر لله يا ولدي

لا شك أن هذه القصائد افتريت عليه، لكن مازال هناك من يكرر وينشر هذه القصائد على أنها من كلام الشيخ عبد السلام الأسمر!.

فهل كل هذا السباب واللعن والدعاء على المسلمين بالهلاك من أخلاق المتصوفة على الكتاب والسنة!. وهل ادعاء هذه الخوارق كإحياء الموتى والإتيان بالأسرى، والاطلاع على اللوح المحفوظ وعلم الغيب، وما يسمونه بالأذن الإلهي من العقيدة الإسلامية فماذا ترك هؤلاء للمشركين والمبتدعين!. وكان المأمول بالجامعة الأسمرية والزاوية أن تقف في وجه هذه الخرافات وتمنع إنشادها داخل بيوت الله أو بالقرب منها. لكن للأسف تجد من يشجع على طبع هذه الكتب ونشرها. أليس هذا ما جعل خصوم الأسمر يصفونه بالساحر والمشعوذ والمبتدع!. هل ما ينشره أسامة بن هامل من أوهام وخرافات ويسميها مشروعا إصلاحيا يصمد أمام أي نقد علمي موضوعي!

في خاتمة هذا العنوان نشير إلى أنه تنسب للشيخ الأسمر أحزاب كحزب الطمس والحزب الكبير وحزب الخوف وحزب الفلاح. لا تصح نسبة أي منها إليه، وهي صناعة حديثة ولا تجد لها ذكر في روضة الأزهار، ولا في فتح العليم، ولا في الزهر في الأكمام وهي صناعة حديثة كصناعة رسائل الأسمر إلى مريديه. وردت في كتابات حديثة مثل كتاب الطبقات العروسية الشاذلية[1].

1) الطبقات العروسية الشاذلية، أحمد حامد عبد الكريم الشريف، مكتبة زهران، دار الاتحاد الاخوي للطباعة، مصر.

وقفات مع مجلة الجامعة الأسمرية

في هذه الوقفات نتناول قراءات مختصرة لما جاء في بعض البحوث المنشورة في مجلة الجامعة الأسمرية، هذه المجلة دورية علمية جامعة محكمة تصدر عن الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية.

في العدد الحادي عشر 1377 من وفاة الرسول – بحسب التاريخ الذي فرضه القذافي على مؤسسات الدولة – الموافق 2009 م، خصصت المجلة نشر أعمال مؤتمر: "المنارة الأسمرية من الزاوية إلى الجامعة".

البحث المقدم بعنوان "أثر الشيخ الأسمر في الدعوة إلى الله" والتي أخذت الصفحات من 253 إلى 279 كونها اعتمدت على مصادر تاريخية تم افتراؤها على الشيخ الأسمر في أوقات مختلفة. لم يقم الباحث بالتأكد من صحة نسبتها لمؤلفيها، ولا إلى دراسة التناقضات التي بها، فقام بانتقاء بعض النصوص من هذه المصادر، وسبكها في لغة أدبية حديثة غابت في ثناياها الحقيقة التاريخية. وفي هذا الفصل نتناول بالتفصيل نقد ما جاء فيها من عبث بالحقيقة التاريخية.

بعد مقدمة عن الدعوة ينقل الباحث نصا ذكره الدكتور الصديق يعقوب في بحث بمجلة العلوم الإنسانية[1] ونصه: "ولقد نسج الخيال الشعبي حول الشيخ مجموعة من الصور والأخيلة، تحت مظلة الولاية .... وجذبت حياة الشيخ وتاريخه وتراثه إلى هذه الدائرة قسرا، ومن حق الشيخ على التاريخ أن ينشله من دائرة العابثين، ويرفعه إلى مكانه العلي بين الولاية والعلم الحافظ".

وصدق الدكتور الصديق يعقوب فيما علق به عما نسب للشيخ الأسمر من افتراءات، لكن الباحث هنا يبدأ مقالته بنشر خرافة افتريت على الشيخ الأسمر، فمثلا يقول عن سبب تسميته بالأسمر نقلا عن تنقيح روضة الأزهار[2] : سميت بالأسمر لمبيتي الليالي سمرا في طاعة الله، وفي نص آخر أن والدته نوديت في سرها بتسميته بالأسمر.

وهنا يستغرب من له أدنى معرفة بتزكية النفوس، والتصوف، كيف يضفي الشيخ الأسمر على نفسه هذا الاسم، وما فيه من تزكية للنفس والتي تعارض آية

1) الشيخ الأسمر العلم المغمور والصوفي المُفترى عليه، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثاني، ص 465.

2) روضة الازهار ص 87.

من كتاب الله "لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"، ومع ما بينا في فصل سابق تحت عنوان "سبب تسميته بالأسمر" من تحرج بعض مريدي الطريقة العروسية من وصفه بالأسمر، أي وصف لونه أسمر وليس سمرا في العبادة، والسمرة ليست مدحا ولا ذما. ومع أن الباحث على ما يبدو، قد اطلع على مخطوط ينسب لشخصية مختلقة تاريخياً، وقد علقنا عليها في معرض الحديث عن الشخصية المسماة الشيخ عبد الرحمن المكي، والذي ينسب له كتاب "البحر الكبير في مناقب صاحب البندير"[1]، وهذا المخطوط مختلق ومن مبالغات الذين افتروا على الشيخ الأسمر، ويوجد مخطوط قال في مقدمته: "هذا تقييد الشيخ العالم سيدي عبد الرحمن المكي، وفيه من المفتريات والتعظيم للشيخ الأسمر ما يخالف الدين، وموجبات العقول فكيف يمكن أن يكون مصدرا لكتابة سيرة الشيخ الأسمر".

يقول في مقدمة المخطوط[2]: "الشيخ سيدي عبد السلام بن سليم الفيتوري المتصرف في البر والبحور ..." . وفي نفس هذا المخطوط والذي نعتقد أنه كان من الكتب التي نسجت مبكرا عن الشيخ الأسمر قبل تغيير قصة "سبب تسميته بالأسمر" حيث يذكر في المخطوط[3] قصة عن الشيخ الأسمر يصفه فيها فيقول:" وإذا برجل أسمر اللون .." وهو نفس الوصف الذي ذكره صاحب مخطوط كتاب "فتح العليم" عبد السلام العالم التاجوري.

وينقل الباحث القصة الخرافية المقتبسة من قصة موسى عليه السلام عندما استسقى لبني إسرائيل، فأمره الله بضرب الحجر بعصاه بأمر من الله:" وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ "[4].

---

1) البحر الكبير في مناقب صاحب البندير- مشكوك في وجوده مثل ما ادعى في تقييده أنه له كتابا أسمه الطمطام ، وما نسب للبرموني كتاب الديوان، مخطوط ص: 26.

2) مخطوط عبد الرحمن المكي ص: 2.

3) عبد الرحمن المكي، مخطوط، ص: 5

4) البقرة، آية 60.

لكن الشيخ الأسمر يفعل ذلك متيقنا أنه بمعوله يفعل ما فعله موسى لبني اسرائيل، فيذكر الباحث من البحث نقلا عن مخطوط عبد الرحمن المكي[1] : "فحفرنا ثلاثمائة قامة ولم نجد من الماء شيئا فصعدنا إلى رأس القلعة، وانهمرنا بالبكاء فاخذ الشيخ معوله وقال: أنتم غرباء وأنا رحمة لكل غريب، وضرب المعول في تلك الصخرة وإذا بالماء يتدفق فوق رؤوسنا".

يقول الباحث في ورقته: "وعندما أصبح شيخنا الجليل له قدم راسخة في العلم أجازه شيخه وأمره أن يسلك طريق الدعوة والإرشاد فخاطبه قائلا: "يا عبد السلام اذهب لينتفع بك الناس الشيخ ما يخدم شيخا". ويقتبس الباحث هذا النص من كتاب الأنوار السنية[2].

وقد بيّنا في فصل سابق أن هذا النص يتكرر عند الصوفية عند الاشادة بعلو مقام شيوخهم، ثم يقوم الباحث بتعديل في النصوص الواردة في كتاب البرموني وفتح العليم ليأتي بقصة جديدة مختلقة فيقول: "فجميع المشايخ امتنعوا عن قبوله، حالما يطلعون على علو مقامه، وغزارة علمه، فطاف على جميع مشايخ ليبيا المعتبرين أمثال الشيخ عبدالله العبادي[3]، والشيخ الحطاب، والشيخ على العوسجي، والشيخ عبدالنبي عبد المولى الأصفر فجميع المشايخ والعلماء سلموا إليه، وهكذا أصبح شيخنا الجليل الشيخ األول بلا منازع ، الحائز على شهادات العلماء له على علو مرتبته وغزارة علمه"[4]. والنص السابق، بحسب تعليق الباحث نفسه، حيث يسرد شخصيات في الحقيقة لا وجود لها، أو لم يطلع على سيرتهم مثل عبد الله العبادي، ويعلق في الهامش لم أقف عليه، مع أن الشيخ العبادي توفي سنة 898 هـ، والشيخ الأسمر كان عمره تسعة سنوات! كما ترجم له الخروبي في شيوخه، والنائب في نفحات النسرين والريحان[5]، والمنهل العذب، فكيف شهد لطفل عمره تسعة سنوات بعلو منزلته، وغزارة علمه، ما هذا

---

1) مخطوط عبد الرحمن مكي ص 267

2) الانوار السنية ص 11

3) ولد سنة 775 هـ وتوفي سنة 898 هـ وعمر الشيخ الأسمر تسع سنوات. وعلى من حاول تمديد وفاته الى سنة 925 هـ ، أي عاش 150 سنة. وهذه محاولة فاشلة لإقناع البسطاء بلقائه بالشيخ الأسمر.

4) توفي سنة 898 هـ وعمر الشيخ الأسمر تسع سنوات.

5) نفحات النسرين والريحان، النائب، ص 121.

الاستخفاف بالعقول؟، والشيخ الأصفر لم يقف عليه، أما الشيخ علي العوسجي ولد سنة 775 هـ، أي قبل ولادة الشيخ الأسمر بمائة وخمسة سنة. وحيث أن الشيخ الأسمر ولد سنة 880 هـ، على اعتبار أن الشيخ أتم تعليمه وعمره خمس عشرة سنة أي كان عمر العوسجي مائة وعشرين سنة، وهذا مخالف للعادة أن يجلس للتدريس في هذا العمر، ولكن تاريخ وفاة العوسجي مشكوك في صحتها، فقد ذكر الشيخ الطاهر الزاوي في كتابه أعلام ليبيا أنه عاش مائة وخمسين سنة ، أما الحطاب فلم يرد في أي من هذه المصادر التي نسبت للشيخ الأسمر أنه طلب أن يتتلمذ عليه، ولكن ورد في قصة تحدٍ خرافية نفاه فيها الأسمر في خارقة له إلى جزيرة، تبعد مسافة سبعين عامًا، فسلم له بعد بكاء واستجداء أن يرده إلى وطنه، وقد تناولنا هذه القصة في فصل عنوان سابق في الكتاب.

من هنا ترى المستوى العلمي، والبحث التاريخي، والأوارق التي يشارك بها بعض الباحثين في مؤتمرات وفي مجلات محكمة، تنشر الخرافات، وتمر دون أي نقد أو تمحيص من الهيئة الاستشارية للمجلة.

وخلاصة القول أن الورقة تناولت قصصًا أخرى نسجت من وحي الخيال. وقد قمنا بنقدها في فقرات سابقة من الكتاب مثل لقاء الأسمر بمراد آغا، ومحاصرته للأسمر، بقلعة سوف الجين، ومكوثه بجامع الناقة، ولم يقم الباحث بتتبع السبب الحقيقي لسياحة الشيخ الأسمر من زليتن، إلى سوف الجين، ومصراته، وطرابلس، وغريان، وغيرها، فما الذي كان يقوله لتتم مطاردته ونفيه مع وجود الكثير من الشخصيات العلمية والصوفية المعاصرة له، ولهم مؤلفاتهم، ووزنهم العلمي، وبعضهم مازالت تدرس كتبهم إلى يومنا هذا؟

ويمضى في سرد شخصيات درست على الشيخ الأسمر مثل الشيخ السنهوري، والمكي، والبرموني، وابن أقيت التنبكتي[1]، وقد بينا بما لا يدع مجالا للشك بعدم لقائهم مع الأسمر، ولا تلقيهم عنه، في فصول سابقة من هذا الكتاب.

البحث المقدم بعنوان "الطريقة العروسية والإمام الأسمر قدس الله سره"[2] والتي تبدأ من صفحة 617 إلى ص 635.

---

1) مجلة الجامعة ص 273

2) الطريقة العروسية والإمام الاسمر قدس الله سره، مجلة الجامعة ص 617.

يقول الباحث نقلا عن الكتب المنتحلة للشيخ الأسمر: " إخوتي من حافظ على الحضرة حفظه الله، ومن تخلف عنها وبقي يتهاون، ويتراخى فهو مطرود مبعود"[1]. فهل يقر أساتذة الجامعة الأسمرية هذا النص؟ وهل يجدون له مخرجا فقهيا؟ ومن هو المشّرع هنا الله، أم ما ينسب للشيخ الأسمر؟

في خاتمة البحث يقول: "وأختم بما قاله إمام الطريقة العروسية الإمام عبد السلام الأسمر فيما يرويه عنه مريده الإمام سالم السنهوري في كتابه النور النابر المنحول له: "إخواني فهذا شأن أهل طريقتنا العروسية الراجعة إلى الشاذلية الذين أدركناهم وعاصرناهم ،كلهم عالمون زاهدون ذووا صدق في الإرادة والاستقامة في الطريق. قال شيخنا: لا يبلغ المريد مقام الصدق حتى يزيد في تعظيم أمر الله ونهيه، فيفعل المندوب كأنه واجب ويتجنب المكروه كأنه حرام، ويتجنب الحرام كأنه كفر، وينوي بجميع المباحات خيرا فينوي بالنوم في القيلولة الإعانة على قيام الليل، وينوي بالأكل التقوّي على العبادة، وعلى تكسب الحلال، ويتناول بعض الشهوات للمداولة لنفسه إذا نفرت من العبادة. فإن لسان حال النفس يقول لصاحبها كن معي في بعض أغراضي وإلا صرعتك، وينوي بلبس الثياب الفاخرة إظهار نعمة الله تعالي"[2].

النص السابق منتحل للشيخ الأسمر، ومنسوب كذلك للشيخ سالم السنهوري في كتاب " النور النابر" و منقول من كتاب المنح السنية على الوصية المتبولية[3] لمؤلفه الشيخ عبدالوهاب الشعراني والكلام ينقله عن سيدي علي الخواص. وينقل د. علي العلوي في مقالته أن من أبرز شيوخ الأسمر الشيخ الزروق[4]، وهو من المؤكد أنه لم يلتق به كما بينا في الكتاب في عنوان سابق، إلا ما ورد من القصص المختلقة في البرموني والتي بيّنا تهافتها.

1) مجلة الجامعة ص 621.

2) مجلة الجامعة الأسمرية، 11، ص 635

3) الوصية المتبولية، تحقيق الدكتور حازم فاضل، منشورات مكتبة أمير، كركوك، 2015 م. ص 34.

4) مجلة الجامعة الأسمرية ص 476.

أما مقالة "الطب الوقائي في رسائل الشيخ عبد السلام الأسمر إلى مريديه – آفة التدخين نموذجا"[1]، والتي وجدها الباحث مدخلا ليتحدث عن التدخين وضرره على الصحة دون أن يبحث في صحة ما قاله الأسمر، معتقد أن ما جاء في الوصية الكبرى تصح نسبته للشيخ الأسمر. وينقل الباحث كلامًا لصاحب كتاب رسائل الأسمر إلى مريديه بأن عادة التدخين وصلت تمبكتو في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، فإذا كان الشيخ الأسمر، الذي توفي في أواخر القرن السادس عشر الميلادي سابقا لغيره في محاربة هذه الآفة اللعينة في زمن قياسي قصير بين دخول هذه العادة إلى هذه البلاد وبين تنبيه لأصحابه عنها في نفس هذه البلاد[2].

لا شك أن ورود هذا النص في كتاب "الوصية الكبرى" أكبر دليل على عدم صحة نسبة الوصية للشيخ الأسمر، وقد بينا في باب مناقشة الوصية الكبرى أن الدخان انتشر، ودخل إلى ليبيا بعد وفاة الأسمر. وهذا النص ادخل في ثنايا كتاب الوصية ليبقى شاهدا على الافتراءات التي نسبت للشيخ الأسمر.

الخلاصة أن هذا العدد من المجلة يحتاج إلى إعادة قراءة، بدءً من الطريقة العلمية التي استخدمت واعتمدت في الكتابة في موضوع اختلطت فيه الخرافة بالادعاءات والمبالغات، خاصة عندما تكون المصادر التي اعتمدت عليها هذه الأوراق نفسها، إما متناقضة في إبراز شخصية الأسمر، أو في الأخطاء التاريخية، أو المخالفات العقدية، أو اختلاف أساليب المصادر مع نسبة بعضها للأسمر.

وقفات تفصيلية مع أوراق نشرت حديثا عن الشيخ الأسمر

قمنا في هذا الكتاب بمراجعة ما ينشر في مجلات الجامعات الليبية عن الشيخ عبد السلام الأسمر، لأن هذا الإنتاج الأكاديمي هو الواجهة الرسمية للمعرفة المتداولة في البيئات العلمية، ولأن تسليمه بمصادر مطعون فيها يمنحها شرعيةً لا تستحقها. كما يكشف هذا النقد مدى افتقاد الأوراق البحثية الأكاديمية ببعض المجلات المحكمة! إلى أدنى معايير التقييم العلمي والتوثيق الصحيح، لهذا

1) المصدر السابق ص 335.

2) المصدر السابق ص 345.

تناولنا هنا بشيء من التفصيل بعض هذه الأوراق لبيان هذا الانحراف العلمي عن هذه المعايير .

وقفة مع ورقة "الدلالات العقدية عند الشيخ عبد السالم الأسمر"

نشرت مجلة البحوث الأكاديمية "العلوم التطبيقية"، العدد 18، يوليو 2021م بالجامعة الأسمرية الإسلامية في مجلتها البحثية ورقةً للباحثة تهاني محمود علي بركة بعنوان "الدلالات العقدية عند الشيخ عبد السالم الأسمر"، وهي ورقة تُمثّل نموذجاً صريحاً للإشكالية التي حذّرنا منها في مقدمة هذا الكتاب؛ إشكالية قبول المصدر قبل تحقيق نسبته، وإقامة البناء العلمي على أساس لم تُختبر صلابته. وقد آثرنا أن تكون هذه الوقفة مفصَّلةً وافيةً، لا لأن الباحثة قصدت التضليل – فالظاهر أنها عملت بحسن نية – بل لأن الخطأ المنهجي المبني على نية حسنة يظل خطأً، وقد يكون أشد ضرراً على الحقيقة من الكذب الصريح، لأن القارئ يثق به ويتناقله دون مساءلة.

أولاً: عرض الورقة ومضمونها

قسّمت الباحثة ورقتها على ثلاثة مطالب رئيسية: المطلب الأول في السيرة الذاتية للأسمر من اسمه ونسبه وشيوخه وتلامذته ومولده ووفاته. والمطلب الثاني في تحصيله العلمي وآثاره، مع استعراض لما وصفته الباحثة بـ"نماذج من المفتريات في آثاره العلمية". والمطلب الثالث وهو جوهر الورقة، في الدلالات العقدية عند الشيخ، وتناولت فيه ثلاثة محاور: معرفة الله بالنظر والاستدلال، وتحديد مفهوم الإيمان، وصفات الله الواجبة في حقه. أما المصادر التي ارتكزت عليها الباحثة في بناء استنتاجاتها، فهي بالتحديد: "الوصية الكبرى" المنسوبة للأسمر، و"رسائل الأسمر إلى مريديه" بجمع وتحقيق مصطفى عمران بن رابعة، و"تنقيح روضة الأزهار" لابن مخلوف، و"القطب الأنور" للشيخ أحمد القطعاني، وعدد من المراجع الجانبية في علم التوحيد. وقد جاءت الورقة في اثنتي عشرة صفحة، استأثرت فيها السيرة والمصادر بأكثر من نصفها، فيما اختصر الجانب العقدي نفسه في الصفحات الأخيرة على شكل عرض للنصوص المنسوبة إلى الأسمر، مُرفَقةً بالتعليق والتأويل.

ثانياً: الخلل المنهجي الجذري – البناء على أساس غير محقَّق

قلنا في مقدمة هذا الكتاب إن الداء المشترك بين معظم ما كُتب عن الشيخ الأسمر هو "اكتفاء الباحثين بانتقاء بعض النصوص من هذه المخطوطات والمراجع لما يناسب موضوع البحث، مع الإعراض عن نصوص أخرى متناقضة معها في نفس هذه المصادر". وورقة بركة نموذج دقيق لهذا الداء؛ إذ وظّفت مصادر بعينها لاستخلاص عقيدة الأسمر دون أن تتوقف – ولو لفقرة واحدة – لتسأل: هل هذه النصوص ثابتة النسبة إليه أصلاً؟ والغريب أن الباحثة أدركت جزءاً من هذه الإشكالية؛ إذ أفردت مطلباً في ورقتها بعنوان "نماذج من المفتريات في آثاره العلمية"، فذكرت نصوصاً عدّتها مفتراةً منسوبةً زوراً إليه. ثم عادت في الصفحات التالية لتستشهد بالمصادر ذاتها التي احتوت هذه "المفتريات" دليلاً على عقيدة الشيخ. وهذا تناقض منهجي يستحق التأمل: فإذا كانت المصادر تحتوي على مفتريات، فبأي منهج يُحدَّد الصحيح منها والمنحول؟ وهل يكفي الذوق والانتقاء، أم أن الأمر يستوجب بحثاً في صحة المصدر ذاته قبل أي خطوة أخرى؟ وتسير الورقة في خط انتقائي من هذه الكتب للتدليل على الأصول العقدية للشيخ الأسمر مع الإعراض على نصوص أخرى من نفس الكتاب دون ذكر المنهجية التي اعتمدت عليها في هذه الاختيارات.

ثالثاً: نقد المصادر التي اعتمدتها الورقة

نجد هنا عذرا للباحثة في عدم اطلاعها على ما نشرناه هنا وكون أن ورقتها قد نشرت قبل نشر هذا الكتاب، لكن نشر ورقة علمية دون الاطلاع على كتب التصوف السائدة في ذلك الوقت ووضع علامات استفهام حول كل هذه المتناقضات التي حشيت بها الكتب المنسوبة للشيخ الأسمر واستخدام النقد العلمي للمصادر جعل من معظم البحوث تكرار لما سبق، ويكشف عن مدى التقليد والجمود في البحوث التي تنشر في جامعاتنا وخاصة المتعلقة بتاريخ التصوف.

تُعدّ "الوصية الكبرى" الركيزة الأولى التي استقت منها الباحثة جُلَّ ما نسبته إلى الأسمر من آراء عقدية. وقد بيّنّا في فصل مستقل من هذا الكتاب أن هذا الكتاب منحول على الأسمر لا يصح نسبته إليه، وأن ما فيه من نصوص إنما هو نقل حرفي من كتاب "الطبقات الكبرى" للشعراني في أجزاء كثيرة منه، ونسبة هذه النصوص على لسان الأسمر أو شيوخه. وكان يكفي دليلاً واحداً جلياً على

منحولية هذا الكتاب: أن الوصية الكبرى تتضمن نهياً صريحاً عن شرب الدخان، وتنسب الكلام إلى شيوخ الأسمر الذين ماتوا قبله بعقود، كأبي رأس الذي سبق الأسمر وفاةً بعقود. والحقيقة التاريخية الثابتة أن الدخان لم يصل إلى الوطن العربي إلا في مستهل القرن الحادي عشر الهجري، بعد اكتشاف أمريكا وانتشار التبغ في أوروبا، وذلك بعد وفاة الأسمر (ت 981هـ) بعقود. فكيف يُنهى عن شيء لم يكن موجوداً في عهد الشيخ ولا في عهد شيوخه؟ جاء في الوصية الكبرى المنحولة: "وإياكم وشرب الدخان ليس منا من شرب الدخان من فم وأنف... وكان شيخنا الدوكالي ينكرها مطلقاً، ويهجر المداومين عليها... وكذلك شيخنا أبو رأس ينكرها مطلقاً وينكر على أهلها".

وهذا الخطأ التاريخي الفاضح وحده كافٍ لإسقاط نسبة الكتاب إلى الأسمر، لكن الباحثة بركة لم تُشر إليه، ولم تُعرّج على إشكالية النسبة أصلاً، بل نقلت عن الوصية الكبرى بوصفها مصدراً موثوقاً في بيان عقيدة الشيخ. وإذا كانت تعتقد بصحة نسبة الوصية للشيخ الأسمر فإنها ستقع في تناقض تام مع ما ورد في الوصية من مخالفته للدين بالضرورة وقد أشرنا إلى ذلك في مواضع من هذا الكتاب. ومما يزيد الأمر وضوحاً أن أقساماً واسعة من "الوصية الكبرى" منقولة نقلاً حرفياً من "الطبقات الكبرى" للشعراني وغيرها من المصادر التي ذكرناها في فصل تحقيق نسبة الوصية دون إشارة إلى المصدر، وهو ما أثبتناه بالنصوص المقارنة في موضعه من هذا الكتاب.

"رسائل الأسمر إلى مريديه": المشكوك في نسبته

المصدر الثاني الذي أقامت عليه الباحثة استنتاجاتها العقدية هو "رسائل الأسمر إلى مريديه" بجمع وتحقيق الدكتور مصطفى عمران بن رابعة. وقد خصصنا فصلاً مستقلاً لـ"حقيقة نسبة الرسائل إلى الشيخ الأسمر" كشفنا فيه أن هذه الرسائل غائبة من أقدم نسخ "روضة الأزهار" ومن كتاب "فتح العليم" للتاجوري معاً، وأنها ظهرت مجتمعةً لأول مرة في مخطوط أبي زبيدة الذي يرجع إلى سنة 1321هـ – أي بأكثر من ثلاثة قرون ونصف من وفاة الأسمر – وأن أسلوبها الفصيح المتقن يتنافر مع اللغة العامية التي نُسب بها الشيخ في شعره الغير فصيح. فضلاً عن ذلك فإن الباحثة تُسرف في النقل عن هذه الرسائل، وتراها أصح ما يثبت للشيخ – وهو موقف يتناقض مع ما أثبتناه من أن الرسائل

كُتبت على الأرجح وأُضيفت إلى المخطوطات في مراحل لاحقة تمتد حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري.

تنقيح روضة الأزهار

تستند الباحثة إلى كتاب "تنقيح روضة الأزهار" المختصر مع تعليقات بن مخلوف والمنسوب لكريم الدين البرموني بصفته مصدراً تاريخياً موثوقاً. وقد بيّنّا في فصل "دراسة ونقد كتاب روضة الأزهار" أن هذا الكتاب مشكوك في صحة نسبته إلى البرموني؛ لأن المؤرخ التاجوري الذي جاء بعده لم يُشر إليه ولا إلى البرموني بكلمة واحدة، وكذلك لم يذكره المؤرخ ابن غلبون، ولأن أقدم نسخه تبعد بقرنين عن وفاة الأسمر، ولأن الكتاب يتضمن نصوصاً هي في حقيقتها منقولة من مصادر سابقة ومحرَّفة وقد وضعنا عنوانا في الكتاب لكشف كل هذه الاقتباسات وبيان صناعة الكتاب. بل إن الكتاب يحتوي على قصصاً يُزعم فيها أن الأسمر قالها بعد وفاته من قبره. وكل ذلك مما يشير إلى أن الكتاب أُعدّ في تاريخ متأخر وزُجّت فيه مادة غير متجانسة.

"القطب الأنور": الخرافات في لباس العلم

وصفنا كتابات الشيخ أحمد القطعاني عن الأسمر في موضعها من هذا الكتاب بأنها "اتسمت بالخرافات وتصديق كل ما ورد فيها، واعتبار هذه المخطوطات والمراجع حقيقةً لا يجوز المراء أو الشك فيها". ومع ذلك تعتمد الباحثة كتابه "القطب الأنور" مرجعاً في الورقة دون أي تحفظ.

رابعاً: أخطاء بعينها في متن الورقة

قبول سلسلة مشايخ الأسمر دون تمحيص

قدّمت الباحثة سلسلة مشايخ الأسمر بوصفها حقيقة تاريخية ثابتة، ونقلتها من "تنقيح روضة الأزهار"، وصاغتها في شكل جداول سردية متتالية: "تتلمذ على عمه... وعلى الدوكالي... وعلى عبد الرحمن المسلاتي..." إلخ. وتجاهلت الورقة أن هذه السلسلة مضطربة في رواياتها، وأن الكتب التي نقلتها تتعارض في ترتيب

الأسماء وفي وصف العلاقة بين الشيخ وبعض شيوخه؛ ومنها العلاقة مع أحمد الزروق التي وصفها كتاب "فتح العليم" وصفاً مختلفاً عما جاء في روضة الأزهار.

توثيق لقاءات تاريخية مختلف فيها

استشهدت الباحثة باللقاء المزعوم بين الأسمر والدوكالي، وباللقاء بسالم السنهوري، وأقامت على هذه اللقاءات استنتاجاتٍ عن طبيعة تكوين الأسمر العقدي. وقد أفردنا في هذا الكتاب فصلاً لـ"افتراء لقاء الأسمر بالدوكالي" وفصلاً لـ"افتراء صحة لقاء الأسمر بسالم السنهوري" وبيّنّا فيهما أن هذه اللقاءات لا تثبت تاريخياً، وأن ما يُروى عنها مستقى من مصادر منحولة أو متأخرة جداً عن العصر الذي ادُّعي فيه حدوثها.

الاستشهاد بنصوص التوسل المنسوبة زوراً

استشهدت الباحثة بجملة من النصوص التي نقلتها من الوصية الكبرى والرسائل، وذكرت في السياق ذاته عبارة "نادي يا عبد السلام" التي وصفتها بالافتراء، لكنها في الوقت نفسه لم تُخضع بقية نصوص هذه المصادر لأي مساءلة مماثلة. وهذا يكشف عن غياب المعيار النقدي الموحد؛ فبأي معيار تُستبعد عبارة "نادي يا عبد السلام" وتُقبل نصوص أخرى من المصدر ذاته؟ إن الجواب الحقيقي هو أنه لا معيار، وإنما هو الانطباع والذوق والسياق العام، وهي أدوات لا تصلح أساساً لبحث أكاديمي.

الادعاء بمعرفة موعد الساعة وتفادي المسؤولية

أشارت الباحثة إلى النصوص التي تزعم أن الأسمر ادعى معرفة موعد قيام الساعة، ووصفتها بالافتراء، لكنها لم تُبيّن الطريقة التي تميّز بها هذه النصوص عن غيرها في المصادر ذاتها. والجدير بالذكر أن وجود هذا النوع من النصوص في تلك المصادر هو في حد ذاته دليل دامغ على منحوليتها، لأن العالم الورع لا يدّعي ما يخالف النص القرآني الصريح. وهذا ما ينبغي أن يقود الباحث لا إلى "استبعاد النص" وقبول سائر المصدر، بل إلى التشكيك في المصدر بأسره أو البحث عن مصادر موثوقة تفند هذه الافتراءات أو محاكمتها إلى معايير صحيح تبين جانب الصواب والخطأ فيها.

قراءة الفكر العقدي من نصوص لم تثبت نسبتها

خصصت الباحثة قسماً من ورقتها لاستعراض فكر الأسمر العقدي في مسائل معرفة الله والإيمان والصفات، وأسندت كل ذلك إلى نصوص مستقاة من المصادر المذكورة. والإشكال هنا بالغ الخطورة: فإذا كانت هذه النصوص غير ثابتة النسبة إلى الأسمر – كما أثبتنا – فما الذي تصفه الباحثة حين تتحدث عن "الفكر العقدي للأسمر"؟ إنها في الحقيقة لا تصف عقيدة الأسمر، بل تصف عقيدة من وضع تلك النصوص وألحقها بالمخطوطات. وهذا الخلط بين الشيخ ومن انتحل باسمه هو تحديداً ما ظلمه وشوّه صورته عبر القرون.

خامساً: إشكالية الوعاء الناشر

نشرت الورقة في "مجلة البحوث الأكاديمية" الصادرة عن الجامعة الأسمرية الإسلامية بزليتن. وقد أفردنا في هذا الكتاب فصلاً لـ"وقفات مع مجلة الجامعة الأسمرية" رصدنا فيه أن هذا الوعاء نشر أوراقاً تتضمن "الكثير من الخرافات والتحريفات التي نسبت للشيخ الأسمر". وليس المقصود هنا إصدار حكم قاطع على المجلة بوصفها وعاءً غير علمي، فللمجلة إنتاجها في مجالات أخرى ذات قيمة بحثية قيمة. لكن المقصود الإشارة إلى أن وجود مؤسسة بعينها – هي الجامعة الأسمرية – خلف الوعاء الناشر يطرح سؤالاً مشروعاً عن درجة الاستقلالية النقدية في تحكيم الأوراق التي تتناول موضوع الأسمر تحديداً. فالمصلحة المؤسسية والبحث الموضوعي كثيراً ما يختلف مسارهما.

سادساً: "ثقل الرواية التأسيسية" في ورقة بركة

وصفنا في مقدمة هذا الكتاب الظاهرة التي سمّيناها "ثقل الرواية التأسيسية"، وهي أن الرواية التي ترسّخت في الوعي الجمعي تكتسب ثقلاً يجعل الباحث يتحاشى مواجهتها حتى حين يكتشف ما يخالفها في الوثائق. وورقة بركة شاهد واضح على هذه الظاهرة. فالباحثة تعلم – وقد أشارت إليه – أن بعض ما نُسب إلى الأسمر مفترى، لكنها تتوقف عند حد الملاحظة الجانبية ولا تُوصلها إلى نتيجتها المنطقية، وهي التشكيك في صحة المصادر ذاتها. إن الجرأة الفكرية التي يستوجبها البحث العلمي لا تكتفي بالإشارة إلى الخلل جانباً، بل تضعه في مركز التساؤل وتبني عليه نتائج ملزمة.

سابعاً: ما الذي كانت الورقة تحتاجه؟

لا يُقصد بهذا النقد إغلاق الباب أمام البحث في الفكر العقدي للأسمر، بل العكس تماماً؛ فمعرفة عقيدة الأسمر الحقيقية مطلب علمي مشروع وضروري. لكن تحقيق هذا المطلب يستوجب خطواتٍ لم تسلكها الورقة:

أولاً: أن تبدأ ببحث النسبة لا بقبولها. أي أن تسأل: هل يصح نسب هذه الوصية وهذه الرسائل إلى الأسمر؟ وإذا لم يثبت ذلك، فبماذا تستعيض عنها؟ هل ثمة وثائق معاصرة للأسمر يمكن الاستناد إليها؟

ثانياً: أن تُفرّق بين ما كتبه الأسمر حقاً وما ألحقه به المحبون والمناوئون على حدٍّ سواء. فالأسمر ضُرَّ بمن أحبّه وبالغ في إسباغ الكرامات عليه، كما ضُرَّ بمن عاداه وحاول الإساءة إليه. ومن لا يُفرّق بين الفريقين لا يعرف من الأسمر شيئاً.

ثالثاً: أن تُحدِّد طبيعة المصدر الذي تستقي منه؛ هل هو من تلاميذ الأسمر المعاصرين له؟ أم أنه من طبقة أحفاد التلاميذ؟ أم أنه من عصور متأخرة لا صلة لها بعصر الأسمر؟ ولكل ذلك أثره على حجية المصدر ودرجة الوثوق به.

خاتمة الوقفة

ما تُمثّله ورقة بركة ليس حالةً فردية معزولة، بل هو نمط بحثي متكرر رصدناه في أوراق عديدة عن الأسمر: انتقاء نصوص من مصادر مشكوك فيها، وتحليلها تحليلاً جزئياً، ثم تقديم النتائج بوصفها كشفاً حقيقياً لشخصية الأسمر وعقيدته.

وقد قلنا في مقدمة هذا الكتاب وفي خاتمته إن الشيخ عبد السالم الأسمر يستحق بحثاً أكثر نزاهةً وجرأةً: بحثاً يبدأ بالتساؤل لا بالتسليم، ويضع صحة المصدر في مركز اهتمامه قبل أن يتناول مضمونه. وهذا ما ينبغي أن تكون عليه الدراسات القادمة عنه في الجامعات الليبية وغيرها.

وختاماً: ليس في هذا النقد غمزٌ من الباحثة شخصياً، ولا استهانة بجهدها، بل هو نقد للمنهج الذي تسير عليه أوراق عديدة، ودعوة للانتقال من مرحلة الوصف والانتقاء إلى مرحلة النقد والتحقيق. ومن يريد أن يكتب عن الأسمر الحقيقي – لا عن صورته التي رسمها له محبوه ومناوئوه – لا بد أن يبدأ من الصفر: من المخطوط لا من المطبوع، ومن السؤال لا من الجواب.

نموذج لورقة بحثية نشرت مستندةً على رواية تأسيسية خاطئة

دور زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر في ترسيخ الهوية الفقهية المالكية في ليبيا

أشرنا في مقدمة هذا الكتاب إلى ظاهرة تتكرر بصورة لافتة في معظم الأوراق العلمية التي نُشرت عن الشيخ عبد السلام الأسمر في الجامعات الليبية وفي مؤتمرات الجامعة الأسمرية على وجه الخصوص، وهي ظاهرة "ثقل الرواية التأسيسية"؛ أي أن الباحث ينطلق من يقين مسبق بصحة الروايات التراثية الراسخة في الوعي الجمعي، فيُسخِّر جهده البحثي لاستخراج الشواهد التي تُؤيّدها، ويُعرض عن النصوص المتناقضة معها الموجودة في المصادر ذاتها. وبدلاً من أن يكون البحث أداةً للكشف عن الحقيقة يغدو مجرد صياغة أكاديمية لما هو مقبول ومتداول. وقد نبَّهنا في مقدمة هذا الكتاب إلى أن هذه الأوراق "لم تقم بنقد صحة نسبة هذه المخطوطات للشيخ الأسمر، واكتفت بانتقاء بعض النصوص من هذه المخطوطات والمراجع لما يناسب موضوع البحث، مع الإعراض عن نصوص أخرى متناقضة معها في نفس هذه المصادر". وخير مثال تطبيقي على هذه الظاهرة الورقةُ التي بين أيدينا، والتي نتوقف عندها هنا بالعرض والنقد.

أولاً: عرض الورقة

نُشرت الورقة في مجلة أصول الدين، العدد السادس (خاص 2)، ديسمبر 2022م، ضمن وقائع مؤتمر علمي نظَّمته الجامعة الأسمرية، وتقع في إحدى وعشرين صفحة (ص810–830). وقد وضع الباحث الأستاذ عبد الرحمن الطيب دراه لورقته ستة إشكاليات يدَّعي الإجابة عنها، أبرزها: هل اهتم الشيخ الأسمر بالمذهب المالكي في حياته؟ وهل درَّسه لمريديه؟ وما أهم الكتب المالكية التي كان يُدرِّسها؟

وقسَّم الباحث ورقته على ثلاثة مباحث: الأول في أهم الكتب الفقهية المالكية التي درِّست بالزاوية. والثاني في نماذج من مشايخ المالكية الذين علَّموا الفقه المالكي بها (الشيخ رحومة الصاري، والشيخ منصور أبو زبيدة). والثالث في نماذج من علماء المالكية الذين تتلمذوا في هذه الزاوية (الشيخ محمد قريو، والشيخ علي عبد الله جوان). ثم خاتمة بنتائج وتوصيات.

تكشف هذه الأسئلة الست من أولِّ وهلةٍ عن نيَّة الباحث الحقيقية، وهي تسويغ مسلَّمات مسبقة لا التحقيق العلمي المتجرِّد؛ فكل إشكالياته ترتكز على افتراض ضمني بأن الشيخ الأسمر كان بالفعل مؤسِّساً لمدرسة فقهية مالكية في حياته، وأن وظيفة الباحث تثبيت هذه الحقيقة لا البحث فيها.

ثانياً: المصادر التي تقوم عليها الورقة

تعتمد الورقة اعتماداً كلياً على جملة من المصادر الرئيسية، في مقدمتها:

– كتاب "روضة الأزهار" المنسوب لكريم الدين البرموني بتحقيق الدكتور عبد الحميد الهرامة.

– كتاب "فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم" لعبد السلام بن عثمان التاجوري.

– "رسائل الأسمر إلى مريديه" بتحقيق الدكتور مصطفى عمران رابعة.

– المجلة الأسمرية ومجلة الجامعة الأسمرية بأعدادها المختلفة.

– مقابلات شخصية مع شيوخ وعلماء من المنتسبين للزاوية.

وهذه المصادر بالذات هي التي تتمحور حولها إشكالية الورقة الكبرى؛ إذ يُثبت هذا الكتاب بالأدلة النصية والتحليل المنهجي أن معظمها تعتريه إشكاليات جوهرية في النسبة والصحة. فكتاب "روضة الأزهار" مشكوك في صحة نسبته للبرموني أصلاً، وأقدم نسخه المتوفرة تبعد قرنين كاملين عن وفاة الشيخ الأسمر، وقد توصَّل هذا الكتاب إلى أن التاجوري–وهو من أقدم من كتب عن الشيخ– لم يُشِر إلى البرموني ولا إلى كتابه قط، وهو دليل قوي على أن روضة الأزهار لم تكن موجودة في عهد التاجوري. كما يُثبت هذا الكتاب بالمقارنة النصية الحرفية أن "معظم ما يحتويه كتاب روضة الأزهار من قصص عن كرامات الأسمر وسيرته

متطابق تماماً مع ما جاء في كتاب فتح العليم للتاجوري حرفاً بحرف وكلمة بكلمة"، مما يُبيّن أن أحدهما منتَحَل من الآخر أو أنهما معاً ينقلان من مصدر ثالث لا وجود مستقل لأيٍّ منهما عنه. أما "رسائل الأسمر إلى مريديه"—التي تُمثِّل المصدر الثاني الأساسي للورقة – فقد أفرد هذا الكتاب عنوانا مستقلا لإثبات إشكالية نسبتها، وأثبت بالتحليل الأسلوبي والمقارنة النصية أنها لا تصح نسبتها إلى الشيخ الأسمر، وأنها أُضيفت في مراحل لاحقة تمتد حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، وأنها غائبة من نسخ روضة الأزهار الأقدم ومن كتاب فتح العليم للتاجوري معاً. وهذا يعني بكل وضوح أن الباحث دراه قد بنى ورقته البحثية كاملةً على مصادر يُثبت هذا الكتاب أنها غير موثوقة في نسبتها ومحتواها. وهو ما يجعل النتائج التي توصَّل إليها خلاصةً لمصادر إشكالية لا إضافةً حقيقية إلى المعرفة التاريخية.

ثالثاً: الأخطاء العلمية التفصيلية في الورقة

قبول نسب الشيخ الأسمر دون تثبُّت

يُقدِّم الباحث دراه في مطلبه الأول نسب الشيخ الأسمر وصولاً إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، نقلاً عن مصادره المعتمدة دون أي تحفُّظ أو إشارة إلى الخلاف. وقد أفرد هذا الكتاب فصلاً كاملاً بعنوان "نسب الشيخ عبد السلام الأسمر" يبيِّن فيه ما يكتنف هذه المسألة من اختلافات واضطراب في المصادر ذاتها، مشيراً إلى أن هذا الاضطراب في النسب يمثِّل ظاهرة معروفة في تاريخ الشخصيات الصوفية، إذ كثيراً ما أُضيفت إليها أنساب علوية في مراحل لاحقة لإضفاء القداسة والمشروعية على الطريقة.

الجزم بتأسيس الزاوية مصدراً للتعليم الفقهي المالكي في عهد الشيخ

يُقدِّم الباحث الزاوية باعتبارها "قلعة من قلاع الهوية الليبية كيف لا وهي جزء من ثقافتها العريقة"، ويُوحي منذ السطور الأولى من ورقته بأن هذا الدور الفقهي المالكي الكبير يعود إلى عهد الشيخ الأسمر المؤسِّس. والحقيقة الموثَّقة في هذا

الكتاب – اعتماداً على مخطوط "فتح العليم" للتاجوري الذي هو المصدر الأقرب إلى عهد الشيخ والأقل إشكاليةً – أن الزاوية أُسِّست سنة 971هـ، أي قُبيل وفاة الشيخ الأسمر بعشر سنوات تقريباً، وبعد أن شارف التسعين من عمره. ويبدو من دراسة وظيفتها في تلك الفترة أنها "كانت مقتصرة على ترديد أوراد الطريقة العروسية والحضرة". وهذا يعني أن الدور الفقهي والتعليمي الكبير الذي إنما راج في الزاوية بعد وفاة الشيخ، وتحديداً بعد تعهُّد علماء من خارج الزاوية – كآل بن طاهر وآل عبد المحسن – بالتدريس فيها. فالفضل في ترسيخ الهوية الفقهية المالكية يعود إلى هؤلاء العلماء الذين استُقطبوا للتدريس في الزاوية، لا إلى الشيخ المؤسِّس نفسه. وخلط الباحث بين الحقبتين هو الخطأ المنهجي الجوهري الذي تقوم عليه الأطروحة كلها.

الاستناد إلى رواية "عبد الرحمن المكي" في إثبات تدريس الشيخ للمختصر والرسالة

يستشهد الباحث بنص من روضة الأزهار ينسبه إلى "عبد الرحمن المكي" يقول فيه إن الشيخ – رحمه الله – "كان بعد صلاة الظهر يقرأ: المختصر، والرسالة إلى أن يصلي العصر"، ويبني على هذا النص استنتاجاً بأن الشيخ كان يُدرِّس هذين الكتابين المالكيَّين. ومن اللافت للنظر أن شخصية "عبد الرحمن المكي" هذه التي يستند إليها الباحث توصَّل هذا الكتاب إلى أنها "شخصية خرافية ليس لها وجود تاريخي موثَّق، والمخطوط المنسوب إليها منتحَل". ومن ثَمَّ يكون الباحث قد بنى استنتاجاً علمياً عن منهج الشيخ التعليمي على نص مجهول النسبة، مردود المصدر، يرويه عن شخصية لا وجود لها في التاريخ.

توظيف مجلة الجامعة الأسمرية ومجلاتها مصدراً تاريخياً محايداً

يُحيل الباحث في أكثر من عشرين موضعاً من ورقته إلى المجلة الأسمرية، ومجلة الجامعة الأسمرية، والمجلة السمرية، وغيرها من منشورات الجامعة الأسمرية، ويُعاملها معاملة المصادر الأكاديمية المستقلة والموثوقة. وقد نبَّهنا في هذا الكتاب إلى أن مؤتمر الجامعة الأسمرية نفسه "نشرت فيه أوراق يتخللها الكثير من الخرافات والتحريفات التي نُسبت للشيخ الأسمر". وإن الاستناد إلى مجلة مؤسسية تصدر عن جامعة تحمل اسم الشيخ الأسمر، لا يمكن أن يُعدَّ مصدراً بحثياً محايداً في ورقة تسعى إلى إثبات دوره التاريخي. وهذا التضارب بين مصدر

الاستشهاد والغرض من الاستشهاد يُفقد الورقة ركيزةً من أهم ركائز المنهج العلمي.

المقابلات الشخصية مع محبِّي الشيخ وثيقةً تاريخية

يلجأ الباحث في المبحثين الثاني والثالث لجأً واضحاً إلى المقابلات الشخصية مع شيوخ وعلماء من المنتسبين للزاوية والمحبِّين للشيخ الأسمر، مُعتمِداً إياها مصادر لإثبات وقائع تاريخية تخص شخصية توفِّيت منذ أربعة قرون ونصف. وهذا المنهج في ذاته غير معيب من الناحية الاثنوجرافية في دراسات الممارسات الحية، لكنه يفقد مشروعيته تماماً حين يُوظَّف لإثبات وقائع تاريخية قديمة عن شخصية لم يَرَها المُستشهَد بهم، وإنما يستقي روايتهم من تلك المصادر الإشكالية ذاتها التي بيَّنا إشكاليتها.

نتائج الورقة لا تُضيف جديداً ومبنية على افتراض مسبق

تُقرِّر الورقة في نتائجها الثماني جملةً من الحقائق المعروفة من قبيل: "كان مؤسِّس زاوية الأسمري الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر مالكي المذهب"، و"اهتم الشيخ رحمه الله بتدريس المذهب المالكي في زاويته"، و"زخرت الزاوية الأسمرية بكوكبة من العلماء اهتموا بهذا المذهب كهوية". وهذه ليست نتائج استنبطها الباحث من تحقيق وفحص، بل هي الفرضيات التي انطلق منها وعاد إليها. وأخطر ما في هذه النتائج أنها لا تميِّز بين ما يخص عهد الشيخ المؤسِّس وما راج في الزاوية بعده بعقود وقرون، وهو الخلط المنهجي الذي تقوم عليه الورقة برمتها.

رابعاً: ما الذي كان ينبغي أن تفعله هذه الورقة؟

لا يعني النقد المقدَّم هنا أن موضوع الورقة غير جدير بالدراسة، بل العكس تماماً؛ فدراسة الدور الفقهي لزاوية الأسمر في تاريخ ليبيا موضوع بالغ الأهمية. لكن الدراسة العلمية الموضوعية تقتضي جملةً من الخطوات المنهجية التي غابت عن الورقة كلياً:

أولاً: كان ينبغي أن تنطلق الورقة من مناقشة صريحة لإشكالية مصادر سيرة الشيخ الأسمر، والاعتراف بما يكتنفها من ثغرات، قبل الاستناد إليها في بناء

الحجج التاريخية. وهذا ما يدعو إليه المنهج العلمي المتعارف عليه في التحقيق التاريخي.

ثانياً: كان لا بدَّ من التمييز المنهجي الصريح بين دور الشيخ الأسمر المؤسِّس شخصياً، ودور الزاوية كمؤسسة تعليمية تطوَّرت على مدى قرون بعد وفاته، مع التحديد الزمني الدقيق لكل مرحلة. فإسناد ما حدث في الزاوية في القرن الثالث عشر الهجري إلى الشيخ المتوفى في القرن العاشر خلط تاريخي لا يجوز في البحث الأكاديمي.

ثالثاً: كان من الأجدى التركيز على كتاب "فتح العليم" للتاجوري باعتباره المصدر الأقل إشكاليةً نسبياً والأقرب إلى عهد الشيخ من حيث التأليف، بدلاً من الاستناد إلى "روضة الأزهار" الذي تعتريه الإشكاليات الموثَّقة في هذا الكتاب.

رابعاً: كان من اللازم مناقشة شهادة العلماء الذين أنكروا على الشيخ الأسمر في عصره، والتي تُثبتها المصادر ذاتها التي يستند إليها الباحث، بدلاً من تجاهلها واختيار ما يؤيِّد الأطروحة فقط. وإغفال هذه الشهادات هو بالضبط ما وصفه هذا الكتاب بـ"الانتقاء من المصادر".

تُمثِّل ورقة دراه نموذجاً نمطياً لما يمكن تسميته "البحث الذي يبني على رواية تأسيسية خاطئة"؛ أي ذلك البحث الذي يُقدِّم نفسه في صورة علمية ومنهجية مع أنه في حقيقته لا يعدو إعادةَ إنتاجٍ أكاديمية الشكل لمسلَّمات مسبقة قائمة على مصادر لم تُناقَش في صحتها ونسبتها. وإن من أخطر ما تُسهم فيه مثل هذه الأوراق أنها تُضفي على الروايات الإشكالية سلطةً أكاديمية زائفة؛ إذ تُوهم القارئ بأن المسألة قد بُحثت وحُقِّقت، في حين أن ما جرى هو مجرد تكثيف الاستشهاد بمصادر لم يُمسَّ أساسُها بأي نقد. وقد نبَّه هذا الكتاب إلى أن "تكرار نقل النصوص واعتماد روايات كتب ومؤلفات لم يتم تحقيقها بالنقد الموضوعي" هو تشخيص لظاهرة "ثقل الرواية التأسيسية" التي يجد فيها الباحث نفسه أمام خيار صعب حين يكتشف ما يُخالف الرواية المقبولة في المخطوطات والوثائق، "فكثيراً ما ينزلق بعض البحَّاث إلى الإبقاء على الرواية مع تعديل طفيف غير صريح، بدلاً من المواجهة النقدية المباشرة إيثاراً للسلامة".

وما أساء إلى الشيخ عبد السلام الأسمر في الغالب ليس خصومه الذين طعنوا فيه، بل محبُّوه الذين أغرقوه بالروايات المختلَقة والكرامات المنتحَلة. وما أساء إلى تاريخ الزاوية العلمي والفقهي ليس الجاحدون لدورها، بل من يدَّعون خدمتها ببحوث تقوم على مصادر لم تُحقَّق، فيُكرِّسون بذلك تاريخاً ملفَّقاً بدلاً من الكشف عن الحقيقة التي تخدم هذه الزاوية وتاريخها الفعلي خدمةً أصيلة. وقد أشرنا في مقدمة هذا الكتاب إلى أن "من أساء إلى الشيخ الأسمر ونسب له كل هذه القصص والأقوال أساء إليه أبلغ إساءة من حيث كان يعتقد أنه يُحسن صنعاً".

نموذج نقدي: رسالة جامعية لم تتحرَّ الدقة المنهجية والموضوعية

الخطأ المنهجي الجوهري: قبول المصادر دون تحقيق

يبدأ البنيان المعيب الذي قامت عليه هذه الرسالة من لبنة أولى مكسورة: فقد اتخذت الرسائلَ المنسوبة إلى الأسمر موضوعاً لها، وتعاملت معها بوصفها وثائق تاريخية راسخة تعكس فكر الشيخ ومنهجه، دون أن تتوقف ولو سطراً واحداً لتتساءل: هل هذه الرسائل فعلاً له؟ وقد أثبتت نتائج هذا الكتاب أن هذه الرسائل مشكوك فيها مخطوطياً وأسلوبياً معاً. والأمر لا يقتصر على الرسالة الجامعية وحدها؛ فالأطروحة التي اعتمدت عليها اعتماداً رئيسياً – أطروحة الدكتور مصطفى عمران رابعة – ليست بمنأى عن هذا الحكم، إذ أثبتت نتائج هذا الكتاب أنها "لا تختلف كثيراً عن الدراسات التي قبلها، ولم تقدّم بحثاً جديداً لما سبق، وإنما هي تكرار وإعادة صياغة لما ورد في المصادر، دون أي تمحيص في صحة نسبة هذه الرسائل للشيخ". والأخطر من ذلك أن هذا الكتاب كشف أن هذه الرسائل غائبة عن النسخ المخطوطية القديمة من "روضة الأزهار"، ولا تظهر مجتمعةً إلا في مخطوط أبي زبيدة الذي يعود إلى سنة 1321هـ، أي بعد وفاة الشيخ بما يزيد على ثلاثة قرون ونصف. وكتاب "فتح العليم" للتاجوري – وهو من أقدم المصادر وأقربها إلى العصر – لا يتضمن هذه الرسائل أصلاً، وهذا الصمت وحده كافٍ لإثارة التشكيك الجدي. وقد أثبت هذا الكتاب ذلك بما وصفه بـ"إثبات غيابها من النسخ الأقدم من روضة الأزهار ومن فتح العليم معاً، فضلاً عن تحليل أسلوبي يُظهر التنافر الواضح بين لغة هذه الرسائل الفصيحة المتقنة وبين الأسلوب العامي الذي نُسب للشيخ الأسمر في شعره الموثق".

ومع هذا كله تُصوّر الرسالة الجامعية هذه الرسائل وكأنها وثائق قاطعة تمثّل "منهج الأسمر في الدعوة"، وتبني عليها استنتاجات واسعة تطال شخصيته وعقيدته وأسلوبه البلاغي، كأنها قرّرت نتيجتها قبل أن تبدأ البحث. أما "روضة الأزهار" فقد وظّفته مصدراً تاريخياً موثوقاً، وهو الكتاب الذي أثبت هذا الكتاب بتحليل نصي مقارن دقيق إشكالية نسبته للبرموني من أصله. وقد لفت إلى أن التاجوري في "فتح العليم" "لم يذكر شيئاً عن البرموني، ولم يذكر شيئاً عن روضة الأزهار، والذي سبقه بالتأليف عن شيخه الأسمر" – وهو صمت تاريخي وحده كافٍ لإثارة التشكيك في وجود الكتاب في تلك الحقبة. علاوة على ذلك أثبتت نتائج هذا الكتاب أن كثيراً من النصوص الواردة في "روضة الأزهار" – التي وظّفتها الرسالة مصدراً لرسم شخصية الأسمر – منقولة حرفياً من كتب صوفية سابقة كـ"الطبقات الكبرى" للشعراني، ثم نُسبت للأسمر بتغيير الأسماء فحسب. وهذا الانتحال النصي المُثبَت بالدليل يجعل الاستشهاد بهذه المصادر دون تنبيه ضرباً من التضليل العلمي غير المقصود. وقد خصّص هذا الكتاب للوصية الكبرى – التي وظّفتها الرسالة دليلاً على منهج الأسمر الدعوي – دراسةً مستقلة أثبت فيها أنها منحولة من مصادر أقدم، وأنها "نُشرت أول مرة في تونس بإشراف فرنسي، وأن النسخة الشائعة اليوم ليست إلا صورة عن تلك الطبعة التونسية"، وأن نصوصها تحتوي على ادعاءات تناقض أصول العقيدة يستحيل نسبتها إلى عالم مسلم.

إهمال التحقيق التاريخي لسيرة الشيخ

خصّصت الرسالة فصلها الأول للحديث عن حياة الشيخ وعصره وسيرته، واستقت معلوماتها من المصادر التقليدية ذاتها التي أثبت هذا الكتاب إشكالياتها، دون أي تحقيق نقدي. ومن أصرح الأمثلة على ذلك أنها أوردت معلومات عن مولد الشيخ ونشأته ورحلاته دون أن تُلاحظ أن نسبه الشريف المزعوم لم يُدَّعَ له في المصادر الأولى، وأن التحقيق التاريخي – كما أثبته هذا الكتاب – يدل على أنه وُلد بفاس لا بزليتن، وأن شهرته في ليبيا إنما ازدادت بعد وفاته بقرون.

وخصّصت الرسالة مساحة واسعة للمناظرات المروية عن الشيخ، وأخذتها مأخذ التسليم التام. وقد بيّن هذا الكتاب في فصول مستقلة أن هذه المناظرات لا أصل لها في المصادر الموثوقة، وأنها وُضعت لاحقاً لأغراض الترويج للطريقة العروسية،

وهو ما كشفته عناوين دالة من هذا الكتاب: "افتراء لقاء ومناظرة البرموني للشيخ الأسمر"، و"افتراء قصة لقاء مراد آغا والشيخ الأسمر"، و"افتراء مناظرة الأسمر لهمام والحامدي ومبارك"، وسواها.

الأخطاء المنهجية في تحليل الرسائل

تستخرج الرسالة من الرسائل الأسمرية استنتاجات شاملة عن "منهج الأسمر الدعوي"، وتُصنّفه في: الأساليب البلاغية، والحكمة والموعظة، والترغيب والترهيب، والقدوة... وتبني على ذلك تقييماً كاملاً لشخصيته الدعوية. بيد أن هذا التحليل برمّته يقوم على افتراض لم يُثبَت قط، وهو أن هذه الرسائل كلها من كلام الأسمر فعلاً. وقد أثبتت نتائج هذا الكتاب أن هذه الرسائل "على الأرجح كُتبت في القرن الثالث عشر الهجري أو بعده، ونُسبت له مع ما نُسب إليه من قصائد، ولا يوجد مخطوط واحد إلى الآن قريب من القرن العاشر أو الحادي عشر الهجري".

والخطأ المنهجي الأخطر هو عجز الرسالة عن التمييز بين ما هو ثابت النسبة للأسمر وما أُلصق به من نصوص لاحقة. وهذا العجز بعينه كان قد رصده هذا الكتاب في الأطروحة الأمّ ذاتها التي بنت عليها الرسالة الجامعية – أطروحة رابعة – إذ أشارت نتائجه إلى أنها "فشلت في الفصل بين ما له وما نُسب إليه، مع شعوره في بعض الصفحات بوجود افتراءات ونسبتها للشيخ الأسمر من نفس المصادر التي صدّق بصحتها".

والرسالة الجامعية التي نحن بصددها أعادت إنتاج هذا الفشل ذاته، بل ذهبت أبعد منه، إذ لم تُبدِ حتى ذلك "الشعور بوجود الافتراءات" الذي أبداه رابعة. ومن ثَمَّ فإن "المنهج الدعوي للأسمر" الذي توصّلت إليه الرسالة ليس بالضرورة منهجه الحقيقي، بل هو على الأرجح منهج من كتبوا باسمه أو أضافوا إلى كتاباته عبر القرون، مما يجعل الرسالة جوهرياً دراسةً لمنهج مجهول المؤلف لا لمنهج الأسمر. وينسحب هذا الحكم بوجه خاص على قراءتها للطريقة العروسية السلامية بوصفها تعبيراً أصيلاً عن منهج الأسمر الصوفي، في حين أثبت هذا الكتاب بالمقارنة النصية أن تلك الطريقة "تُثبت نقلها شبه الحرفي من الطريقة القادرية". وهذا يعني أن الرسالة حين تصف "أصول التصوف في رسائل الأسمر"

و"طريقته في التزكية" إنما تصف تراثاً مجهول المصدر نُقل واقتُبس ونُسب زوراً له.

إشكاليات في توصيف السياق التاريخي

رصدت نتائج هذا الكتاب الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية المعقدة التي عاش فيها الأسمر: من التنافس بين الطرق الصوفية، إلى دور الدولة العثمانية في دعم المرابطين، إلى الأبعاد الاقتصادية لظاهرة الزوايا، إلى إشكاليات ادعاء الشرف والنسب. والرسالة في مقابل ذلك تُعالج "أحوال عصره" بطريقة سطحية تنقل ما في المصادر دون تحليل، وتُعيد تقديم "عداء العلماء للأسمر" بوصفه غيرةً علمية – وهو تفسير اقتبسه الدكتور رابعة من كتاب إسحاق المليجي – في حين أن نتائج هذا الكتاب تُبيّن أن هذا التفسير "صناعة حديثة لم يذكره أي من المصادر التاريخية الأولى كروضة الأزهار وفتح العليم".

إشكاليات بنيوية في الرسالة

تُعلن الرسالة أن من أهدافها "توضيح ما يترتب على التفريط بالمنهج الرباني في الدعوة من آثار سلبية"، وهذا هدف دعوي وعظي لا هدف بحثي علمي. وهذا الخلط بين الغاية الدعوية والبحث الأكاديمي يعني أن الباحث استعدّ لتقديم نتيجة محددة مسبقاً بدلاً من أن يسأل المصادر عمّا تُفضي إليه.

ويُصدر الباحث في نتائجه حكماً قاطعاً بأن "رسائل الأسمر من أوضح النماذج الدالة على التصوف الإسلامي الخالص الخالي من كل دخيل"، وهذا الحكم يتناقض صراحةً مع ما وثّقه هذا الكتاب من أن بعض ما في الرسائل منقول حرفياً من كتب صوفية أقدم ونُسب للأسمر. وقد استشهد هذا الكتاب بالدكتور خالد المحجوبي الذي وصف هذه المعضلة بدقة، إذ قال إن كتابات الشيخ الأسمر أسدلت أمام الباحثين ستاراً أعاق دقة فهم شخصيته، نظراً للازدواجية التي تظهر فيها: فبينها ما يُظهر شخصية سلفية، وفيها في الوقت ذاته ما يكشف عن شخصية غارقة في الخيالات والخرافات – وهذه الازدواجية لا تفسير لها إلا تعدّد مصادر النسبة وتراكم الإضافات عبر الزمن. أما على صعيد التحقيق النصي، فالرسالة تستشهد بنصوص من رسائل الأسمر دون أي إشارة إلى مشكلات النسخ والمخطوطات، وتُحيل إلى تحقيق الدكتور رابعة بوصفه مرجعاً

نهائياً، في حين أن هذا الكتاب يُثبت أن تلك الأطروحة "جاءت دون المستوى الذي يرقى إلى التحقيق العلمي الموضوعي"، مما يعني أن الرسالة بنت مباحثها على تحقيق هو نفسه محل نقد ومراجعة. ولا يخلو من دلالة أن الرسالة تتجاهل الأعمال النقدية الجادة التي شككت في مصادر الأسمر، ولا تُشير إلى كتاب محمد عز الدين الغرياني "عبد السلام الأسمر آراؤه وأفكاره في ميزان الشريعة الإسلامية" إلا من باب ذكر المؤلفات دون استيعاب ما فيه من مفاتيح نقدية. وتُعلن في مبررات اختيار الموضوع أن "الشيخ لم ينَل نصيبه من الدراسة والبحث"، في حين أن المشكلة الحقيقية ليست ندرة الدراسة بل غلبة الدراسات السطحية التي تُكرّر مصادر غير موثوقة – وهو بالضبط ما صنعته هذه **الرسالة.**

خلاصة تقييمية للرسالة

تقع هذه الرسالة – بكل ما فيها من جهد ومثابرة – ضمن ما رصده هذا الكتاب من ظاهرة "ثقل الرواية التأسيسية"؛ إذ كرّرت الرواية الموروثة وأعادت تشكيلها بدلاً من مواجهتها نقدياً. ويمكن إجمال الاعتراضات عليها في أربع نقاط:

أولاً: الخطأ المنهجي الأصل، وهو بناء الموضوع على مصادر لم يُثبَت توثيقها، والتعامل مع نصوص مشكوك في نسبتها بوصفها يقيناً تاريخياً – وهذا يعيب الرسالة في منطلقاتها قبل أن يعيبها في نتائجها.

ثانياً: غياب النقد المصدري التام، إذ لم تُشِر الرسالة ولو إشارة عابرة إلى الإشكاليات المخطوطية الجوهرية المتعلقة بمصادرها الأساسية: روضة الأزهار، وفتح العليم، والوصية الكبرى، ورسائل الأسمر.

ثالثاً: الأحكام القاطعة على أساس متزعزع، إذ أصدرت الرسالة أحكاماً نهائية عن شخصية الأسمر ومنهجه وتصوفه وعقيدته، وكلها معلّقة في الهواء لأنها تستند إلى مصادر لم يُثبَت أنها من كلامه أصلاً.

رابعاً: الخلط بين الدراسة الأكاديمية والخطاب الدعوي، إذ وصفت الرسالة الأسمر في غير موضع بعبارات تقييمية وجدانية لا تليق بالبحث الأكاديمي، وبنت أهدافها على مقاصد دعوية لا على أسئلة بحثية صارمة.

وما يجعل هذه الحالة نموذجاً تعليمياً ذا قيمة حقيقية هو أنها ليست استثناءً بل قاعدة: فالنمط المنهجي الذي جسّدته هذه الرسالة يُمثّل مساراً شائعاً في دراسات التصوف الليبي، حين تغلب القداسةُ الموروثةُ على الأمانة العلمية، ويُعلي الباحثُ من شأن الانتماء المعرفي على حساب التثبت المنهجي.

والسبيل الصحيح الذي ينبغي أن تسلكه أي دراسة جادة في تاريخ الأسمر أو أمثاله يقتضي: البدءَ بالتثبت من صحة المصادر لا باستنباط النتائج منها، واعتبارَ الإشكاليات المخطوطية جزءاً أصيلاً من صلب البحث لا هامشاً جانبياً، والتمييزَ الصارم بين ما ثبتت نسبته وما نُسب افتراءً، واستحضارَ السياق التاريخي في أبعاده السياسية والاجتماعية لا في صورته التبجيلية المُسطَّحة. فإذا ما سار الباحثون على هذا النهج قدّموا للمكتبة الليبية ما تحتاجه فعلاً: لا بحوثاً تُضخّم تراث الأسمر بالتسليم، بل دراسات تُنصفه بالتمحيص، وتُعيد إليه صورته الحقيقية بدلاً من الصورة المُلتبسة التي ألصقتها به قرون من التهويل والانتحال.

الباب السابع

خلاصة الكتاب ومقترحات للدراسات المستقبلية

خلاصة الكتاب ونتائجه

يُقدِّم هذا الكتاب قراءةً تاريخيةً نقديةً في سيرة الشيخ عبد السلام بن سليم الأسمر (880–981هـ)، وفي المصادر التي شكّلت صورته عبر القرون. وقد اعتمد المنهجَ التحليلي في مقارنة النصوص ونقد الإسناد والكشف عن أوجه الانتحال والتحريف، مُفارِقاً بذلك سائر من كتب عن هذه الشخصية ممن اكتفوا بنقل روايات كتاب "روضة الأزهار" دون تمحيص أو تدقيق. وقد انتهى الكتاب إلى جملة من النتائج العلمية المتكاملة يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولاً: نتائج تتعلق بسيرة الشيخ الأسمر الحقيقية

1. تكشف الدراسة أن الشيخ عبد السلام الأسمر مولودٌ بمدينة فاس بالمغرب، وليس بزليتن كما شاع في بعض المرويات، وقد انتقل إلى ليبيا عبر تونس التي مكث فيها مدةً من الزمن، ثم سافر بين عدد من المدن والبلدات الليبية قبل أن يستقر أخيراً بزليتن.

2. تكشف الدراسة أن الشيخ عبد السلام الأسمر لم يمارس التدريس الفقهي المنهجي المعروف في المدارس والزوايا العلمية الكبرى بالمفهوم المتعارف عليه في القرن العاشر الهجري، وإنما كان شيخ طريقة ذا طابع شعبي في وسائل تعليمه ودعوته على أعلى تقدير مع وجود شكوك في صناعة طريقة له بعد موته، إذ اعتمد على الدف وقرض الشعر الملحون باللهجة العامية المغربية الأصل وسيلةً للتعليم والتأثير في عامة الناس، وهو ما كان مصدر الخلاف الحقيقي بينه وبين علماء عصره.

3. يكشف الكتاب أن أسباب نفي الشيخ الأسمر من مدن عدة، كطرابلس وغيرها، وتوتر علاقته بأولاد غيث وساحل الأحامد وعلماء طرابلس، ترجع في جوهرها إلى استخدام الدف ممارسةً صوفية أو ما اتهموه به مما نسب إليه من السحر والشعوذة، وهو ما رفضه كثيرون باعتباره بدعة مُحدَثة في التصوف السائد بليبيا. كما أن الأسباب الحقيقية تحتاج إلى المزيد من الدراسة.

4. تُحقق الدراسة تاريخ تأسيس زاوية الأسمر فتثبت أنها لم تُبنَ إلا سنة 971هـ، أي قبل وفاته بعشر سنوات فحسب، وحين كان في التسعين من عمره، وهو ما

ينفي المبالغات الواردة في بعض المصادر حول دور الزاوية التعليمي في عهده المبكر.

5. يتناول الكتاب مقتل عمران بن عبد السلام، ويقدم القرائن التاريخية المتعلقة بملابساتها ودور يحيى السويدي فيها، موضحاً كيف تضاربت روايات مصادر الطريقة في وصف هذه الحادثة ووظّفتها لأغراض مختلفة.

ثانياً: نتائج تتعلق بنقد المصادروالمخطوطات

6. يُثبت الكتاب بالأدلة النصية والأسلوبية والتاريخية أن كتاب "روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار" المنسوب إلى كريم الدين البرموني هو في حقيقته كتاب منحول، إذ يتطابق في كثير من نصوصه تطابقاً حرفياً مع كتاب "فتح العليم" لعبد السلام بن عثمان التاجوري، وهو تطابق يكشف عن عملية نسخ منظم، علاوةً على اختلاف الأسلوب داخل الكتاب الواحد بين الفصحى المتقنة حين يعالج التراث الصوفي، وبين العامية الركيكة حين يتناول سيرة الأسمر.

7. يكشف الكتاب أن جميع النسخ المتوفرة من "روضة الأزهار" تبعد بأكثر من قرنين عن تاريخ وفاة الشيخ الأسمر، وأن أقدم نسخة وثّقها المحققون مؤرخة بسنة 1185هـ، وهو غياب للنسخ الأولى يفتح باباً واسعاً أمام الشك في صحة نسبة محتوياتها وإضافاتها المتراكمة.

8. يُثبت الكتاب عدم صحة نسبة "مخطوط النور النائر" إلى سالم السنهوري، إذ تتضمن هذه النسبة تناقضات تاريخية وجوهرية، فضلاً عن نصوص تعتمد اعتماداً صريحاً على مصادر لاحقة لوفاة السنهوري.

9. يُبيّن الكتاب أن كتاب "الزهر في الأكمام" المنسوب إلى عمر بن جحا يحتوي على قصص مطابقة حرفاً بحرف لما في "روضة الأزهار"، مما يُرجّح أنه كُتب بعد هذا الأخير لا قبله، ويُضاف إلى ذلك وجود إشارات عدة تُشكّك في صحة نسبته إلى ابن جحا أصلاً.

10. يُثبت الكتاب بطريقة المقارنة النصية انتحال كتاب "الوصية الكبرى" المنسوب إلى الأسمر، إذ إن معظم نصوصه منقولة حرفاً بحرف من كتب صوفية سابقة، في مقدمتها كتاب الطبقات الكبرى للشعراني وغيرها من كتب التصوف

الاهرى السائدة في ذلك الوقت، كما يُثبت أن الوصية لم تُكتَب قبل نهاية القرن الثالث عشر الهجري على أقل تقدير.

11. يكشف الكتاب انتحال رسائل الأسمر إلى مريديه، إذ إن هذه الرسائل موجودة في نسخة أبي زبيدة وحدها دون سائر النسخ، وأسلوبها الفصيح المتقن يتعارض كلياً مع أسلوب الشيخ الأسمر الظاهر في شعره العامي، كما يُثبت التحليل التاريخي أنها أضيفت في مراحل لاحقة على الأرجح في نهاية القرن الثالث عشر الهجري.

12. ترجّح الأدلة المتاحة، وإن لم تبلغ حد اليقين انتحال وظيفة الطريقة العروسية والسلامية المنسوبة للأسمر، إذ إن مقارنتها بوظيفة الطريقة القادرية تكشف تطابقاً شبه حرفي بين النصين، مما يُرجّح أنها نسخت منها ثم نُسبت إليه بعد وفاته. كما تكشف الدراسة انقطاعاً في سلسلة الطريقة العروسية قبل الأسمر بالمعنى التاريخي الموثّق.

ثالثاً: نتائج تتعلق بالافتراءات والمناظرات الموضوعة

13. يُبطل الكتاب بالنقد التاريخي المقارن جملةً من المناظرات الملفقة التي نسبتها المصادر إلى الشيخ الأسمر مع علماء أعلام كالحطاب والدوكالي والسنهوري والبرموني، مُبيّناً أن هؤلاء لم يلتقوا بالشيخ الأسمر في الغالب، وأن قصص هذه المناظرات أُدرجت لاحقاً في المصادر بهدف إعلاء مكانة الشيخ والتأكيد على تفوقه على علماء عصره.

14. يُبيّن الكتاب أن قصيدة رثاء منسوبة في "روضة الأزهار" إلى عبد الحميد ضي الهلال هي في حقيقتها مسروقة من "الطبقات الكبرى" للشعراني ومنسوبة فيه إلى الشيخ عبد الغفار القوصي المتوفى سنة 670هـ، فيما بيتان آخران منسوبان إلى نفس الشخص هما في الحقيقة لأبي الهدى الصيادي المتوفى سنة 1328هـ، وهو ما يكشف مستوى الاختلاق في هذه المصادر.

15. يتناول الكتاب افتراء قصة لقاء الشيخ الأسمر بمراد آغا، ويُبطلها بالمقارنة الزمنية والتاريخية، مُبيّناً كيف حوّلها أتباع الطريقة إلى ملحمة نضالية وهمية لم يشهدها التاريخ.

رابعاً: نتائج تتعلق بالكتابات المعاصرة

16. يُبيّن الكتاب أن الشيخ أحمد القطعاني في موسوعته تبنّى منهج التسليم المطلق بما في هذه المصادر من خرافات وكرامات دون أي تمحيص نقدي، فأسهم بذلك في تكريس صورة زائفة عن الشيخ الأسمر وعن التصوف الليبي عموماً.

17. يُبطل الكتاب الادعاءات التي رددتها مجلة الجامعة الأسمرية في بعض أعدادها، مُبيّناً أن بحوثها المنشورة اعتمدت على المصادر المنتحلة ذاتها دون التثبت من صحة نسبتها، وأن مؤتمرها العلمي حول "المنارة الأسمرية" أنتج أوراقاً تتخللها كثير من الأخطاء التاريخية وتحتاج إلى دراسة نقدية.

18. يفند الكتاب ما ورد في كتب أسامة بن هامل "قفة الصلاح" من مزاعم تحويل الشيخ الأسمر إلى رمز إصلاحي وطني ومقاوم للغزو الأجنبي، وهي مزاعم لا سند لها في التاريخ وصناعة حديثة، وتُسيء للشيخ الأسمر أكثر مما تخدمه بهذا الطرح الأسطوري الذي افتقد لكل معايير العلم والمنطق السليم.

19. يُبيّن الكتاب أن القصائد المنسوبة للأسمر في كتاب "النفحات الفيتورية" وفي "سفينة جمع البحور" مليئة بالانحرافات العقدية والخرافات والدعاء على خصومه من القبائل والعلماء، وأن معظمها على الأرجح وُضع بعد وفاته بقرون ثم نُسب إليه.

خاتمة: إنصاف الشيخ الأسمر في ضوء النتائج

إن الحصيلة الكبرى لهذه الدراسة ليست الحطَّ من قدر الشيخ عبد السلام الأسمر رحمه الله، بل هي في جوهرها إنصافٌ له مما ظلمه به أتباعه أنفسهم من مبالغات وانتحال وخرافات. فالشيخ الأسمر شخصية ليبية حقيقية، نشأت في سياق تاريخي وثقافي بعينه يتسم بانتشار الوباء والحروب والتخلف، وعاشت في فترة عسيرة من تاريخ المنطقة. وقد أسّس الشيخ في أواخر عمره زاوية نشر فيها طريقته وفق إمكاناته وقدراته، ثم مضى من جاء بعده فطوّروها حتى أصبحت مؤسسة دينية وعلمية راسخة أسهمت في تعليم القرآن الكريم ونشر العلوم الدينية. هذه هي حقيقته التاريخية، ولا يُطلب منه أكثر مما أتى به بحسب موازين أهل عصره.

غير أن الافتراء عليه لم يتوقف عبر القرون؛ بدأ بانتحال مناقب وكرامات لا أصل لها، ومرّ بتلفيق مناظرات وهمية مع كبار العلماء لم تقع، وامتدّ إلى وضع رسائل ووصايا بأسلوب لا يمتّ إلى أسلوبه بصلة، ولم ينتهِ الأمر حتى اليوم إذ ما زالت قريحة الافتراء تُنتج كتابات تُلبسه ثياب لم يلبسها في حياته. وخلاصة ما يدعو إليه هذا الكتاب أن يُقرأ تاريخ الشيخ الأسمر وغيره من شخصيات التصوف الليبي بالمنهجية العلمية الرصينة البعيدة عن التسليم العاطفي، وأن تُخضَع المصادر المتعلقة به لنقد أسلوبي ولغوي وتاريخي دقيق، وأن تُشجَّع الدراسات المستقلة التي تُحقق في تاريخ صناعة هذه المخطوطات وظروف انتشارها. وما توفيقنا إلا بالله، وما كان في هذا الكتاب من صواب فمن فضل الله، وما كان فيه من خلل فهو من الباحث، والله يعفو عنا وعن الشيخ الأسمر، والحمد لله رب العالمين.

مقترحات للدراسات المستقبلية

يوصي الكتاب الباحثين المهتمين بتاريخ التصوف الليبي بجملة من الموضوعات التي تستحق دراسة مستقلة معمّقة:

1. إجراء دراسة أسلوبية ولغوية شاملة لكتاب «روضة الأزهار» بهدف تحديد طبقات النص الأصلي وما أُضيف إليه في مراحل لاحقة.

2. تحقيق دقيق لكتاب "الزهر في الأكمام" المنسوب إلى عمر بن جحا، وإعادة النظر في صحة نسبته إليه ومقارنته بالمصادر المعاصرة له.

3. دراسة مستقلة لتاريخ انتشار الوظائف والأحزاب المنسوبة للشيخ الأسمر في المخطوطات والمطبوعات، وتحديد مراحل الإضافة والحذف فيها.

4. البحث في تاريخ بدايات التدريس العلمي الديني بزاوية الأسمر، وتحديد الحقبة الفعلية التي تحولت فيها من مجرد رباط صوفي لترديد الأوراد إلى مؤسسة تعليمية.

5. إعادة قراءة تاريخ فقهاء القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين بزليتن وطرابلس في ضوء المصادر النقدية، بعيداً عن روايات كتب المناقب.

6. إخضاع «سفينة جمع البحور» لنقد علمي محكم يُحدد تاريخ نسخها وصحة نسبة قصائدها للشيخ الأسمر.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

المؤلف

كلمة أخيرة

إن هذا الكتاب إسهام متواضع في استعادة جزء من تاريخ التصوف في ليبيا كما أراد مؤلفه، ومحاولةً لإعادة رسم ملامح شخصية اكتسبت شهرةً واسعة الانتشار، امتدت من ليبيا إلى سائر الأقطار الإسلامية. وقد كشف هذا الكتاب كيف يمكن للافتراءات المتراكمة عبر الأجيال أن تصنع شخصيةً موهومة لا صلة لها بصاحبها الحقيقي، بل تحجب ملامحه الأصيلة وتطمسها.

وكائناً ما كان حجم ما نُسب إلى الشيخ عبد السلام الأسمر رحمه الله من مناقب مختلقة، وألقاب مفتعلة، ومناظرات موضوعة، ورسائل منتحلة، وكرامات لا أصل لها في الو اقع ولا في التاريخ، فإن الشيخ بريء من كل ذلك براءةً تامة. وحسبُ هذا الكتاب أنه كشف زيف هذه الافتراءات و أبان عن وجهها الحقيقي.

والحق أن الشيخ الأسمر لم يكن في حاجة يوماً إلى كل هذا الحشد من الكرامات المصطنعة والمناظرات الوهمية كي يثبت له حضور في التاريخ ولم يكن يحلم بذلك على ما يبدو من سيرته؛ فقد عاش كما عاش أمثاله من المجاذيب المتصوفة في حدود عصره وبيئته. و أياً كانت حقيقة سيرته وشخصيته وسط هذا الركام من التحريف، فليس لمن جاء بعده إلا أن يدعو له بالرحمة والمغفرة.

والله يعفو عنا وعنه وعنا جميع المسلمين

امين

المؤلف

مسرد المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

الأنوار السنية والمنن البهية في طريق أهل الله الصوفية (الطريقة العروسية الشاذلية)، تأليف الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر. أحضر النسخة الخطية الشيخ الجعفري من طرابلس من مكتبة سيدي حمودة وقام بطبعها وتصحيحها. القاهرة: دار الطباعة المحمدية بالأزهر، 1384هـ / 1964م.

الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، تأليف عبد السلام بن عثمان التاجوري. طرابلس: مطبعة الولاية على نفقة الحكومة الإيطالية، 1921م.

التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، تأليف محمد بن خليل ابن غلبون الطرابلسي، تحقيق: الطاهر أحمد الزاوي. بيروت: دار المدار الإسلامي، (د.ت).

تنقيح روضة الأزهار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر / مواهب الرحيم في مناقب مولانا عبد السلام بن سليم، اختصار: محمد بن محمد بن عمر مخلوف. طرابلس: مكتبة النجاح، (د.ت).

تقييد عن سيرة الشيخ الأسمر، تأليف عبد الرحمن مكي. [مخطوط، موقع الحفظ غير محدد].

الزهر في الأكمام في طريقة الشيخ مولاي عبد السلام، تأليف عمر بن جحا، تحقيق: عبد الحميد الهرامة. بيروت: دار الفسيفساء، (د.ت).

سفينة جمع البحور، تأليف الشيخ القطب عبد السلام الأسمر الفيتوري، تحقيق: د. محمد البسكري ود. محمد أنيس الحمادي. تونس: مركز الموسيقى العربية والمتوسطية، 2023م.

العظمة في التحدث بالنعمة، تأليف عبد السلام الأسمر. [مخطوط أو طبعة قديمة، تفاصيل النشر غير متوفرة].

فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم (ط. مخطوطة)، تأليف عبد السلام بن عثمان التاجوري. تونس: دار العلوم، رقم التسلسل 550، نُسخ سنة 1278هـ / 1861م.

فتح العليم في مناقب عبد السلام بن سليم (ط. محققة)، تأليف التاجوري، تحقيق: نادية مفتاح. تونس: جامعة تونس الأولى، كلية العلوم، 2002م.

المخطوط المنسوب إلى محمد بن علي الخروبي. طرابلس: مركز الدراسات التاريخية. [مخطوط].

المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، تأليف أحمد بن عباد المحلى الشافعي (ت. بعد 1143هـ). مصر: المكتبة الأزهرية للتراث، 2004م.

المنح السنية على الوصية المتبولية، تأليف عبد الوهاب الشعراني، تحقيق: د. حازم فاضل. كركوك: منشورات مكتبة أمير، 2015م.

النور النائر في سيرة الإمام عبد السلام الأسمر، تأليف سالم السنهوري، تصحيح واعتناء: عبد الرحمن محمد جوان. زليتن: منشورات زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ط1، 2024م.

النور النابر في مناقب عبد السلام الفيتوري، تأليف الشيخ سالم السنهوري. تونس: المكتبة الوطنية. [مخطوط].

الوصية الكبرى، تأليف الشيخ عبد السلام الأسمر. [د.م]، ط1، 1976م.

وثيقة سلسلة نسب الشيخ الأسمر. [مصر، مكان الحفظ غير محدد].

روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في جمع البعض من مناقب صاحب الطار، تأليف كريم الدين البرموني. وردت في النسخ الآتية:

(أ) طبعة محققة: تحقيق ودراسة د. عبد الحميد لهرامة. القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1430هـ / 2009م.

(ب) مخطوط المكتبة السليمانية، إسطنبول، تركيا، ضمن مجموعة Mehmed Şafyih، رقم 30، الناسخ مجهول.

(ج) مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، الناسخ مجهول.

(د) مخطوط أسرة منصور أبو زبيدة، زليتن.

(هـ) مخطوط مكتبة عائلة الشيخ، الناسخ: سالم بن عمران، سنة 1250هـ.

(و) مخطوط مركز الدراسات التاريخية، طرابلس.

الطبقات الكبرى (لوافح الأنوار في طبقات الأخيار)، تأليف عبد الوهاب الشعراني. [المكتبة الوقفية الرقمية، (د.ت)].

ثانياً: المراجع

ابن هامل، أسامة علي. قراءات جديدة في سيرة مجدد القرن العاشر الهجري: الإمام سيدي عبد السلام الأسمر وشخصيات أخرى. طرابلس: منشورات مركز العلامة الليبي أحمد القطعاني، ط1، 2023م.

أبو زبيدة، [مجهول اسم المؤلف]. [مرجع مخطوط، أسرة منصور أبو زبيدة، زليتن].

الأسطى، محمد. "ثورة يحيى بن يحيى السويدي أو سويدان." مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، السنة الرابعة، العدد الأول، يناير 1982م.

البلوشي، علي مسعود. تاريخ معمار المساجد في ليبيا في العهد العثماني والقرمانلي. [د.م]: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 2007م.

برنيا، كوستانزيو. طرابلس من 1510 إلى 1850، تعريب: خليفة محمد التليسي. تونس: الدار العربية للكتاب، 2009م.

بن يونس، مختار. من تاريخ الثقافة في ليبيا. [د.م]: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ط1، 2009م.

جابر، الشيخ السيد أحمد. الرشاش النوري من كمال ولي الله سيدي عبد السلام الفيتوري رضي الله عنه. تونس: المطبعة التونسية، ط1، 1326هـ.

جوان، علي. صفحات من حياة الشيخ عبد السلام الأسمر الحسني الفيتوري. [د.م]، 1981م.

الحدائي، عبد الوهاب بن صالح. الانتساب إلى آل البيت بين الحقيقة والزيف. مصر: دار عمر بن الخطاب، 2009م.

خشيم، علي فهمي. أحمد زروق والزروقية. بيروت: دار المدار الإسلامي، 2002م.

ريمون، جورج. من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا (1912م)، ترجمة: د. محمد عبد الكريم الوافي. طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1983م.

الرزقي، الصادق. الأغاني التونسية. تونس: الدار التونسية للنشر، 1967م.

الزاوي، الطاهر أحمد. أعلام ليبيا. بيروت: دار المدار الإسلامي، ط2، 2004م.

الزاوي، الطاهر أحمد. معجم البلدان الليبية. طرابلس: مكتبة النور، 1968م.

عبد الكريم، أحمد حامد. الطبقات العروسية الشاذلية ومناقب القطب سيدي عبد السلام الأسمر. [د.م]: مكتبة زهران، (د.ت).

عبد الكريم، أحمد حامد. النفحات الفيتورية في القصائد الأسمرية. [د.م]، 1998م.

شيوخ أبي عبد الله الخروبي الطرابلسي، تقديم وضبط: د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، أصالة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت 1999م.

عبد الله، عبد العزيز أحمد. الشيخ عبد السلام الأسمر ومنهجه في الدعوة من خلال رسائله إلى مريديه. رسالة ماجستير، الجامعة الأسمرية، 2022م.

العدوي، محمد عبد السلام كامل. الإمام الفقيه عبد السلام الأسمر الفيتوري. [د.م]: المكتبة المصرية، (د.ت).

القبلاوي، عيسى. ليبيا وصراع القوى في البحر المتوسط في القرن السادس عشر الميلادي. [د.م]: منشورات مركز الجهاد الليبي، ط1، 2014م.

القطعاني، أحمد. القطب الأنور عبد السلام الأسمر. [د.م]، ط2، 1993م.

القطعاني، أحمد. موسوعة القطعاني. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2011م.

لاشيلا، بادلودي. أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة في عام 1817م، ترجمة: الهادي مصطفى بولقمة. طرابلس: منشورات مكتبة الفكر، (د.ت).

المحجوبي، د. خالد إبراهيم. "الشيخ الأسمر وكتاباته: بين الدس والاختلاق." مجلة ثقافة، العدد الأول، خريف 2013م.

المصراتي، الطيب بن طاهر. فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر. بيروت والقاهرة وبغداد: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، (د.ت).

عمران رابعة، مصطفى (جمعاً وتحقيقاً). رسائل الأسمر عبد السلام بن سليم الإدريسي الحسني إلى مريديه. بيروت: دار المدار الإسلامي، 2003م.

وريث، أسامة عبد الحميد. جدلية العرق والجين والهوية. تونس: سوتيميديا للنشر والتوزيع، ط1، 2023م.

عبد الصمد، داعي الحضرة الأحمدية. مناقب سيدي أحمد البدوي المسماة بالجواهر السنية والكرامات الأحمدية، تحقيق: أحمد السائح وتوفيقة وهبه. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2007م.

عزالدين عبد الله، رسالة ماجستير، 2022م، الشيخ عبد السلام الأسمر من خلال رسائله إلى مريديه إشراف الدكتور حسين عكاش.

ثالثاً: الدوريات

الجامعة الأسمرية. مجلة الجامعة الأسمرية: أعمال مؤتمر "المنارة الأسمرية من الزاوية إلى الجامعة"، السنة السادسة، العدد 11، 2009م.

وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية. مجلة دعوة الحق، العدد التاسع والعاشر، 1968م.

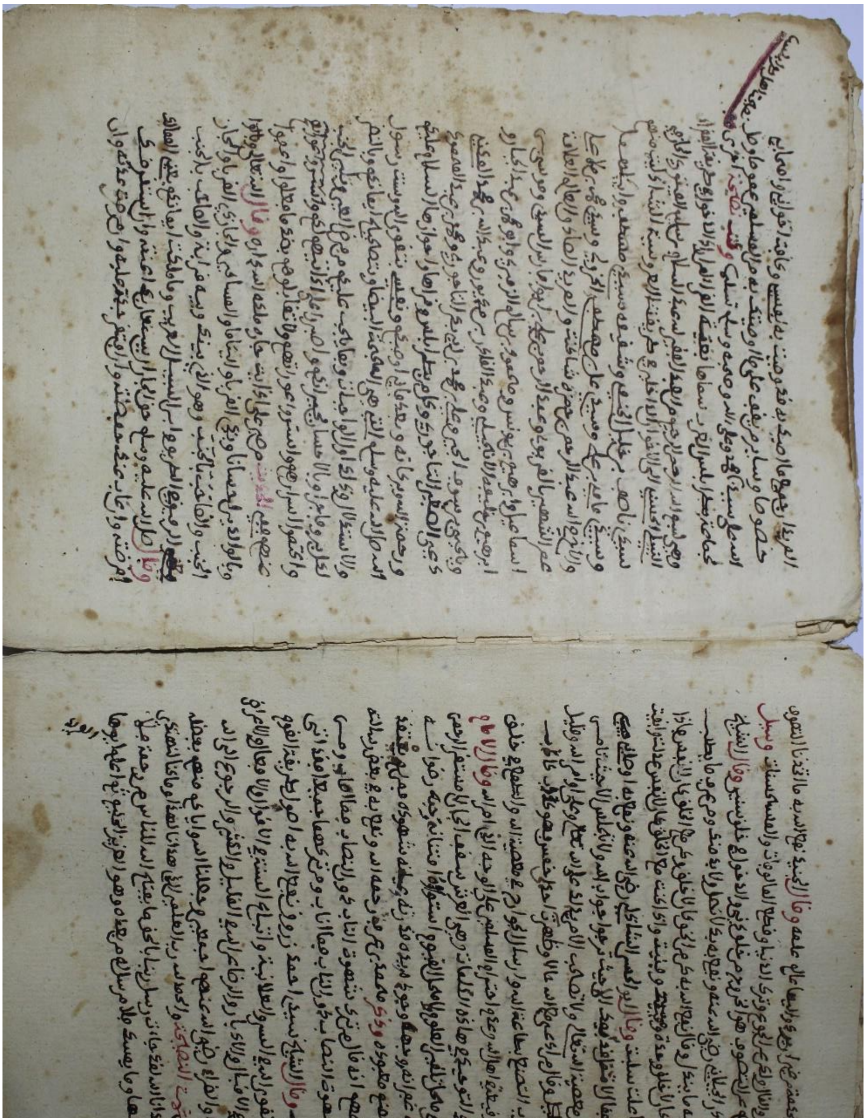
وزارة الثقافة والمجتمع المدني [ليبيا]. مجلة ثقافة، العدد الأول، خريف 2013م.

مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي. مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الثالث، السنة الثالثة، 1988م. [تضمّن مقالة: "عبد الواحد الدوكالي: حياته وبعض آثاره"].



[illegible]
وهو شايع ومنها قوله للرجل الذي [illegible] من كون موضع الزاوية يكون زاوية
[illegible]
ومن كراماته رضي الله عنه ما هو مشهور من ان السلسلة معلقة فيها
[illegible]
سنة إحدى وسبعين وتسعمائة [illegible]
[illegible] سنة إحدى وثمانين وتسعمائة [illegible] رضي الله
الله عنه روايات [illegible] خمسة وتسعون سنة [illegible]
[illegible]
ان هذا العدد لا يكمل الا مع كمال الدنيا والله اعلم وكان يقول [illegible]
[illegible]
يا زائرين من بلد بعيد [illegible]
يا زائرين [illegible] جزاكم الله خيرا [illegible]
ومن الشايع عنه رضي الله عنه انه كان يقول [illegible]

صورة من مخطوط فتح العليم ويظهر في السطر الخامس عشر تاريخ تأسيس زاوية الأسمر سنة إحدى وسبعين وتسعمائة 971 هـ



صورة من مخطوط الظفير تبين اختلاف يد الناسخ على المخطوط واحتمال إضافة بعض النصوص في سنوات لاحقة

ولكن ، عندما كان يعتريه الجذب ، كانت تصدر منه امور توحش الخلق فينتافـرون عنه ، وينكـرون عليه بسببها . » وكان بالقصر الكبيـر قوم نقموا على الشيخ ابي المحاسن صحبته ، ورجوعه في الطريـــق

ولم يكن عبد الرحمن المجذوب اول من عبـر عـن خوالج نفسه بهذه الطريقة ، غير انه ليس لدينا مـا يثبت انه كان يصحبها بالايقاع على دف او بنديـر او بنغمات الناي ، مثل ما يروى مثلا ، عن الشيخ عبـد

122

السلام الاسمر (881 ـ 985 هجرية) 1475 ـ 1573 ميلاديـــة .

ان هذا الشيخ كان من مواليد مدينـة فـاس ، وكانت امه (سليمة) تنتسب الى الشيخ عبد السلام ابن مشيش . فانه انتقل من بلاد المغرب الى طرابلس، وكان يعتريه الجذب ، فيحمل الدف ، وينشد عليـه الاناشيد الصوفية باللغة الدارجة ، وطريقتــه بيــن الشاذلية وطريقة الشيخ احمد بن عـروس . ومــن شعــــره الملحـــون .

أنا الغوث القطب السلطـان ولي مشـهور ظاهـر
اولاني الالاه الفرد الرحمـن على كل باد وحاضر
شمسي تبدت وضوت الاركان والرب عاطي وقادر



صورة من مجلة دعوة الحق المغربية



قراءة في كتب التصوف

عَبدُ السَّلَامِ بنُ سَلِيمِ الأَسْمَرِ

المُفترَى عليه

يكشف هذا الكتاب التاريخ المحرف للشيخ عبد السلام الأسمر، والذي تم فيه تحريف سيرته عبر فترات زمنية مختلفة. كما يدلل الكتاب على عدم صحة نسـبة مجموعة من الكتب انتحلت للشيخ الأسمر ويبين أنها كتبت بعد وفاته.

يناقش الكتاب التحريف في المؤلفات الحديثة المتعلقة بسيرته والتي قامـت بتحديث هذه الخرافـات، وصياغتها بلغة عصرية لترويجها في ثوب جديد.

ومهما كانت السيرة الحقيقية للشيخ عبد السلام الأسمر رحمه الله وسط هذا الكم من الخرفات، وما تعرض له تاريخه وسيرته من تشويه، فهو في نهاية المطاف شخصية ليبية، عاش متأثراً ببيئته وطبيعة عصره، ولا يتوقع منه أن يتعدى إمكانيات زمانه لتشـويه سيرته بنسبة كل هذه الافتراءات عليه.

وحسبنا في هذا الكتاب أننا نفضنا عن الشيخ عبد السلام الأسمر ما نسب له ولغيره من معاصريه من الافتراءات، والمناظرات والكتب والقصائد والأقوال. ودعوتنا صادقـة للباحث، والقارئ الكريم أن يطلع على تفاصيل وموضوعات الكتاب وسيجد فيها قراءة جديدة وتصحيح لتاريخ أشهر شخصية صوفية في ليبيا.

ISBN 979-8-89496-729-5
9 798894 967295